الزَّهْرُ الأَنِيقُ

في البَوْسِ والتَّعْنِيقِ والهَيْجِ والشَّهِيقِ ومُخالَفةِ الزَّوْجِ ومُطاوَعةِ العَشِيقِ



تحقيق د. فرج الحوار



الزَّهْرُ الأَنِيقُ

فِي البَوْسِ وَالتَّعْنِيقِ وَالْهَيْجِ وَالشَّهِيقِ وَمُخَالَفَةِ الزَّوْجِ وَمُطَاوَعَةِ العَشِيقِ

لمجهول

حَقَّقَه وقدَّم له وَصنع فَهَارِسَه

د. فرج الْحَوار





الزَّهْرُ الأَنِيقُ

فِي البَوْسِ وَالتَّعْنِيقِ وَالْهَيْجِ وَالشَّهِيقِ وَمُخَالَفَةِ الزَّوْجِ وَمُطَاوَعَةِ العَشِيقِ

تأليف

مجهول

تحقيق

د. فرج الحوار

مدير النشر **عماد العزّالي**

التصميم **ناصر بن ناصر**

الترقيم الدولي للكتاب 978-9938-23-048-2

الطبعة الأولى

1442 هـ / 2021 م

الدار المتوسطية للنشر

العنوان: 5 شارع شطرانة 2073 برج الوزير أريانة - الجمهورية التونسية

الهاتف: 58563568 216+

الموقع الإلكتروني: www.tunisian-books.com

البريد الإلكتروني: medi.publishers@gnet.tn



تَصْدِير

«وَإِنَّمَا مَثَلُ هَذَا الكِتَابِ مَثَلُ الْمَائِدَةِ تَخْتَلِفُ فِيهَا مَذَاقَاتُ الطُّعُومِ لاخْتِلاَفِ شَهَوَاتِ الآكِلِينَ، وَإِذَا مَرَّ بِكَ حَدِيثٌ فِيهِ إِفْصَاحٌ بِذِكْرِ عَوْرَةٍ أَوْ فَرْجٍ، أَوْ وَصْفِ فَاحِشَةٍ فَلاَ يَحْمِلَنَّكَ الْخُشُوعُ أَوِ التَّخَاشُعُ عَلَى أَنْ تُصَعِّرَ خَدَّكَ، وَتُعْرِضَ بِوَجْهِكَ، فَإِنَّ أَسْمَاءَ الأَعْضَاءِ لاَ تُؤَثِّمُ، وَإِنَّمَا الْمَأْثَمُ فِي شَتْمِ الأَعْرَاضِ، وَقَوْلِ الزُّورِ وَالكَذِبِ، وَأَكْلِ لُحُومِ النَّاسِ بِالغَيْبِ. قَالَ رَسُولُ اللّه (صلّى اللّه عليه وسلّم): «مَنْ تَعَزَّى بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعِضُّوهُ بِهَنِ أَبِيهِ وَلاَ تَكْنُوا.» وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضِيَ اللّه عنْهُ لِبُدَيْلِ بْنِ وَرْقَاءَ - حِينَ قَالَ للنَّبِيِّ صَلَّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلَّم: لَوْ قَدْ مَسَّهُمْ حَزُّ السِّلاَحِ لأَسْلَمُوكَ -: «إِعْضَضْ بِبظْرِ اللاَّتِ، أَنَحْنُ نُسْلِمُهُ؟» وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِب، صَلَوَاتُ اللّه عَلَيْهِ: «مَنْ يَطُلْ أَيْرُ أَبِيهِ يَنْتَطِقْ بِهِ».

ابْن قُتيبة، «عيون الأخبار»: 1/44-45



مقدِّمةُ التّحقيق

1 - ترجمة المصنّف

جاء في جذاذة التّعريف بمخطوطة كتاب «الزّهر الأنيق في البوس والتّعنيق، والهيج والشّهيق، ومخالفة الزّوج ومطاوعة العشيق»، الّتي اعتمدناها في التّحقيق، أنّ «المؤلّف لم يسمّ نفسه»[1]، ولم تنصّ فهارس المخطوطات، الّتي ورد فيها ذكر هذا الكتاب، على آسم مؤلّفه، ولم يرد ذكر عنوان هذا الكتاب وآسم واضعه في المصنّفات الّتي نقلت عنه بعض «مَاجَرَيَاتِهِ»، وهي قليلة جدًّا، لا تزيد عن اثنين، أو أنّ ما وقعنا عليه منها، وأحلنا عليها في هوامش التّحقيق، لا يزيد عددها عن اثنين.

ويتبيّن لقارئ هذا المصنّف الطّريف أنّ مؤلّفه المجهول من أهل القرن الثّامن الهجريّ، وأنّه مصريّ الدّار، كما أشار هو بنفسه إلى ذلك في الماجريّة السّادسة[2]، إذ توجّه إليه فيها أحد جمّاع قصص مكر النّساء وكيدهنّ، وهو المسمّى أبو يوسف القيروانيّ، بقوله: «أظنّك يا مصريّ قد أتعبت خاطرك». أمّا فيما يخصّ العصر

---

1) موقع المكتبة الوطنيّة الفرنسية (BNF)، الموسوم بـ (Gallica)، والتّرجمة منّا.

2) الزّهر الأنيق: 82-83.

الّذي عاش فيه هذا المصنّف المجهول، فتجدر الإشارة أنّه وردت في فواتح عدد من «الماجريات» تواريخ تؤكّد جميعها أنّ مادّة الكتاب جمعت في الشّطر الأوّل من القرن الثّامن الهجريّ.

فنحن نقرأ في فاتحة الماجرية الخامسة[1] قول المؤلّف: «كنت بدمشق سنة أربع وأربعين وسبعمائة»، ونراه يقول في مفتتح الماجريّة السّابعة عشرة[2]: «كنت في سنة تسع وأربعين وسبعمائة، سنة الفناء الكبير»، ونقرأ له أخيرا في فاتحة الماجريّة الحادية والعشرين[3]: «سافرت سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة». ومتن الكتاب يحتوي، إضافة إلى ذلك، على إشارات تنصّ بوضوح أنّ المؤلّف كان من معاصري السّلطان المملوكيّ النّاصر محمّد بن قلاوون، فقد ذكر في فاتحة الماجريّة السّادسة[4]: «سافرت سفرة إلى حلب الشّهباء في زمن سلطنة الملك النّاصر بن قلاوون».

وفي متن الكتاب ما يفيد أيضا أنّ المؤّلف كان من أعوان هذا السّلطان، بل ومن أعوانه المقرّبين، فقد ذكر في فاتحة الماجريّة السّابعة عشرة[5]: «كنت في سنة تسع وأربعين أكتب على تركة بيت كبير، متّسع الحال»، وهو ما يفيد ضمنا أنّه كان يضطلع بمهمّة شرعيّة بوصفه موظّفا ملحقا بما أسماه ابن كثير «ديوان المواريث»[6]،

---

1) نفسه: 77.
2) نفسه: 193.
3) نفسه: 231.
4) نفسه: 81.
5) نفسه: 193.
6) البداية والنّهاية (هجر): 511/18.

وهو وظيفة تستدعي حضوره إلى جانب السّلطان في حلّه وترحاله. ويعضد هذا الاحتمال ما قاله المؤلّف في فاتحة الماجريّة الحادية والعشرين[1]: «سافرت سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة صحبة الملك النّاصر محمّد بن قلاوون، رحمه اللّه، صوب صعيد مصر، وكانت تلك السّفرة آخر سفراته».

ويشير المؤلّف، في فاتحة نفس هذه الماجريّة إلى ما أسماه «الفناء الكبير»، وهو الطّاعون الّذي اجتاح مصر والشّام سنة 749 هـ، فكان، على حدّ تعبير ابن كثير، «يضبط من أهلها في النّهار نحو الألف»[2]. وقال عنه ابن قاضي شهبة في تاريخه[3]: «في هذه السّنة كان الطّاعون العظيم الّذي عمّ المشارق والمغارب، ومات فيه من العلماء والأعيان وغيرهم خلائق لا يحصيهم إلاّ الّذي خلقهم». وقد أودى هذا الوباء بحياة الشّاعر والمورّخ ابن الوردي، الّذي خصّه بمقامة سمّاها «النّبأ عن حرّ الوبا»[4]. وأخرج صلاح الدّين الصّفدي في «تذكرته»، الّتي لم تطبع إلى اليوم، كثيرا ممّا قيل فيه من الأشعار، كما وضع ابن خاتمة الأندلسيّ في وصف أهواله كتابا وسمه بـ «تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد». وعن هذه الأهوال جاء في تاريخ ابن قاضي شهبة[5]: «قيل: مات

1) الزّهر الأنيق: 231.

2) البداية والنّهاية: 675/18.

3) تاريخ ابن قاضي شهبة: 541/2.

4) نفسه.

5) نفسه: 543/2.

بالقاهرة ومصر في اليوم الواحد نحو أحد عشر ألف نفس. وفي بعض تواريخ المصريّين المجهولة أنّه كان يموت بالقاهرة خاصّة كلّ يوم فوق العشرين ألف إنسان. وأمّا دمشق فأكثر ما ضبط في اليوم أربعمائة نفس».

فإن صحّ ما جاء في جذاذة التّعريف بمخطوطة الكتاب، المحفوظة بالمكتبة الوطنيّة الفرنسيّة بباريس تحت رقم 3671، من أنّ مؤلّفه «شرع في كتابته بعد وفاة السّلطان المملوكيّ سيف الدّين قلاوون» سنة 689 هـ.[1]، وانتهى منه على الأرجح، وفقا لما جاء في متن المجموع، سنة 749 هـ.، فإنّ فترة وضع الكتاب تكون قد استغرقت حوالي 60 سنة، أو دونها بقليل. ومهما كان من الأمر فإنّ هذا الافتراض، إن صحّ (ولا نراه يصحّ نظرا للحجم المتوسّط للمصنّف)، يفيد ضمنا أنّ المؤلّف ولد في الرّبع الأخير من القرن السّابع الهجريّ، وأنّه توفّي بعد سنة 749 هـ. بفترة من الزّمن، عن سنّ تزيد عن سبعين سنة، أو تقارب الثّمانين.

1. 1. تحصيله وثقافته:

نرجّح، بناء على ما تقدّم، إن صحّ ما ذهبنا إليه من أنّ واضع هذا الكتاب هو كاتب ملحق بديوان المواريث، أنّنا إزاء رجل يقتصر تحصيله على المعارف الفقهيّة الّتي تؤهّله لأداء مهامّه، وأنّه متوسّط التّحصيل، بل حتّى ضعيفه، في ما عدا ذلك بدليل أنّه صاغ مؤلّفه

1) موقع المكتبة الوطنيّة الفرنسيّة (BNF)، الموسوم بـ (Gallica)، والتّرجمة منّا.

بلغة تغلب عليها العامّيّة[1]. ويتّضح من مقدّمة الكتاب أنّ المصنِّف مولع بقراءة «كتب الهزل»[2] الّتي وضعها مؤلّفون من معاصريه، أو ممّن تقدّمهم في الزّمن في مصر وفي غيرها من الحواضر الإسلاميّة. وقد ذكر أسماء المشهورين منهم[3]، وأعرض عن ذكر عناوين كتبهم، ولكنّه قضى في حقّها أنّها «طويلة، [و]غير مفيدة» لأنّ أصحابها «أهملوا ذكر ربّات القناع، صاحبات الحيل، مع المكر والخداع، والتّحذير من شرّهنّ ومكرهنّ»[4]. وقد اعتبر المؤلّف هذا «الإهمال» إخلالا خطيرا يتعيّن عليه تلافيه، فقصر مؤلَّفُه على هذا الغرض دون غيره، وركّز فيه، إضافة إلى الهزل، على «الخداعة واللّعب والخلاعة»[5]، وغرضه من ذلك أن يقيم الدّليل على صحّة «المثل السّائر»[6] الّذي نصّت عليه الآية 28 من سورة يوسف.

ويتّضح من بناء الكتاب ومضمونه، ومضمونه، وخاصّة من اقتصار صاحبه على أخبار «من الهزل والخلاعة والمجون وحيل النّساء»[7]، اللّذين سنتناولهما بالبحث والتّحليل في فقرة لاحقة، أنّنا

1) ونحن، وإن كنّا نغلّب هذه الفرضيّة، ولكنّنا لا نستبعد أنّ يكون المؤلّف نحا في كتابه هذا المنحى لاعتبارات أدبيّة وجماليّة خاصّة بموضوع الهزل، كان أبو حيّان التّوحيدي ألمح إليها في مواض من كتابه «البصائر والذّخائر»، ومفادها أنّ إعراب الملح والطّرائف، أو النّكت بلغتنا المعاصرة، يفقدها حرارتها، أي حلاوتها.

2) الزّهر الأنيق: 36.

3) نفسه: 35-36..

4) نفسه: 36.

5) نفسه.

6) نفسه.

7) نفسه: 37.

إزاء مؤلَّف متخصّص، رصده صاحبه لسدّ الفراغ الّذي عاينه في كتب من تقدّمه. وقد لا نجانب الصّواب إن نحن أكّدنا أنّ كتاب «الزّهر الأنيق»، إذا ما آستثنينا حكايات «ألف ليلة وليلة» المتعلّقة بهذا الموضوع، هو من أوائل المصنّفات الّتي وضعت في هذا الغرض بهذا القدر من الاستفاضة والاستقصاء. ودليلنا على ذلك أنّ الاهتمام بموضوع «كيد النّساء» سيضحي من الأغراض القارّة في آداب الفترات الّتي تلت ظهور هذا الكتاب.

ولعلّ من أهمّ من احتذى مثال المصنّف ومنهاجه هو الكاتب المعروف بابن القطعة، والمدعوّ إسماعيل بن نصر بن عبد المحسن السّلاحي، وهو من أهل القرن الثّامن (يرجّح أنّه ولد في النّصف الثّاني منه، وأنّه توفّي في الشّطر الأوّل من القرن التّاسع) وواضع الكتاب الشّهير، الموسوم بـ «ابتلاء الأخيار بالنّساء الأشرار»، وهو كتاب اشتشهد كمال الدّين الدّميري بفقر منه في كتابه الموسوم بـ «حياة الحيوان الكبرى».

2 - المخطوطة المعتمدة في التّحقيق

اعتمدنا في تحقيق هذا الكتاب على المخطوطة المحفوظة بالمكتبة الوطنيّة بباريس تحت رقم 3671. وتقع هذه المخطوطة في 116 ورقة، مقاسها 13/18 سم، ومسطرتها 13 سطرا. وقد كتبت المخطوطة بخطّ مشرقيّ مقروء رغم خلوّه من الضّبط، بل ومن التّنقيط أحيانا. وقد أشرنا في هوامش التّحقيق إلى المواضع

الّتي أشكلت علينا قراءتها بسبب رسم الكتاب. وقد تبيّن لنا بعد التّدقيق في المخطوط أنّ نسبة التّحريف والتّصحيف فيه قليلة، وتبيّن لنا كذلك أنّ فقرات من «الماجريّة الأولى» سقطت من المتن، وقد أمكننا تداركها من مخطوط كتاب «سكّردان العشّاق ومنارة الأسماع والآماق» لأويس الحموي، وهو كاتب من أهل القرن التّاسع الهجريّ.

وقد تأكّد لنا بعد بحث طويل ومضن في فهارس المخطوطات أنّه لا وجود لنسخة أو نسخ أخرى من هذا المصنّف في المكتبات العربيّة[1] والأوربيّة والأمريكيّة، وآضطررنا بسبب ذلك إلى الاقتصار على النّسخة الباريسيّة في التّحقيق. وممّا زاد الأمر تعقيدا أنّنا لم نعثر، فيما راجعنا من مصنّفات العهد المملوكيّ، على ذكر لهذا الكتاب، أو على نقول مهمّة منه، باستثناء الكتاب الّذي تقدّمت الإشارة إليه، وكتاب «نزهة الأبصار والأسماع في أخبار ذوات القناع» الّذي لم ينصّ على المصدر الّذي نقل عنه، ولكنّنا نرجّح أنّ مصنّفه، وهو من أهل القرن الحادي عشر الهجريّ، نقل الحكايات الّتي أوردها في الباب السّابع منه من كتاب «الزّهر الأنيق» نظرا لأنّ أغلبها لم يرد في «سكّردان العشّاق».

وقد كتب عنوان الكتاب في الورقة عدد 1 ، ووضع الجزء الأوّل (كتاب الزّهر الأنيق في البوس والتّعنيق) منه في مستطيل، ووضع

1) توجد بمركز الملك فيصل للبحوث والدّراسات الإسلاميّة بالرّياض نسخة منه، مصوّرة عن النّسخة الفرنسيّة، ومحفوظة فيه تحت نفس الرّقم، أي 3671.

الجزء المتبقّي (والهيج والشّهيق ومخالفة الزّوج ومطاوعة العشيق) منه وسط دائرة. وقد تقدّم الجزء الأوّل من العنوان نصّ التّملّك التّالي: «ملكه في 837 هـ، محمّد بن منصور الكنتمري، عفا اللّه عنه». وكتب تحت الجزء الثّاني من العنوان يمينا: «Cod. Arab. 1464». ويمتدّ متن الكتاب من الصّفحة عدد 2 إلى الصّفحة عدد 116. وقد نصّ في آخرها على أنّ هذه النّسخة من الكتاب كتبت سنة 875 هـ.، ولعلّها نقلت عن النّسخة المشار إليها في نصّ التّملّك أعلاه، وتكون هذه الأخيرة بالتّالي نقلت عن النّسخة الأصليّة من خطّ المؤلّف، أو أنّها هي الأصل الأوّل للكتاب.

فإن صحّ ما ذهبنا إليه من أنّ المصنِّف توفّي بعد سنة 749 هـ. بفترة زمنيّة لا ندري مداها، فإنّ حوالي قرن ونيّف تفصل بين تاريخ تأليف الكتاب وبين تاريخ هذه النّسخة الّتي بين أيدينا اليوم. ويستفاد ممّا تقدّم أنّ الكتاب كان معروفا ومتداولا بين الأدباء والقرّاء، وأنّ نسخا عدّة نقلت عن نسخة المؤلّف الّتي لا نعلم مصيرها، ولكنّنا على يقين أنّها مختلفة عن النّسخة اليتيمة الّتي وصلتنا من الكتاب. والدّليل على ذلك أنّ النّقول عن هذا المصنَّف، كما وردت في كتابي «سكّردان العشّاق» و«نزهة الأبصار والأسماع في أخبار ذوات القناع»، تحتوي على فروق في الرّوايات نصصنا عليها في هوامش التّحقيق.

3 - تقديم الكتاب

ما من شكّ في أنّ كتاب «الزّهر الأنيق في البوس والتّعنيق، والهيج والشّهيق، ومخالفة الزّوج ومطاوعة العشيق» هو كتاب مهمّ في مبناه ومعناه، وإن قلّت الإشارة إليه في مصنّفات القدامى من المهتمّين بالأدب وتاريخه نظرا إلى كونه ينتمي إلى مجال الكتب الهامشيّة المختصّة في الأغراض المتّصلة بالخلاعة والتّهتّك والمجون. والمتمعّن في بناء الكتاب يتبيّن بيسر أنّ صاحبه لم ين جهدا في إيهام القارئ بأنّه يسجّل بأمانة أحداثا عايشها، أو شاهدها عيانا، أو رويت له مباشرة عن الفاعلين فيها أو ضحاياها، أو عن نقلة عدول يثق في أمانتهم وصدقهم، تقوم دليلا على صدق الفرضيّة الّتي أخذ على عاتقه أن يدعمها بالأدلّة والبراهين القاطعة.

وعلى هذا الأساس، يمكن توزيع محتويات الكتاب وفقا للأقسام الثّلاثة التّالية:

1 - القسم الأوّل منها يهمّ الأحداث المعاينة من قبل الكاتب، كما تفصح عن ذلك فواتح الماجريات الخامسة[1]، والسّادسة[2]،

---

1) الزّهر الأنيق: 77، وفيه: «قال المؤلّف: كنت بدمشق سنة أربعين وسبعمائة، في نيابة طقز دمر»، وهي إحالات واقعيّة موضوعيّة من شأنها أن تؤكّد صحّة الحكاية المنقولة.

2) نفسه: 81، وفيه: «قال المؤلّف: سافرت سفرة إلى حلب الشّهباء في زمن سلطنة الملك النّاصر محمّد بن قلاوون»، وهي إشارات تؤدّي نفس الوظيفة المشار إليها في الحاشية السّابقة.

والثّامنة[1]، والتّاسعة[2]، والحادية عشر[3]، والسّابعة عشرة[4]، والحادية والعشرين[5].

2 - والقسم الثّاني منها يهمّ الأحداث الّتي رويت للمصنّف مباشرة، كما يتبيّن ذلك من فواتح الماجريات العاشرة[6]، والثّانية عشرة[7]، والثّالثة عشرة[8]، والخامسة عشرة[9].

3 - والقسم الثّالث والأخير يهمّ الأحداث الّتي قرأها المصنّف في المصنّفات المتقدّمة عليه، أو سمعها مشافهة من بعض نقلتها، كما تؤكّد ذلك فوتح الماجريات الرّابعة عشرة[10]،

---

1) نفسه: 97، وفيه: «قال المؤلّف: رأيت في مدينة سكندريّة إنسان».

2) نفسه: 99 وفيه: «قال المؤلّف: كان لي من الصّغر وأيّام الصّبا صديق محارف، وقد بلغ به الحراف إلى غاية ونهاية».

3) نفسه: 109، وفيه: «قال المؤلّف: اتّفقت ماجريّة بحضوري أنقلها بصحّتها، وذلك في سنة تسع وثلاثين وسبعمائة».

4) نفسه: 193، وفيه: «كنت في سنة تسع وأربعين، سنة الفناء الكبير، أكتب على تركة بيت كبير، متّسع الحال».

5) نفسه: 231، وفيه: «قال المؤلّف: سافرت سنة ثمان وثلاثين صحبة الملك النّاصر محمّد بن قلاوون [...]، فرأيت جندي شيخ واقف يشتري فاكهة».

6) نفسه: 105، وفيه: «سمعت من بعض المسافرين، قال: حدّثني إنسان عن عوّاد حسن الضّرب [...]، مقبولا عند أهل مدينته وأصدقائه»، وهو نموذج من الأسانيد المعتمدة في العلوم النّقليّة، وخاصّة منها التّفسير والحديث، وذلك بقصد إثبات صدقيّة الخبر المنقول وعدليّة ناقليه.

7) نفسه: 149، وفيه: «قال المؤلّف: حدّثني رجل كبير من أهل مصر، ثقة».

8) نفسه: 153، وفيه: «قال صاحب الحديث: حكى لي رجل وكيل، وكان كثير الحراف، وقد قرأن ودار، وحفظ الأسمار، وروى الأخبار، وأنشد الأشعار»، وهو سند يؤكّد، زيادة على عدليّة الرّاوي، على خبرته النّاتجة عن تجربة شخصيّة في مجال الحرافة.

9) نفسه: 169، وفيه: «قال المؤلّف: حدّثني بعض الرّكبداريّة بمصر المحروسة، يقال له مسعود البوز، قال: حكى لي صديق، يقال له أحمد شويخ، مهتار شمس الدّين سنقر، في أيّام المملكة النّاصريّة»، وهو سند تتظافر فيه الإحالات الزّمكانيّة وأسماء الأعلام على تأكيد صحّة الحكاية المنقولة.

10) نفسه: 163، وفيه: «قال المؤلّف: ومن أعجب ما سمعت من دواهي النّساء ومكرهنّ، هذا الماجريّة»، وفي هذا السّند جنوح إلى التّعميم يراد منه الإيهام بأنّ الخبر المنقول هو من الأخبار

والسّادسة عشرة[1]، والعشرين[2]، والرّابعة والعشرين[3]، والخامسة والعشرين[4].

ولعلّ غرض الكاتب، في اتّباعه هذا المنهج، أن يوحي لقارئه بأنّه بصدد وضع موسوعة ضافية في الغرض الّذي قصر عليه همّه واهتمامه، على مثال الموسوعة الّتي وضعها المدعوّ أبو يوسف القيروانيّ في أربعة مجلّدات، اختصارا لموسوعة ضخمة كان صنعها قبله مؤلّف من أهل تبريز، تقع في حوالي ثلاثين مجلّدة[5]. ولكنّ حجم الكتاب الّذي بين أيدينا اليوم لا يدعم هذا الفرضيّة، بل يجوّز عكسه تماما، وهو ما عبّر عنه أبو يوسف القيروانيّ بقوله للمؤلّف: «أظنّك يا مصريّ قد أتعبت خاطرك، وأشغلت سرّك، وأفنيت نفائس عمرك فيما لا ينفعك ولا يضرّك، فأين أنت ممّن له ثمانين سنة يكتب حيل النّساء، وما لهنّ من الإجرام والإساءة»[6]،

المشهورة، الكثيرة التّداول، لا يُحتاج إلى ردّه إلى مصادر معلومة بسبب كثرتها.

1) نفسه: 179، وفيه: «قال المؤلّف: من أعجب ما حكي لي، وسمعته من حيل النّساء الماكرات بأزواجهم المغفّلين».

2) نفسه: 225، وفيه: «قال المؤلّف: قال الشّيخ السّديد: من أعجب ما سمعته من حديث التّغفّل، حكي لي إنسان».

3) نفسه: 257، وفيه: «قال المؤلّف: من أعجب ما سمعته من الأخبار الماضية، والحكايات السّالفة»، وفي هذا السّند بالذّات إشارة واضحة إلى نقل المؤّلف عن مصدر أو مصادر مكتوبة معروفة ومتداولة، كما هو الشّأن بالفعل مع كتاب «ألف ليلة وليلة» الّذي نقل عنه بتصرّف نصّ هذه الماجريّة.

4) نفسه: 261، وفيه: «قال المؤلّف: ومن أعجب ما سمعته من مكر النّساء أنّ رجلا...»، وهو سند في معنى السّند السّابق، يحيل مرّة أخرى على مصدر قديم هو كتاب «ألف ليلة وليلة»، وعن هذا الكتاب أيضا نقل واضع كتاب «الرّوض العاطر في نزهة الخاطر»، وهو كتاب متأخّر عن كتاب «الزّهر الأنيق».

5) نفسه: 84.

6) نفسه: 82-83.

في إشارة منه إلى أنّه من المستحيل استيفاء البحث والتّقصّي في موضوع «كيد النّساء» لأنّه، على حدّ قول المؤلّف التّبريزيّ «شيء مثل أمواج البحر، لا يحصره عدده، ولا ينقطع مدده»[1]. وتعتبر الماجريّة السّادسة، الّتي نقلت منها هذه الشّواهد، البرهان القاطع على هذه الاستحالة.

بقي أن نشير أنّ الكتاب يمتاز، على ما أكّده مؤلّفه، بوحدة الموضوع، باعتباره يتضمّن خمسة وعشرين حكاية مستقلّة عن بعضها البعض تتمحور كلّها حول موضوع كيد النّساء. ولكنّ النّاظر في الكتاب سرعان ما يتبيّن أنّه بني بطريقة أكثر تعقيدا، وأنّه أخلّ بوحدة موضوعه، على الأقلّ في واحدة من الماجريات الخمسة والعشرين، وهي الماجريّة العاشرة الّتي تتناول موضوعي اللّواط والزّنا[2]. أمّا في ما يخصّ البناء، فقد لاحظنا أنّ المؤلّف ربط، على طريقة شهرزاد في «ألف ليلة وليلة» بين الماجريّتين السّادسة والسّابعة، والسّابعة عشرة والثّامنة عشرة، والحادية والعشرين والثّانية والعشرين، وأخيرا بين الثّانية والعشرين والثّالثة والعشرين.

والكتاب، بالنّظر إلى مضمونه، لا يشذّ عن الأدبيّات الشّائعة في زمانه، في إطار الثّقافة العربيّة الإسلاميّة وفي غيرها من ثقافات الأمم في العصر الوسيط، الّتي تتضمّن ترسانة ضخمة من الآثار

1) نفسه: 84.

2) نفسه: 105-108.

والأخبار والمواعظ والحكم والأمثال والقصص المثليّة والحكايات الهزليّة، وكلّها تكرّس دونيّة المرأة، وتقضى بناء على ذلك على ضرورة ازدرائها والتّحرّز من شرورها بالتّضييق عليها في سلوكها وحركاتها وسكناتها. والسّبب في ذلك أنّ الكتاب، وما أشبهه من كتب المتقدّمين والمتأخّرين، يصدر عن ذهنيّة قضيبيّة معادية للمرأة، لا تدين المرأة المسلمة وحدها، بل تتعدّى ذلك إلى إدانة المرأة اليهوديّة والمسيحيّة الشّرقيّتين، وجنس النّساء بصورة عامّة باعتباره يمثّل آفة كونيّة وخطرا داهما يتهدّدان جنس الرّجال، والمؤسّسة الزّوجيّة، والمنظومة الأخلاقيّة الّتي تنهض عليها.

والفكرة التي تترسّب في ذهن قارئ هذا الكتاب، هي أنّ المرأة كائن شبقيّ محكوم بنوازعه الجنسيّة المشطّة، فهو لذلك لا يستنكف من اقتراف كلّ التّجاوزات والانتهاكات والفضائح. والكتاب يحلّ الرّجل عامّة، والزّوج بصورة خاصّة، محلّ الضّحيّة المميّزة لهذا الكائن الشّيطانيّ المجبول على الشّرّ. والحقيقة أن هذه الصّورة النّمطيّة، الّتي تشيطن المرأة وتحمّلها وحدها وزر المخالفات والموبقات الّتي لا يخلو منها مجتمع إنسانيّ مهما كانت درجة استقامته وانضباطه، هي نفسها الّتي نعثر عليها في المأثورات الدّينيّة الإسلاميّة، وفي مختلف المجاميع الأدبيّة والوعظيّة، وهي نفسها الّتي تعشش اليوم في ذهنيّة المسلم المعاصر، وفي عقله الباطن، وتفسّر إلى حدّ بعيد الإعتداءات

الفاحشة الّتي تتعرّض لها المرأة بتأثير من الشّحن الإسلامويّ المطّرد في مختلف المجتمعات العربيّة الإسلاميّة الواقعة تحت هيمنة هذا الفكر الكليانيّ السّلطويّ.

4 - منهجنا في التّحقيق

وقد تمثّل عملنا في هذا الكتاب في:

* ضبط المتن، والتّأكّد، قدر الطّاقة، من سلامته، وذلك بمراجعة ما أمكننا العودة إليه من المصادر المتاحة، وهي لا تزيد عن اثنين كما تقدّم بيانه في فقرة سابقة. وقد تجشّمنا الكثير من العناء أثناء قيامنا بهذا العمل بسبب اللّغة المعتمدة من المصنّف، وبسبب مواضع الإشكال في متن المخطوطة، وهي كثيرة كما هو مبيّن في هوامش التّحقيق.

* شرح المفردات الاصطلاحيّة واللّغويّة بالاعتماد على المعاجم المختصّة، وأهمّها ترجمة معجم دوزي الموسومة بـ «تكملة المعاجم العربيّة»، ومعاجم التّعريفات الحضاريّة الخاصّة بالوظائف السّلطانيّة، والملابس، والمآكل، والصّناعات، وغيرها.

* التّرجمة للأعلام الواردة في المتن، معوّلين في ذلك على المصادر التّاريخيّة الّتي عنيت بالعهد الّذي عاش فيه المصنّف، وقد نصصنا عليها في هوامش التّحقيق، وأثبتناها في فهرس المصادر والمراجع.

* ضبط بحور الأشعار، وهو عمل اضطلع به، بالنّيابة عنّا، الزّميل د. بشير الورهاني الّذي قام، إلى جانب ذلك، بقراءة المسوّدة الأولى للتّحقيق، وتكلّف تصويب ما اعتراها من هنات وأخطاء.

* صنعنا فهارس للكتاب تيسّر قراءته والاستفادة منه، مراعين في ذلك خصوصيّة هذا المصنّف، وعددها ستّة عشر، وهي على التّوالي:

1 - فهرس الآيات القرآنيّة.

2 - فهرس الأعلام والكنى.

3 - فهرس القوافي.

4 - فهرس الموشّحات.

5 - فهرس البلاليق.

6 - فهرس الألفاظ الجنسيّة (الفصيحة والعامّيّة).

7 - فهرس الكنايات الجنسيّة.

8 - فهرس الأمثال وما يجري مجراها.

9 - فهرس الأماكن والمواضع.

10 - فهرس الوظائف السّلطانيّة والمهن والصّنائع.

11 - فهرس الأطعمة والأشربة والخضر والغلال والحلوى.

12 - فهرس الأثواب والألبسة والأحذية والأقمشة والحليّ.

13 - فهرس النّباتات والأزهار والطّيوب.

14 - فهرس الشّعوب والقبائل والملل والطّوائف والنّحل.

15 - فهرس الحيوان.

16 - فهرس عناوين الكتب الواردة في المتن.

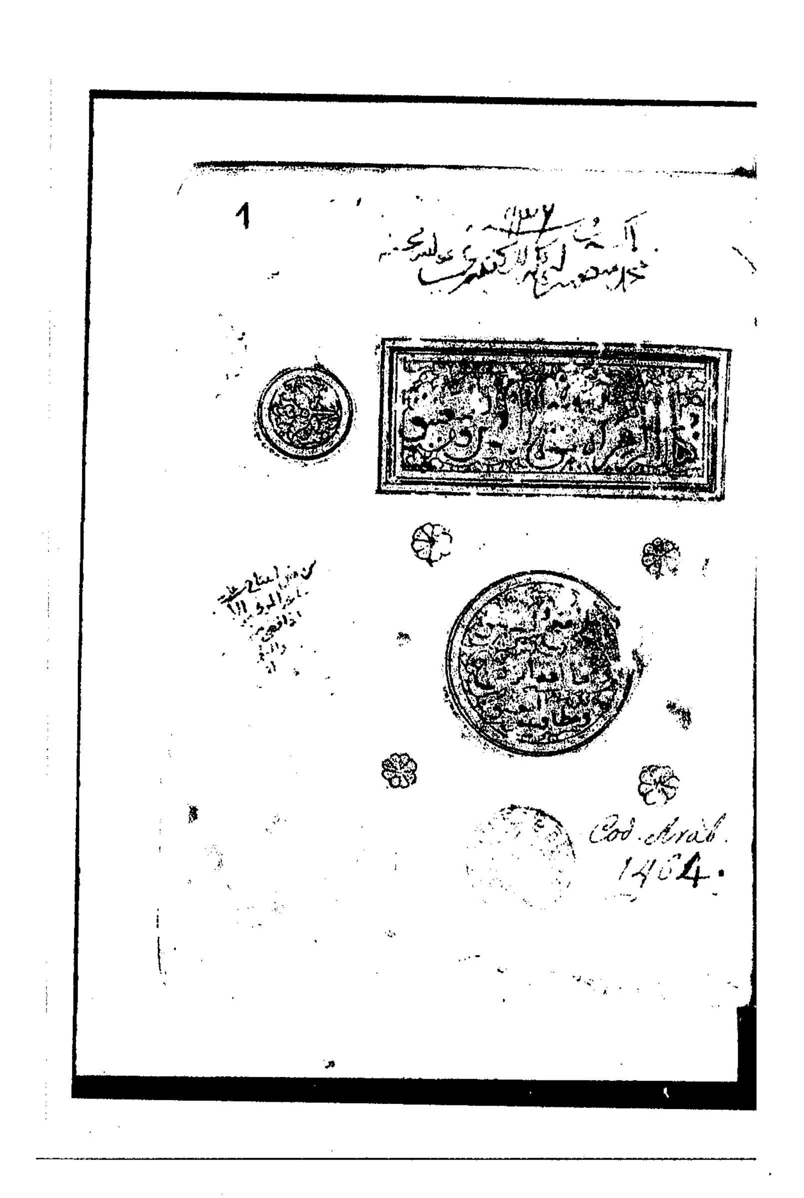
وقد بذلنا، في تحقيق هذا السّفر النّادر الطّريف، أقصى الجهد، ونأمل أن نكون أصبنا بعض الشّيء، ونعتذر عن الأخطاء والزّلاّت والهنات الّتي فاتتنا، فالكمال للّه وحده.

د. فرج الحوار

حمّام سوسة، 2021/7/6

صُوَرُ وَرَقَاتٍ مُخْتَارَةٍ مِنَ الْمَخْطُوطِ الْمُعْتَمَدِ فِي التَّحْقِيقِ





مخطوط المكتبة الوطنيّة الفرنسيّة بباريس رقم 3671، ورقة العنوان

بسم الله الرحمن الرحيم وعليه توكلي

[illegible]

الذي خلق الخلق بقدرته وبسط الرزق بحكمته
وصلى الله على خير خلقه محمد واله وعترته
فاني وجدت من تقدم من الاعيان
وعنى بتاليف كتب الهزل والمجان مثل بن اسد وابن
قزمان وبن مولاهم وبن دانيال واحمد النجار
والبرهان والمنسوب الى وهران قد جردوا
في الات الهزل اشيا عديده طويله غير مفيده
واهملوا ذكر ربات القناع صاحبات الحيل مع
المكر والخداع من ذكرهن والتحذير من
شرهن ومكرهن فاحببت ان اجرد فيهن

ما

مخطوط المكتبة الوطنيّة الفرنسيّة بباريس رقم 3671، بداية الكتاب

للغربال ثم انها خرجت من الخزانة والغربال في يدها
ووضعت فيه التراب وجعلت الدرهم فيه وهزته وسربته
وقالت يا رجل ها قد وجدته فقال الحمد لله الذي لم
يذهب من رزقنا شيء ق لــــــ فاستظرفت
انا هذه الماجرية وعجبت من سرعة احضارها الحيلة على
الفور والجواب الحاضر وكتبتها عن الدمشقي

الماجرية السادسة

ق لــ المولف ــــــ

عفا الله عنه ق لــــ سافرت سفرة الى حلب
الشهباء في زمن سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاون
نزلت بالمدرسة الناصرية المنسوبة اليه التي خلف
المدرسة العصرونية التي يحكم فيها قاضي القضاة وكانت

او ١

مخطوط المكتبة الوطنيّة الفرنسيّة بباريس رقم 3671، بداية الماجريّة السّادسة

109

وعرضهم ما جرا لي مع العامره وذهابها بالي وقماشي
لا ذهب اسى لا عوده له فانظروا يا جماعه هذه الحيله
التي تمت علي شلي وانا ادعي الشطاره ولقد حكا لي شخص
ما جرى من اصحابي حكايه تخص جرت له فهذا هات اسمعنا

الماجريه الرابعه والعشرون

عفا الله عنه اخبرنا الشيخ المقدم ذكره ان تاجرا من اصحابه
كان يهوى امراه مليحه وهي زوجه جندي فسالها التاجر
مرارا في مواصلته وهي تابى ذلك فالح عليها فارسلت تقول
له ان اردت مواصلتي فابعث لي شقه اسود من اسود اسكندرا
وثلاثه اذرع ونصف خرقه لباس اسقلاط اسكندراني وثلاثه
اذرع ونصف اطلس ... فلم يكن له ذهب

مخطوط المكتبة الوطنيّة الفرنسيّة بباريس رقم 3671، بداية الماجريّة الرّابعة والعشرين

116

العهد والميثاق الذي اشهدنا الله تعالى علينا به تعالى

لما الرجل والله انا متفكر في نفسي الا انكي تعلمين هذا منذ

خرجت انا وما جيت مع العجوز الا المارا ابتغا قاصده الى

عود داري ثم اقبل الرجل تعذر للامراه وسل بها ورجلها

حتى رضيت عليه وصالحها واكساها كسوة فاخرة وبعد ما

كان هو الغالب صار هو المغلوب وذلك من شدة حيلهن

ومكرهن نعوذ بالله من ذلك كله وهذا ما انتهى الينا من

حديثهم وجوابهم واختصارهم الجمله في اقرب وقت ونعوذ

بالله من ذلك والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد واله

وصحبه وسلم تسليما ابدا ورضي الله

عن اصحاب رسول الله اجمعين

فرغ من كتابته في شهر الله المعظم رمضان سنة

ثمان وسبعين وثمانمائة والله تعالى يغفر لنا الجميع

اودعت فيه شهادة ان لا اله الا الله وحده لا شريك له

وان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

[illegible]

مخطوط المكتبة الوطنيّة الفرنسيّة بباريس رقم 3671، نهاية الكتاب



كِتَابُ الزَّهْرِ الأَنِيقِ فِي البَوْسِ
وَالتَّعْنِيقِ وَالْهَيْجِ وَالشَّهِيقِ
وَمُخَالَفَةِ الزَّوْجِ وَمُطَاوَعَةِ العَشِيقِ
[النَّصُّ الْمُحَقَّقُ]



[خُطْبَةُ الكتَابِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ
وَعَلَيْهِ نَتَوَكَّلُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ العَلِيِّ شَأْنُهُ، الظَّاهِرِ بُرْهَانُهُ، الَّذِي خَلَقَ الْخَلْقَ بِقُدْرَتِهِ، وَبَسَطَ الرِّزْقَ بِحِكْمَتِهِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّد وآلِهِ وَعِتْرَتِهِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي وَجَدْتُ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الأَعْيَانِ، وَعَنِيَ بِتَأْلِيفِ كُتُبِ الْهَزْلِ وَالْمُجَّانِ، مِثْل ابنِ أَسَدٍ[1]، وابْنِ قُزْمَانَ[2]، وابنِ مولاَهُمْ[3]، وَابْنِ

---

1) في فوات الوفيات: 100/2 رقم 191: «شرف بن أسد المصريّ ؛ شيخ ماجن متهتّك ظريف خليع، يصحب الكتّاب، ويعاشر الندماء، ويشبّب في المجالس على القيان. له شعر كثير من البلاليق والأزجال والموشّحات وغير ذلك، وكان عامّيّاً مطبوعاً قليل اللّحن، يمتدح الأكابر، ويستعطي الجوائز، وصنّف عدّة مصنّفات في مشاشاة الخليج والزّوائد الّتي للمصريّين، والنّوادر والأمثال، ويخلط ذلك بأشعاره. توفّي سنة 738 هـ». آنظر: الدّرر الكامنة: 286/2

2) في الأعلام: 322/6: ابن قزمان: «محمّد بن عيسى بن عبد الملك بن عيسى، أبو بكر ابن قُزمان: إمام الزّجّالين بالأندلس. وله شعر. وقد يلقّب بابن قزمان الأصغر، تمييزا له عن عمّه محمّد بن عبد الملك (كاتب المتوكّل، صاحب بطليوس) . وهو من أهل قرطبة. كان يتردّد إلى إشبيلية. وتناقل النّاس أزجاله في أيّامه، حتّى قيل: روي له ببغداد أكثر ممّا كان يروى له بالأندلس. وقالوا: كان في أوّل شأنه مشتغلا بالنّظم المعرب، فرأى نفسه يقصّر عن أفراد عصره، كابن خفاجة وغيره، فعمد إلى طريقة لا يجاريه فيها أحد منهم، فصار إمام أهل الزّجل المنظوم بكلام العامّة في الأندلس. له «إصابة الأغراض في ذكر الأعراض»، وهو جزء من ديوان أزجاله». توفّي 555 هـ. آنظر: المغرب في حلى المغرب: 167/1، والوافي بالوفيات: 11/4 رقم 1840.

3) ذكر الصّفدي في الوافي بالوفيات: 241/2 رقم 575، أنّه ابن مولاهم المصريّ، وله كتاب في

دَانْيَالَ[1]، وَأَحْمَدَ النَّجَّارِ[2]، وَالبُرْهَانِ[3]، وَالْمَنْسُوبِ إِلَى وَهْرَانَ[4]، قَدْ جَرَّدُوا فِي كُتُبِ[5] الْهَزْلَ أَشْيَاءَ عَدِيدَةً، طَوِيلَةً غَيْر مُفِيدَةٍ، وَأَهْمَلُوا ذِكْرَ رَبَّاتِ القِنَاعِ، صَاحِبَاتِ الْحِيَلِ، مَعَ الْمَكْرِ وَالْخِدَاعِ، مِنْ ذِكْرِهِنَّ وَالتَّحْذِيرِ مِنْ شَرِّهِنَّ وَمَكْرِهِنَّ.

فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُجَرِّدَ فِيهِنَّ كِتَاباً، أَجْمَعُ فِيهِ جُهْدَ الاسْتِطَاعَةِ مِنَ الْهَزْلِ، وَالْخِدَاعَةِ[6]، وَاللَّعِبِ، وَالْخَلاعَةِ، بِتَوْضِيحِ مَا فِي الْمِثَالِ[7] السَّائِرِ، وَإِلْهَامِهِنَّ الْجَوَابَ الْحَاضِرَ، مَا يُفْرِجُ الْهَمَّ، وَيُزِيلُ كُلَّ حُزْنٍ وَغَمٍّ، يَشْرِحُ الْخَاطِرَ، وَيُضْحِكُ السَّامِعَ، وَيَبْهَرُ النَّاظِرَ.

الصّنائع، يشبه كتاب محمّد بن إسحاق اليغموري، الموسوم بـ «كتاب الإطّلاع على منادمة الصنّاع».

1) في الأعلام: 120/6: «محمد بن دانيال بن يوسف الخزاعيّ الموصليّ، شمس الدّين: طبيب رمديّ (كحّال) من الشّعراء. أصله من الموصل، ومولده بها. نشأ وتوفّي في القاهرة. وكانت له دكّان كحل في داخل باب الفتوح. له كتب، منها «طيف الخيال» في معرفة خيال الظلّ، وأرجوزة سماها «عقود النّظام فيمن ولي مصر من الحكّام»، شرحها وترجم لمن اشتملت عليهم، ابن حجر العسقلاني في كتابه «رفع الإصر» . وشعره رقيق. وكان صاحب نكت ونوادر ومجون، نعته صاحب عقود الجمان بالحكيم الأديب الخليع. له ديوان». توفّي 710 هـ. أنظر: النّجوم الزّاهرة: 215/9، والبدر السّافر: 92، والوافي بالوفيات: 43/3 رقم 953، وفوات الوفيات: 330/3 رقم 443.

2) لم نعثر له على ترجمة.

3) لم نعثر له على ترجمة.

4) في الأعلام: 19/7: «محمّد بن محرز بن محمّد، أبو عبد الله الوهرانّي: منشئ، من أكابر الظّرفاء. أصله من وهران (بقرب تلمسان) قدم الدّيار المصريّة في أيام السّلطان صلاح الدّين، فاجتمع فيها بالقاضي الفاضل، والعماد الأصبهانيّ، وغيرهما من أئمّة الإنشاء. ولم يكن من طبقتهم، فعدل عن طريق الجدّ، وسلك مناهج الهزل، فأقبل النّاس على أقواله ورسائله. ثمّ تنقّل في بلاد الشّام، وأقام في دمشق زمنا، وتولّى الخطابة بداريا (من قراها)، وتوفّي فيها. له «الرّسائل» في تسعة كراريس، تعرف بـ «منشآت الوهراني»، و«المنامات»: قال ابنُ خلكان: «لو لم يكن له فيها إلاّ المنام الكبير لكفاه»، وزاد ابن قاضي شهبة: «فإنه ما سبق إلى مثله. توفّي 575 هـ.» أنظر: وفيات الأعيان: 385/4 رقم 656، والعبر: 225/4، والوافي بالوفيات: 273/4 رقم 1947، وشذرات الذّهب: 417/6.

5) في الأصل: «الكتب»، صوابه ما أثبتنا.

6) في تكملة المعاجم: 29/4 خدع: «خداعة: خدعة، مخاتلة، مكر، خديعة».

7) كذا في الأصل، ولعلّ الصّوابَ «المثل»، إشارة إلى الآية: +إنّ كيدهنّ عظيم».

وَرَتَّبْتُهُ مَاجرِيَاتٍ[1]، وَأَشْعَاراً[2]، وَحِكَايَاتٍ، وَأَخْبَاراً مِنَ الْهَزْلِ، وَالْخَلاَعَةِ، وَالْمُجُونِ، وَحِيَلِ النِّسَاءِ، وَحِذْقِهِنَّ، وَتَحْقِيقِ مَكْرِهِنَّ[3] مَعَ الزَّوْجِ وَالعَشِيقِ، وَاسْتِيلاَئِهِنَّ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ[4] الْمُتَغَفَّلِينَ[5]، وَفِي مَا وَقَعَ مِنَ الْحِيَلِ وَالاحْتِيَالِ، وَمَا صَدَرَ عَنِ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.

1) في تكملة المعاجم العربيّة (سنشير إليه لاحقا بتكملة المعاجم): 201/2 جرى: «مجرى: حادثة، واقعة».
2) في الأصل: «أشعار».
3) في الأصل: «تحقيق ومكرهنّ».
4) في الأصل: «استيلائهم على أزواجهم».
5) كذا في الأصل، ولا تستقيم إلاّ بهذا الضّبط، من «استغفل فلانا: طلب غفلته» ؛ آنظر: تكملة المعاجم: 418/7 غفل.

الْمَاجِرِيّةُ الأُولَى

قَالَ الْمُؤَلِّفُ (عَفَا اللَّهُ عَنْهُ)[1]:

بِتُّ لَيْلَةً فِي الْحَبَّانِيَّةِ[2] مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ الْحُرَفَاءِ الكَيِّسِينَ الظُّرَفَاءِ، فَتَجَارَيْنَا حَدِيثَ النِّسَاءِ، وَمَا فِيهِنَّ مِنَ الإِحْسَانِ وَالأَسَى. وَكَانَ فِي الْجَمَاعَةِ شَيْخٌ يُسَمَّى نَاصِر الدِّينِ شَيْخ البِيرِ، العُمْر بِهِ قَصِيرٌ، يُضْحِكُ الثَّكَالَى، شَكْلُهُ يُغْنِي عَنْ فِعْلِهِ.

قَالَ لَنَا:

يَا جَمَاعَة، كَانَ فِي زَمَانِنَا - وَنَحْنُ شَبَابٌ - قَصِيفَةٌ[3] تُسَمَّى قَفْحَق[4] القَلْعِيَّة، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ تِسْعِينَ وَسِتِّمائَةٍ. وَكَانَ وَالِدُهَا أَمِير كَبِيرٌ[5]، قَدْ مَاتَ وَخَلَّفَ لَهَا مَالاً كَثِيراً، فَودَّرَتْهُ[6] عَلَى شَابٍّ مِنَ الشُّبَّاحِ[7]

---

1) سكّردان العشّاق (مخطوط جامعة يال رقم MSS 27a): ق 34ب.

2) في معجم البلدان: 211/2: «من قرى الكوفة، كانت بها وقعة بين زياد بن خرّاس العجليّ، من الخوارج، وطائفة معه، وبين أهل الكوفة، هزم فيها الكوفيّين، وقتل منهم جماعة، وذلك في أيام زياد ابن أبيه».

3) في تكملة المعاجم العربيّة 297/8 قصف: «قصيفة: ماخور، بيت الدّعارة، وقصّاف: داعر، فاجر عاكف على الدّعارة والفجور».

4) في السّكّردان: «قفجق».

5) في السّكّردان: «من الأكابر».

6) في تكملة المعاجم: 50/11 ودر، نقلا عن «محيط المحيط»: «ودّر ماله: بذّره وأسرف فيه».

7) في الرّائد: «شَبَحَ الرّجل: امتلأت ذراعاه، وبعُد ما بين منكبيه»، وفي السّكّردان: «الشّباب».

الْمِلاَحِ، اسْمُهُ بَدْر بنُ الصَّبَاحِ[1]، فِي طِيبٍ[2] وَقَصْفٍ وَتِيهٍ وَانْشِرَاحٍ. وَآخِرُ القَضِيَّةِ أَنَّهَا خَرَجَتْ مُغَنِّيَةً.

فَاتَّفَقَ لِي يَوْماً[3] مِنَ الأَيَّامِ أَنِّي حَصَّلْتُهَا عِنْدِي، وَعَبَّيْتُ[4] لَهَا مَقَاماً[5] وَشَرَاباً[6]، وَمَا يُعْوِزُ ذَلِكَ الوَقْتِ، [ثُمَّ خَرَجْتُ فِي حَاجَةٍ مِنْ حَاجَاتِي، فَصَدَفْتُ بَدْرَ بنَ الصَّبَاح مَارّاً فِي الطَّرِيقِ، وَكَانَ مِنْ أَعَزِّ أَصْحَابِي، وَلَمْ أَعْرِفْ أَنَّ بَيْنَهُمَا مَوَدَّةً وَصُحْبَةً. وَكَانَ إِذَّاكَ لَهُ أَيَّامٌ مُغْتَاظٌ عَلَيْهَا، وَلَمْ يُكَلِّمْهَا، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدِي خَبَرٌ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ. وَكَانَ ظَرِيفاً لِمَا يُحْمَدُ مِنْ عِشْرَتِهِ، فَعَزَمْتُ عَلَيْهِ.

قُلْتُ لَهُ: يَا سُبْحَانَ! مَنْ أَتَانِي بِكَ؟

فَأَتَيْتُ بِهِ إِلَى البَيْتِ، وَأَوْقَفْتُهُ فِي الدِّهْلِيزِ وَدَخَلْتُ، فَتَنَحْنَحَ فَسَمِعَتْهُ، فَعَرَفَتْهُ، فَاصْفَرَّ لَوْنُهَا، وَتَحَيَّرَتْ فِي أَمْرِهَا، وَاضْطَرَبَتْ غَايَةَ الاضْطِرَابِ، فَلَمْ يَسَعْهَا إِلاَّ أَنْ بَاحَتْ لِي بِسِرِّهَا، وَقَالَتْ: هَكَذَا عَمِلْتَ مَعِي، وَهَتَكْتَنِي مَعَ صَاحِبِي!

فَقُلْتُ لَهَا: يَا سِتِّي، وَاللَّهِ لاَ عِنْدِي مِنْ هَذَا خَبَرٌ، وَلَوْ عَلِمْتُ لَمْ أُحْضِرْهُ، وَإِنْ كَرِهْتِ الحُضُورَ عَلَيْهِ، فَغَطِّي رَأْسَكِ، وَقُومِي فِي دَعَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى حَالِ سَبِيلِكِ.

---

1) في السّكّردان: «بدر بن عبد الفتّاح».

2) في الأصل: «طيبه»، وأثبتنا ما في السّكّردان.

3) إضافة من السّكّردان.

4) في تكملة المعاجم: 131/7 عبا: «عبّى متجرا: هيّأ له بضاعة يتّجر بها».

5) في السّكّردان: «هيأت المقام».

6) في الأصل: «مقام وشراب».

قَالَتْ: فَأَنْت ذَكَرْتَنِي لَهُ؟

فَقُلْتُ: لاَ وَاللَّهِ.

قَالَتْ: فَمَا بَقِي فِي الْمُمْكِنِ إِلاَّ أَنْ تَقُولَ لَهُ إِنِّي اتَّفَقْتُ مَعَكَ، وَتَدَخَّلْتُ عَلَيْكَ أَنَّكَ تُصْلِحُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وأَنَّكَ خَرَجْتَ لِتَأْتِيَنِي بِهِ، فَصَدَفْتَهُ فِي الزُّقَاقِ. وَيَكُونُ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِكَ وَإِحْسَانِكَ عَلَيَّ، وَأَنَا أَبْقَى جَارِيَتَكَ، وَكُلَّمَا طَلَبْتَنِي حَضَرْتُ إِلَيْكَ، وَأَنَا فِي جِيرَتِكَ.

فَقُلْتُ لَهَا: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ.

فَاتَّفَقْنَا عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ إِنِّي أَمَرْتُهُ بِالدُّخُولِ، فَنَهَضَ إِلَى الدُّخُولِ وَدَخَلَ، فَنَهَضَتْ إِلَيْهِ وَقَالَتْ: وَقَعْتَ يَا عَيَّار[1]، تَقُولُ فِي ذِهْنِكَ إِنِّي أَرْجِعُ عَنْكَ، وَاللَّهِ لَوْ طَالَ الأَمْرُ عَلَيَّ لَكُنْتُ مِتُّ.

ثُمَّ إِنَّهَا عَرَّفَتْهُ أَنَّهَا اتَّفَقَتْ مَعِي حَتَّى أَصْلَحْتُ بَيْنَهُمَا][2]، وَانْطَلَى عَلَيْهِ أَنَّهَا هِيَ الَّتِي عَمِلَتِ الْمَقَامَ لأَجْلِهِ، قَصْداً مِنْهَا وَحِيلَةً عَلَيْهِ، وَذَكَرَتْ لَهُ أَنَّهَا هِيَ الَّتِي أَرْسَلَتْ إِلَيْهِ شَيْخَ البِيرِ[3].

وَلَمَّا طَابَ الْمَقَامُ، وَرَاقَ الْمُدَامُ، وَحَمِيَ الكَلاَمُ، أَخَذَتْ قَفْحَق الطَّارَ، وَنَقَرَتْ عَلَيْهِ بِأَصَابِعِهَا، وَأَشَارَتْ إِلَى مَعْشُوقِهَا وَحَرِيفِهَا وَصَدِيقِهَا بَدْرٍ، وَفَتَحَتْ صَوْتَهَا، وَغَنَّتْ تَقُولُ:

---

1) في تكملة المعاجم: 360/7 عير: «عيّار: أريب، نبيه، محتال، شاطر».

2) ما بين الحاصرتين (من «خرجت» إلى هنا) ساقط في الأصل، وقد استدركناه من السّكّردان.

3) في السّكّردان: «وانطلت عليه الحيلة، فظنّ في نفسه أنّها ما تمكّن أحدا من نفسها غيره. قال: ثمّ إنّهم جلسوا وهو يتحقّق أنّ المقام والمدام ما جعل إلاّ لأجله، فأكلوا وشربوا ولذّوا وطربوا، ودارت بينهم الأقداح، وهي تقول: حبيبي بدر الدّين بن عبد الفتّاح».

طَمَّعْـــتِ قَلْبِـــــي بِوَصْلِـــكِ[1]

حَسِبْـــتُ وَعْـــــدَكِ[2] قَرِيــــبْ

خَـــابِ الأَمَـــلْ، صِـــرِتْ بَعْـــدَكْ

فِي الْحَـــيِّ مُلْقَـــى غَرِيــــبْ

جِسْمِـــي مِنَ الْحُـــبِّ نَاحِـــلْ

مُـــــذْ غِبِـــتْ عَنْ نَاظِـــرِي

وَكَـــــمْ قَطَعِـــــتْ مَرَاحِـــلْ

وَأَنْـــــت فِـــي خَاطِــــرِي

خَلاَّنِــــي العِشِـــــقْ وَاحِـــلْ

فَصَبَّحِــــــتْ[3] يَـــا هَاجِــــرِي

بَيْنَ الرُّبُـــــوعْ أُنَـــــادِي

وَلَـــمْ أَجِـــدْ [لِـــي طَبِيبْ][4]

خَـــابِ الأَمَـــلْ، صِـــرِتْ بَعْـــدِكْ

فِـــي الْحَـــيِّ مُلْقَـــى غَرِيـــبْ

لَـــك ثَغِـــرْ جَوْهَـــرْ، وَرِيقِـــكْ

صَـــوَابْ، وَوَجْهِـــكْ صَبِيـــحْ[5]

---

1) في السّكّردان: «بحبّك».

2) في السّكّردان: «وصلك».

3) في الأصل: «وصرت»، والمثبت من السّكّردان.

4) في الأصل: «وعدك»، والمثبت من السّكّردان.

5) في الأصل: «مليح»، والمثبت من السّكّردان.

عَنْبَـــرْ بِمَرْشَـــفْ[1] جَبِينِـــكْ

مِـــنْ فُـــوقْ خَـــدْ كَافُـــورْ مْلِيحْ[2]

مَسْـــــرُورْ أَتَانَـــا بَشِيـــرِكْ

بِالْمُلْتَقَـــــى عَنْ صَحِيـــــحْ

قَـــدْ كُنِـــتْ بِالوَصِـــلْ مُحْسِـــنْ[3]

وَأَنْـــتَ أَغْلَـــى[4] نَجِيـــبْ

خَـــابِ الأَمَـــلْ، صِـــرِتْ بَعْـــدَكْ

فِـــي الْحَـــيِّ مُلْقَـــى غَرِيـــبْ

نُومِـــي نَفَـــرْ مِنْ عُيُونِـــي

وَأَلِـــفْ جَفْنِـــي السَّهَـــرْ[5]

وَالدَّهِـــــرْ خَيَّـــبْ ظُنُونِـــي

وَكَـــمْ بِمِثْلِـــي غَـــدَرْ؟

يَـــا رِيـــتْ[6] الأَحْبَـــابْ إِيجُونِي أَوْ

أَسْمَـــعْ عَنْهُـــمْ[7] خَبَـــــرْ

جِسْمِـــي خَفِي مِـــنْ سِقَامِـــي

وَلَـــمْ أَجِـــدْ لِـــي طَبِيـــبْ

---

1) في السّكّردان: «رشيد».

2) في الأصل: «صبيح»، والمثبت من السّكّردان.

3) في الأصل: «يحسن»، والمثبت من السّكّردان.

4) في الأصل: «أعلا»، صوابه ما أثبتنا من السّكّردان.

5) في السّكّردان: «لجسمي السّهر».

6) في السكّردان: «يا ليت».

7) في السكّردان: «عنهم أسمع».

خَــابِ الأَمَــلْ، صِــرِتْ بَعْــدَكْ

فِــي الْحَــيِّ مُلْقَــى غَرِيــبْ

كَــمْ لِيلَــهْ بِــتّْ فِيهَــا

مِــنِ الفِــرَاقْ فِــي هُمُــومْ

غَــابْ عَنِّــي البَــدِرْ فِيهَــا

وَصِــرِتْ أَرْعَــى النُّجُــومْ

بِالرَّغْــم عَنِّــي[1] أَرْتَضِيهَــا

لأَنَّهَــا لاَ[2] تَــــدُومْ

أَمَّلِــتْ يَــا بَــدْر أَنَّــكْ

عَــنْ مَنْزِلِــي مَــا تَغِيــبْ

خَــابِ الأَمَــلْ، صِــرِتْ بَعْــدِكْ

فِــي الْحَــيِّ مُلْقَــى غَرِيــبْ

قَالَ صَاحِبُ الحَدِيثِ:

وَانْطَلَتِ[3] الْحِيلَةُ عَلَيْهِ، وَتَمَّتِ الْمَكِيدَةُ لَدَيْهِ. وَهَذِهِ حِكَايَتِي مَعَهَا.

قَالَ: فَتَعَجَّبْنَا مِنْ حُسْنِ حِيلَتِهَا، وَسُرْعَةِ اسْتِحْضَارِهَا فِي وَقْتِهَا[4].

قَالَ نَاصِرُ الدِّينِ، شَيْخُ البيرِ، رَحِمَهُ اللَّهُ:

---

1) في السكّردان: «منّي».

2) في السكّردان: «ما».

3) في الأصل: «انطبت».

4) في السكّردان: «قال الرّاوي: ثمّ إنّهما أقاما إلى الصّباح، وتوجّها إلى حال سبيلهما بعد أن تصالحا، ووفت لي بما وعدت، وصارت تتردّد عليّ وترى لي بذلك (كذا) المنّة الكبرى، وأنا في كلّ وقت أعجب من فطانتها وسرعة حيلتها».

وَقَدْ قَدَّمْتُ لَكُمْ هَذِهِ المَاجرِيَّةِ أَنَّ هَذِهِ الجَارِيَةَ قَفْحَق، المُشَار إِلَيْهَا، جَمَعَتْ خِصَالاً[1] مَا كَانَتْ فِي غَيْرِهَا، وَلاَ يَقْدِرُ عَلَيْهَا أَحَدٌ سِوَاهَا. أَمَّا صِفَاتُهَا، فَكَانَتْ أَطْوَلَ النِّسَاءِ قَامَةً، وَأَحْسَنَهُمْ هَامَةً، مَعَ جِسْمٍ مَلآنٍ بِالشَّحْمِ. وَكُنْتُ أَجْهَدُ أَنْ أَقْدِرَ أَعُضُّهَا، فَمَا أَقْدِرُ مِنْ قُوَّةِ لَحمِهَا مَعَ نُعُومَةِ بَشَرَتِهَا، وَلِينَ المَفَاصِلِ، وَظَرْف الأَنَامِلِ زَائِدٌ عَنْ حَدِّ القِيَاسِ، بِكُسٍّ كَأَنَّهُ بَسْطَةُ الْمِقْيَاسِ[2]، وَبِرِدْفٍ كَأَنَّهُ تَلُّ رَمْلٍ، عَلَى خِصْرٍ تَدُورُ عَلَيْهِ اليَدُ، بِكُفُوفٍ وَمَعَاصِمَ يُحَيِّرُوا مَنْ يَرَاهُمْ، وَيُخْرِجُوا العَاقِلَ عَنْ حَدِّ الاعْتِدَالِ. وَكَانَ لَهَا كَشْفَةٌ[3] لَمْ يُرَ[4] أَعْظَمُ مِنْهَا، يَقِلُّ الوَصْفُ عَنْهَا، بِسَطِيحٍ[5] مُشَفْتَرٍ[6] كَأَنَّهُ مِنْ حُسْنِهِ فَلْقَةُ قَمَرٍ. وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَضَعُ قَبْعِي[7] عَلَيْهِ محشيّة[8]، وَيَفْضُلُ سَوَاعِدُهُ وَأَجْنِحَتُهُ عَنِ القَبْعِ.

ثُمَّ إِنَّهَا كَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ فِي السُّكْرِ، وَطَابَ عَيْشُهَا، وَسَأَلْتُهَا أَنْ تَعْمَلَ أَنْدَاباً[9]، مَا يَقْدِر مَخْلُوقٌ أَنْ يَتْبَعَهَا فِيهِمْ.

---

1) في الأصل: «خصال».

2) كذا في الأصل، ولم نعثر لها على شرح، والواضح من السّياق أنّها تفيد الضّخامة.

3) في الأصل: «كشقة».

4) في الأصل: «يرى».

5) في تكملة المعاجم: 72/6 سطح: «سطيح، جمعه سطاح: سفيه، وقح، خالع العذار. ونبات سطّاح: ممتدّ على الأرض».

6) كذا في الأصل، وفي تكملة المعاجم: 326/6: «شفتورة: شفة الحيوان»، فلعلّ المقصود أنّ لكسّها شفرين غليظين تشبهان مشافر الحيوان.

7) في تكملة المعاجم: 172/8 قبع: «قبع والجمع أقباع: طاقية أو عرقيّة. أو قلنسوة مخروطيّة في شكل قالب السّكّر، أو لها شكل البطّيخة».

8) كذا في الأصل، ولم نعثر لها على شرح مناسب للمقام.

9) في الأصل: «أنداب»، وفي تكملة المعاجم: 188/10 ندب: «النّدّابة: نائحة المآدب».

النَّدْبُ الأَوَّلُ

وَكَانَ عِنْدِي دَسْتُ[1] أَقْدَاحٍ جَلِيَّةٍ مُذَهَّبَةٍ، يَسَعُ سَبْعَةَ أَرْطَالِ خَمْرٍ. وَكَانَتْ إِذَا رَقَصَتْ تُشَمِّرُ أَثْوَابَهَا، وَتُبرِزُهُ[2] مِنْ تَحْتِ اللِّبَاسِ، وَتَأْخُذُ القَدَحَ الْمَذْكُورَ، وَتُلَبِّسُهُ لَهُ بِالْجُهْدِ حَتَّى يَتَمَكَّنَ، وَيَبْقَى مَحْزُوقاً[3] عَلَيْهِ. ثُمَّ تَرْقُصُ عَلَى الإِيقَاعِ وَالدُّخُولِ، وَهْوَ لاَ يَقَعُ مِنْ شِدَّةِ حَزْقِهِ وَكِبَرِهِ، وَهْوَ حَشْو القَدَحِ.

وَكَانَتْ فِي رَقْصِهَا تُغَنِّي مُوَشَّحاً، وَتَقُولُ:

بِاللَّـــهِ عَلِيـــكْ يَـــا حَانِـــــي
أَرْفَـــعْ قَـــوِي سِيقَانِـــــي
وَاجْعَـــــلْ أَصَابِـــعْ رِجْلَـــــيَّ
مِـــنْ خَلْـــفِ شَحْمَـــة آذَانِـــي
كُسِّـــي اسْمُـــهْ أَبُــو رَاضِـــــي
مِـــنْ عُظْمُـــهْ سَـــدْ بِيـــنْ أَفْخَاذِي
كَأَنَّـــهْ مِـــنْ كُبْــرُهْ عَمَـــــامَ
أَوْ كُـــــوزْ كْبِيـــرْ دَسْرَانِـــــي

النَّدْبُ الثَّانِي

ثُمَّ تَرْقُدُ عَلَى وَجْهِهَا مَبْطُوحَة، وَتَكْشِفُ عَنْ أَوْرَاكِهَا، ثُمَّ تَمْلأُ القَدَحَيْنِ، وَتَضَعُ كُلَّ قَدَحٍ عَلَى فَرْدَةٍ مِنْ لَوَايَاهَا، وَهُمَا يَتَرَجْرَجَانِ

---

1) في تكملة المعاجم: 350/4 دست: «الدّست: الصّحن، يقول ابن بطّوطة إنّ الصّحون تسمّى بهذا الاسم في بعلبك. ودست: قدح أو كوب يستعمل للشّرب».

2) كذا في الأصل، ولعلّ المقصود أنّها تبرز كسّها.

3) في الأصل: «محزوق».

مِنَ الشَّحْمِ، ثُمَّ تَهُزُّ الفَرْدَتَيْنِ سَوَاءً بِصِنَاعَةٍ وَمُوَازَنَةٍ حَتَّى يَتَلَاطَمَ القَدَحَانِ[1]، وَهُمَا عَلَى أَرْدَافِهَا، مَعَ لَوَايَاهَا. فَكَانَ شَيْءٌ يُحَيِّرُ العُقُولَ، وَيُدْهِشُ النَّوَاظِرَ.

وَكَانَتْ مَعَ ذَلِكَ تُغَنِّي، تَقُولُ:

لِيَّاتِـــي تُرْقُــصْ بِأَقْدَاحِــي
وَأَوْقَاتِــي دَايْمَــهْ بِأَفْرَاحِـي
يَا عَاشِقْ، سَـكْرَانْ أَنْت أَوْ صَاحِي؟
قُــمْ خُذْنِــي وَاقْلِبْنِــي
وَاسْفِقْنِـــي بِحَيَاتِـــي
قُــومْ بُــوسْ وَجْنَاتِـي

قَالَ:

هَذَا كُلُّهُ، وَكُلُّ كَلِمَةٍ بِشَرْقَةٍ، وَشَهْقَةٍ، وَغُلْمَةٍ، وَصِنَاعَةٍ يَعْجِزُ عَنْهَا كُلُّ أَحَدٍ مِنْ بَنِي آدَمَ.

النَّدْبُ الثَّالِثُ

وَأَمَّا مَا كَانَتْ تَفْعَلُهُ فِي خَلْوَةٍ، وَتَكُونُ جِوَارَهَا مَغَانِي الوَقْتِ. وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ لَهَا ثَلَاثُ جِوَارٍ، الوَاحِدَةُ[2] عُودِيَّةٌ، وَالثَّانِيَةُ دُفِّيَّةٌ، وَالثَّالِثَةُ مُشَبِّبَةٌ. وَكُنْتُ أَخْتَلِي مَعَهَا، وَلَمْ يَكُنْ مَعَنَا غَيْرُنَا، وَأُحَلِّفُهَا، وَأَتَرَضَّعُ لَهَا بَعْدَ مَا أَعْلَمُ أَنَّهَا سَكِرَتْ وَطَابَتْ، فَتَفْعَلُهُ لِي.

1) في الأصل: «القدحين».
2) كذا في الأصل.

وَذَلِكَ أَنَّهَا تَمْلُصُ[1] سَرَاوِيلَهَا، وَتَنْقَلِبُ عَلَى ظَهْرِهَا، وَتَرْفَعُ خِصْرَهَا، مُفَارِقُ الأَرْضَ عَلَى القَدَحِ، ثُمَّ تَأْخُذُ أَصَابِعَ رِجْلَيْهَا إِلَى عِنْدِ[2] آذَانِهَا، وَتَلُفُّهُمْ بِضَفَائِرِهَا[3]، وَتُرْخِي بَاقِيَتَهُمْ عَلَى أَفْخَاذِهَا مَعَ سُطُوحِ قُبُلِهَا، ثُمَّ تُبْرِزُهُ[4] بِصِنَاعَةٍ، فَيَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ أَوْرَاكِهَا كَأَنَّهُ كُوزٌ كَبِيرٌ. وَتَجْعَلُ عَلَى كُلِّ فَرْدَةٍ مِنْ أَشْفَارِهَا قَدَحاً مَلآناً نَبِيذاً[5]، وَالقَدَحَ الثَّالِثَ تَحْتَ خِصْرِهَا، وَتَفْعَلُ كَمَا فَعَلَتْهُ بِالقَدَحَيْنِ الَّذِينَ[6] كَانُوا عَلَى لَوَايَاهَا، فَيَبْقَى لَهُمْ حِسٌّ، وَدَبْكَةٌ[7] فِي الضَّرْبِ وَالإِيقَاعِ، مَا لاَ يَصِلُ أَحَدٌ سِوَاهَا، وَرُبَّمَا يَسْتَبْعِدُهُ السَّامِعُ. وَهَذَا مُعَايَنَةٌ مِنْهَا.

وَهْيَ مَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ تُنْشِدُ، تَقُولُ:

أَقْدَاحِـــي فَـــوْقَ كُسِّـــي مَلآنَـــهْ

وَانَـــا يَـــا حَبِيبِـــي سَكْرَانَـــهْ

فِـــي زُبِّكْ يَـــا حِبِّـــي سَكْرَانَـــهْ

فَأَدْرِكْنِـــي وَارْكَبْنِـــي وَافْشَخْنِي[8]

---

1) في تكملة المعاجم: 107/10 ملس: «ملس اللّباس من وسط الجارية: أي سحبه أو ملصه».

2) في الأصل: «عندها».

3) في الأصل: «بطفايرها».

4) في الأصل: «تبلزه».

5) في الأصل: «قدح ملآن نبيذ».

6) في الأصل: «الّذي».

7) في تكملة المعاجم: 291/4 دبك: «تحريك الرّجلين وقرع الأرض بهما، وضجّة الأقدام على الأرض حين يقفز النّاس أو يركضون. دبدبتهم، وفحصهم الأرض بأرجلهم، وفي «محيط المحيط»: دبكة نوع من الرّقص».

8) كذا في الأصل، ولعلّ الصّواب: «افشحني»، كما في القاموس وتاج العروس (فشح): «فشح جاريته: جامعها، وتفشّحها» في معناه.

بِحَيَاتِـــــي ذَوَّقْنِـــــي
وَانْحَتْنِـــي[1]، سَمَّعْنِـــي سَفْقَاتِـــي

قَالَ:

فَمَا كُنْتُ أَمْلِكُ نَفْسِي دُونَ أَنْ أَطْرُدَ الْجَوَارِي، وَأَقُومُ أُولِجُهُ فِيهَا، وَهِيَ عَلَى تِلْكَ الحَالَةِ[2]، فَتُعْطِينِي مِنْ أَنْوَاعِ الغُنْجِ مَا لاَ أَقْدِرُ عَلَى وَصْفِ بَعْضِهِ. غَيْرَ أَنِّي مَا كُنْتُ أَقْدِرُ أَثْبُتُ مَعَهَا، وُرُبَّمَا ثَنَّيْتُهُ فِيهَا مِنْ قُوَّةِ مَا يَلْحَقُنِي مِنَ الوَجْدِ وَالْهَيَمَانِ. وَكَانَتْ أَوْحَدَ أَهْلِ زَمَانِهَا فِي ذَلِكَ.

وَسَأَلْتُهَا[3]: مِنْ أَيْنَ لَكِ[4] هَذَا الْحِرَافُ الَّذِي افتردْتِ[5] بِهِ دُونَ غَيْرِكِ[6]، وأَنْتِ[7] بِنْتُ أَمِيرٍ كَبِيرٍ؟

قَالَتْ: كَانَ صَاحِبُ مَارِدِينَ[8] أَهْدَى لِلْمَلِكِ الأَشْرَفِ الكَبِيرِ[9]

---

1) في الوشاح في فوائد النّكاح (بتحقيقنا): 163: «النّحت»، من أسماء الجماع.
2) في الأصل: «الحاجة».
3) في الأصل: «سألت منها».
4) في الأصل: «لكي».
5) في الأصل: «أفتردتي».
6) في الأصل: «غيركي».
7) في الأصل: «أنتي».
8) في معجم البلدان: 39/5: «ماردين: قلعة مشهورة على قنّة جبل الجزيرة، مشرفة على دنيسر ودارا ونصّيبين، وقدّامها ربض عظيم فيه أسواق كثيرة، وخانات، ومدارس، وربط وخانقاهات، ودورهم فيها كالدّرج، كلّ دار فوق الأخرى، وكلّ درب منها يشرف على ما تحته من الدّور، ليس دون سطوحهم مانع، وعندهم عيون قليلة الماء، وجلّ شربهم من صهاريج معدّة في دورهم، والّذي لا شكّ فيه أنّه ليس في الأرض كلها أحسن من قلعتها، ولا أحصن ولا أحكم».
9) الملك الأشرف: «الملك الأشرف صلاح الدين خليل بن الملك المنصور سيف الدين قلاوون ، وُلد في القاهرة في عام 666 هـ/1267 م، وتوفّي في تروجة قرب الأسكندرية في 12 محرم 693هـ / 31 ديسمبر 1293م، وهو ثامن سلاطين الدولة المملوكيّة البحريّة. تولّى شؤون الحكم إلى جانب والده لفترة قصيرة من الزّمن، وبعد وفاة الأخير نُصب خليل سلطانًا في عام 1290 وبقي حتى اغتياله

ثَلاَثَ جَوَارٍ نُهْدٍ أَبْكَارٍ كَأَنَّهُنَّ الأَقْمَارُ، وَكَانُوا قَدْ فَاقُوا أَهْلَ زَمَانِهِنَّ. وَكَانَ وَالِدِي عِنْدَ الْمَلِكِ الأَشْرَفِ، فَأَعْطَى الْجَوَارِي لِوَالِدِي، فَكَانُوا يَفْعَلُونَ هَذِهِ الْحَرَكَاتِ، وَأَنَا صَغِيرَةٌ، وَكُنْتُ أَنْظُرُ إِلَى مَا يَفْعَلُوهُ قُدَّامَ أَبِي وَهُوَ يَشْرَبُ، فَسَرِقْتُ الصَّنْعَةَ، وَعَمِلْتُهَا أَحْسَنَ مِنْهَا. وَيُعِينُنِي عَلَى ذَلِكَ رِقَّةُ خِصْرِي، وَكِبَرُ رِدْفِي، وَغِلَظُ كُسِّي. وَغَيْرِي لاَ يَعْرِفُ ذَلِكَ، وَلاَ يُوَافِقُهُ أَعْضَاؤُهُ.

فَقُلْتُ: وَاللَّه لَقَدْ صَدَقْتِ[1]، وَبِالْحَقِّ نَطَقْتِ[2].

ثُمَّ إِنَّ ابْنَ الصَّبَّاحِ وَهِيَ مَاتُوا فِي شَهْرٍ وَاحِدٍ. رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا، إِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

في ديسمبر 1393. يُعتبر من أبرز سلاطين الأسرة القلاوونيّة، والدولة المملوكيّة. وأشهر إنجازاته فتح عكّا، والقضاء على آخر معاقل الصّليبيّين في الشام، بعد أن استمر وجودهم فيها مائة وستة وتسعين سنة».

1) في الأصل: «صدقتي».

2) في الأصل: «نطقتي».

الْمَاجِرِيّةُ الثّانِيَةُ

قَالَ الْمُؤَلِّفُ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ:

وَلَمَّا حَكَى[1] لَنَا شَيْخُ البِيرِ هَذِهِ الْمَاجْرِيَّةَ، الَّتِي[2] جَرَتْ لَهُ مَعَ قَفْجَق القَلْعِيَّةِ، وَسُرْعَةِ حِيلَتِهَا عَلَى بَدْرٍ، كَانَ فِي جُمْلَتِنَا[3] شَخْصٌ، يُعْرَفُ بِابْنِ قَضِيبِ البَانِ. وَكَانَ حَسَنَ الْمُحَاضَرَةِ، طَيِّبَ الْمُفَاكَهَةِ، خَفِيفَ الرُّوحِ، كَثِيرَ الْخَيَالِ وَالزَّوَائِدِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ، هَذِهِ الْمَاجِرِيَّةُ نَظِيرُ مَاجِرِيَّةٍ جَرَتْ بِحُضُورِي.

فَقُلْنَا لَهُ: تنْقُلْهَا لَنَا عَلَى صِحَّتِهَا.

فَقَالَ:

«كُنَّا جَمَاعَةً عُشَرَاءَ حُرَفَاءَ، نَجْتَمِعُ فِي الْجُمُعَةِ يَوْماً[4] أَوْ يَوْمَيْنِ، نُخَارِجُهُ حِرْفَانِيَّةً[5]. وَلَنَا عَشِيرٌ شَرَبْدَارْ[6]، وَهْوَ مُتَزَوِّجٌ امْرَأَةً، يَشْتَكِي فِي كُلِّ سَاعَةٍ مِنْهَا وَمِنْ شَرِّهَا، وَتَسَلُّطِهَا فِي كُلِّ سَاعَةٍ عَلَيْهِ، وَيَخَافُ

---

1) في الأصل: «أحكى».

2) في الأصل: «الّذي».

3) في الأصل: «جملتها».

4) في الأصل: «يوم».

5) في تكملة المعاجم: 129/3 حرف: «حارف المرأة: تظاهر بالتّظرّف لها، ومصدره حِراف. وحرَّف وحارف بمعنى لاطف ودلّل وتظرّف، وحِرِّيف: محبّ، خليل».

6) في تكملة المعاجم: 284: «شربدار: خازن الخمور»، وفي المعجم الجامع في المصطلحات الأيّوبيّة والمملوكيّة: 128: «من «شراب» العربيّة و«دار» بمعنى الممسك، وهو المتحدّث على الشّرابخانه، المكان المخصّص للأشربة والحلوى والفواكه المجفّفة، ونحوها».

مِنْ شَرِّهَا، فَنَقُولُ لَهُ: فَارِقْهَا، وَنَحْنُ نَتَوَزَّعُ[1] مَهْمَا[2] كَانَ عَلَيْكَ مِنَ الصَّدَاقِ وَغَيْرِهِ.

فَيَقُولُ: وَاللَّهِ أَنَا أُحِبُّهَا، وَمَا أَجِدُ مِثْلَهَا. وَأَنَا أَعْشِقُهَا لأَنَّهَا شَبَابٌ[3] حَسَنٌ[4].

فَنَقُولُ لَهُ: فَاصْبِرْ عَلَى شَرِّهَا وَمَكْرِهَا لأَنَّ مَنْ يُحِبُّ الدَّحْ[5] مَا يَقُولُ أَحْ.

وَكَانَ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَجْتَمِعَ بِنَا إِلاَّ فِي حُجَّةِ بَيَاتِهِ فِي النَّوْبَةِ. فَحَضَرَ يَوْماً[6] مِنَ الأَيَّامِ عِنْدَنَا، وَكَانَ قَدْ قَالَ لَهَا: أَنَا بُلِيتُ بِالنَّوْبَةِ فِي القَلْعَةِ.

وَفَارَقَهَا عَلَى ذَلِكَ. وَاتَّفَقَ أَنَّهُ اجْتَمَعَ بِنَا فِي ذَلِكَ النَّهَارِ حِرِّيفٌ جَدِيدٌ، تَاجِرٌ مِنْ قَيْسَارِيَّة[7]، فَجَلَسَ عِنْدَنَا، وَنَحْنُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا جَالِسٌ، وَإِلَى جَانِبِهِ صَبِيَّتُهُ، فَقَالَ التَّاجِرُ، العَشِيرُ الْجَدِيدُ: يَا جَمَاعَةَ الْخَيْرِ، مَا هُو بِالفَقْرِي[8] أَبْقَى أَنَا بِلاَ مُكَتَّبَةٍ[9] بَيْنَكُمْ.

---

1) في تكملة المعاجم: 58/11 وزع: «توزّعوا: تقاسموا شيئا بينهم».

2) كذا في في الأصل، ولعلّ الصّواب: «ما كان عليك».

3) في تكملة المعاجم: 231/6 شب: «شباب: جمال، وشباب: جميل ومليح».

4) كذا في الأصل، ولعلّ الصّواب: «شباب وحُسْن».

5) في تكملة المعاجم: 297/4 دح: «الدّح: الشّيء الظّريف، يخاطبون به الأولاد الصّغار».

6) في الأصل: «يوم».

7) وبعده في الأصل: «الشرب»، ولم ندرك لها وجها، وفي معجم البلدان: 421/4: «قيساريّة: بالفتح ثمّ السّكون، وسين مهملة، وبعد الألف راء ثمّ ياء مشدّدة: بلد على ساحل بحر الشّام، تعدّ في أعمال فلسطين، بينها وبين طبرية ثلاثة أيّام، وكانت قديما من أعيان أمّهات المدن، واسعة الرّقعة، طيّبة البقعة، كثيرة الخير والأهل. وأمّا الآن فليست كذلك، وهي بالقرى أشبه منها بالمدن. وقيساريّة أيضا: مدينة كبيرة عظيمة في بلاد الرّوم، وهي كرسيّ ملك بني سلجوق ملوك الرّوم أولاد قليج أرسلان».

8) كذا في الأصل، وفي تكملة المعاجم: «فقيري: وجدت قولهم بالفقيري الّذي لم يتّضح لي معناه في حكاية باسم الحدّاد، ففيها: أشتهى من إحسانك أن تأكل من هذا الّذي عملناه لك اليوم فإنّه بالفقيري. وفيها (ص93): عملنا لك بالفقيري وجبناه إليك انزل افتح الباب وخذه».

9) في الأصل: «كتبة»، وفي تكملة المعاجم: 30/9 كتب: «كَتَّب، بالتّشديد: يقال في الكلام عن فتاة وهي منقّشة مكتّبة، أي مصبوغة بالحنّاء».

فَقَالَتْ بَعْضُ صَبَايَا أَصْحَابِنَا: هَاتِ الدَّرَاهِمَ، وأَنَا أَجِيبُ لَكَ مُوَاخِيَتِي[1]، وَهْيَ مِثْلُ الغَزَالِ العَطْشَانْ.

فَأَعْطَاهَا مائَةَ دِرْهَم، وَقَالَ لَهَا: إمْضِي وأْتِي بِهَا عَاجِلاً[2].

فَخَرَجَتْ تَجِيبُ لَهُ مُوَاخِيَتَهَا، وَقَعَدْنَا نَحْنُ نَشْرَبُ. وَكَانَ قَدْ حَضَرَ عِنْدَنَا الشَّرَبْدَارُ[3]، وَخَرَجَتْ أَنَّهَا تَجِيبُ لِلتَّاجِرِ أُخْتَهَا، وَقَدْ قَلَعَ الشَّرَبْدَارُ قُمَاشَهُ[4]، وَجَلَسَ بَيْنَنَا يَشْرَبُ، وَقَدْ حَمِيَ الْمَقَامُ، وَكَثُرَ الكَلاَمُ، وَتَنَاوَلْنَا كَاسَاتِ الْمُدَام. وَلاَ زِلْنَا إِلَى بَعْدِ العَصْرِ، وَقَدْ لَعِبَتْ بِنَا الْخَمْرَةُ، وَغَيَّبَتْ عُقُولَنَا، فَلَمْ نَشْعُرْ إلاَّ وَالصَّبِيَّةُ، الَّتِي أَخَذَتْ المائَةَ دِرْهَم، عَبَرَتْ وَمَعَهَا وَاحِدَةٌ صَاحِيَةٌ[5]، قَدٌّ وَقَامَةٌ، وقُوجْ[6] وَعَصْبَةٌ[7]، وَقَدْ أَقْعَدَتِ القَالَبَ[8].

---

1) كذا في الأصل، ولعلّ المقصود: «مؤاخيتي».

2) في الأصل: «عاجل».

3) في تكملة المعاجم: 282/6 شرب: «شراب خانة: هذه الكلمة لا تعني خانة وخمّارة، بل إنّها تعني خزانة، أي المكان الّذي تحفظ فيه الأشربة والسّكر والمربّيات والفواكه والثّلج والمياه المقوّية للقلب والمعاجين المسهّلة والأدوية القابضة والمرطّبات والعطور والماء الّذي يشرب منه الأمير، وهو من أطيب المياه. وتكتب هذه الكلمة عادة «شراب خانة» و«شرابخاناة» وشَرَبْخاناة». ويتولّى أمرها مهتار أو أحياناً مهتاران. ويساعده عدد من الشَرْبداريَّة»، وزاد في المعجم الجامع في المصطلحات الأيّوبيّة والمملوكيّة والعثمانيّة ذات الأصول العربيّة والفارسيّة والتّركيّة (سنشير إليه لاحقا بالمعجم الجامع): 127: «من «شراب» الفارسيّة و«خانه» بمعنى الدّار والبيت، أي مخزن الشّراب. مصطلح أطلق في العهد المملوكي على مخزن الأشربة المخصّصة للقصر السّلطاني، وما تحتاجه من أوان ومتعلّقات».

4) في تكملة المعاجم: 381/8 قمش: «قماش: ملابس»، ولعلّ المقصود هنا هي الملابس النّظاميّة.

5) كذا في الأصل.

6) في تكملة المعاجم: 404/8: «لعلّها الكلمة سراغوج، حذفت منها سرا»، وزاد في الحاشية: «سرغوج، ويقال له سراغوج أيضا، وهو من أغطية رؤوس النّساء، يشبه الكيس المفتوح من الطّرفين، بطول ثلاثة أذرع تقريبا، على أحد طرفيه لؤلؤ ذهب، وتتدلّى منه ضفيرة على الوجه، وعلى الطّرف الآخر منه سلسلة، تتّصل به، تمرّ من تحت الإبط الأيمن وتطرح على الكتف».

7) في تكملة المعاجم: 220/7 عصب: «هي في مصر طرحة من الحرير، مربّعة الشّكل، سوداء اللّون، لها حاشية حمراء وصفراء، وهي تبطّن بصورة منحرفة، ثمّ يلفّ بها الرّأس، وتعقد من الخلف عقدة واحدة، وهي في دمشق منديل».

8) جاء في تكملة المعاجم: 354/8 قلب: «قالب: قبقاب من الخشب سميك النعل عالي الكعب كان

قَالَ:

يَا سَادة، فَمَا هِيَ إِلاَّ أَنْ طَلَعَتِ الإِيوَانَ، وَصَارَتْ قَرِيباً[1] مِنَّا، وَالشَّرْبَدَارُ جَالِسٌ، مَا يَعْلَمُ مَا خُبِّئَ لَهُ فِي الغَيْبِ، فَكَشَفَتْ وَجْهَهَا، وَإِذَا بِهَا زَوْجَةُ الشَّرْبَدَارِ. فَحِينَ وَقَعَتْ عَيْنُهَا عَلَيْهِ، لَمْ يَأْخُذْهَا هَلَعٌ، وَلاَ جَزَعٌ، وَلاَ زَمَعٌ، وَلاَ خُوْفٌ، وَلاَ رَجْفٌ، بَلْ صَاحَتْ: وَاللَّهِ طَيِّبْ يَا سِيدِي، وَالِكْ يَا قَوَّادْ!

وَهَمَزَتْ إِلَى عِنْدِ الشَّرْبَدَارِ، وَمَسَكَتْ بِذِقْنِهِ[2] مَعَ أَطْوَاقِهِ[3]، وَقَلَعَتْ خُفَّهَا، وَصَارَتْ تَنْدِفُهُ[4]، وَتَقُولُ: وَالِكْ يَا قَوَّادْ! وَمَا أَنْتَ طَلَعْتَ إِلَى نَوْبَتِكَ؟!

وَقَالَتْ: وَالِكْ، تَعْمَلْ عَلَيَّ حُجَّة وَحِيلَة، وَتَقُولُ إِنَّكَ تَخْرُجُ مِنْ عِنْدِي بِحُجَّةِ النَّوْبَةِ، وَتَجِي أَنْت إِلَى هَا هُنَا، وَتَعْمَل مَا تُرِيدُ

النساء يحتذينه لتطول قامتهن. وقد أنبأني بذلك السّيّد دي غويه، وأنا أعرف هذا المعنى وقد جاء في الحديث وقد نقل السّيّد دي غويه من الفائق (2: 366) هذه العبارة: كان الرّجال والنّساء في بني إسرائيل يصلون القالبين، تطاول بهما لخليلها، فألقي عليهن الحيض. فسّر القالبان بالرّقيصين من الخشب، والرّقيص النّعل بلغة اليمن، وإنّما ألقي عليهن الحيض عقوبة لئلا يشهدن الجماعة مع الرّجال.ويرى صديقي العلاّمة أن هذه الكلمة تدلّ على هذا المعنى في عبارة ألف ليلة (برسل 2: 195) الّتي أربكتني وهي: والصّبيّة قد أقبلت بقوج وقالب وعصبة وروائح طيّبة»، ونرجّح أن المقصود أنّها تزيّنت وتبرّجت.

1) في الأصل: «قريب».

2) في الأصل: «دقنه».

3) في تكملة المعاجم: 96/7 طوق: «طَوْق: تلبيب ما يحيط بالعنق من الثّوب. ومسك أحداً من أطواقه: أمسكه من تلابيبه، ويقال أيضاً: ضرب بيده في أطواقه. ففي رياض النّفوس (ص 91ق): فأقبلت المرأة إلى أبي ميسرة وضربتْ بيدها في أطواقه، وصاحت بأعلى صوتها: مَعاشر المسلمين، هذا الرّجل راودني على نفسي. غير أن أخذ بأطواقه هي أيضاً علامة من علامات الاحترام والتّبجيل، ففي رياض النّفوس (ق 88): ودخلت بيته فرحب بي وقال: مرحباً بكم، ثمّ قام فأخذ بأطواقي فجمعها عليّ، ثمّ جلس في وسط البيت».

4) في تكملة المعاجم: 190/10 ندف: «ندف: ما يقوم به النّدّاف بقوس النّدف، وهو القوس الّذي يضرف به النّدّاف القطن أو الصّوف ليرقّا».

وَتَشْتَهِي. وَأَنَا، أُمُّ تَحْزُونة[1]، غَافِلَةٌ، مَا أَعْرِفُ إيش بِتَعْمَلِ أَنْتَ وَهَؤُلاَءِ الْمُعَرِّصِينَ أَصْحَابكَ، يُعَلِّمُوكَ الْمُنْحَسَةَ[2]. أَنَا بِاللَّهِ وَبِالوَالِي.

وَصَاحَتْ: يَا مُسْلِمِينْ إِلْحَقُونِي!

فَبُهِتْنَا كُلُّنَا، وَخِفْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا مِنَ الْهَتْكَةِ[3]، وَقُمْنَا، وَصَارَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا يُقَبِّلُ يَدَيْهَا، وَيَتَرَامَى عَلَى رِجْلَيْهَا، وَيُفُكُّ أَطْوَاقَهُ مِنْ يَدَيْهَا، وَذِقْنَهُ مِنْهَا، وَهْيَ تَجُرُّهُ بِذِقْنِهِ، فَمَا خَلَّصْنَاهُ مِنْ يَدَيْهَا إِلاَّ بِاللَّهِ وَالغَالِبِينَ، وَبِالْجُهْدِ الْجَهِيدِ، وَالعَنَاءِ الشَّدِيدِ الَّذِي مَا عَلَيْهِ مِنْ مَزِيدٍ.

فَقَالَتْ: قُوم السَّاعَة آخْرُجْ قُدَّامِي، فَكَمْ أَتَوَقَّعُ[4] عَلَيْكَ[5]، وَأُبَرْطِلُ النَّاسَ حَتَّى يَدُلُّونِي عَلَيْكَ، وَعَلَى مَوْضِعٍ تَنْحَشِرُ فِيهِ. والآنَ، غَمَزُونِي[6] اليَوْمَ عَلَيْكَ.

فَبَقِيَ الرَّجُلُ يَبُوسُ رِجلَيْهَا وَيَدَيْهَا، وَيَقُولُ: يَا مَرَهْ، أَنَا تَائِبٌ عَلَى يَدَيْ اللَّهِ وَيَدَيْكِ.

ثُمَّ إِنَّهَا أَخَذَتْهُ وَخَرَجَتْ، وَمَا صَدَّقْنَا مَتَى رَاحَتْ، وَاسْتَرَحْنَا مِنْ صُدَاعِهِمْ. وَلَمَّا انْطَفَتْ نَوْبَتُهُمْ، وَجَلَسْنَا، وَرَاقَ الوَقْتُ بَعْدَ أَنْ كَانَ قَدْ تَكَدَّرَ، قُلْنَا لِتِلْكَ الصَّبِيَّةِ: وَأَيْنَ الَّتِي جِبْتِيهَا إِلَى عَشِيرِنَا الْجَدِيدِ؟

فَضَحِكَتْ إِلَى [أَنْ][7] انْقَلَبَتْ عَلَى ظَهْرِهَا، وَقَالَتْ: وَهَذِهِ الَّتِي عَمِلَتِ النَّوْبَةَ، مَنْ هِيَ؟!

---

1) لم نعثر لها على شرح، والواضح من السّياق أنّها في معنى الغبيّة.

2) في تكملة المعاجم: 179/10 نحس: «النّحوسة: حظّ عاثر، شقاء»، وهي هنا بمعنى الفساد.

3) في تكملة المعاجم: 4/11 هتك: «هتيكة: عار، فضيحة، فقدان السّمعة والشّرف».

4) في تكملة المعاجم: 94/11: «توقّع على: خشي، خاف، هلع».

5) في الأصل: «عليه».

6) في تكملة المعاجم: 434/7 غمز: «غمز على فلان: وشى به، بلّغ عنه، شكاه إلى الوالي».

7) إضافة يقتضيها التّركيب.

قُلْنَا: هَذِهِ امْرَأَةُ الشَّرْبْدَار، سَعَتْ[1] إِلَى هُنَا وَكَبَسَتْهُ.

فَقَالَتْ: وَاللَّهِ، هِيَ الَّتِي جِبْتُهَا بِالعِشْرِينَ دِرْهَماً، وَعَبَرَتْ مَعِي، وَهْيَ تَقُولُ: زَوْجِي طَلَعَ إِلَى نَوْبَتِهِ فِي القَلْعَةِ، وَمَا يَجِي إِلَى ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ. وَمَا عَلِمَتْ أَنَّ زَوْجَهَا هَا هُنَا. فَلَمَّا دَخَلَتْ وَعَايَنَتْهُ، وَعَلِمَتْ أَنَّهُ يَعْرِفُهَا، عَادَتْ إِلَى مَكْرِ النِّسَاءِ وَحِيَلِهِنَّ، وَعَمِلَتْ هَذِهِ النُّوْبَةَ الْمُشْكِلَةَ حَتَّى لاَ يَنْكَشِفَ أَمْرُهَا، وَيَنْهَتِكَ سِتْرُهَا.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ:

فَوَاللَّهِ العَظِيمِ مَا مِنَّا إِلاَّ مَنْ طَارَ عَقْلُهُ مِنْ سُرْعَةِ مَكْرِهَا وَحِيلَتِهَا، وَاسْتِحْضَارِهَا الْحِيلَةَ فِي أَقْرَبِ وَقْتٍ. ثُمَّ إِنَّهَا أَثْبَتَتْ فِي ذِهْنِ زَوْجِهَا أَنَّهَا هِيَ الَّتِي عَمِلَتْ عَلَيْهِ وَكَبَسَتْهُ. ثُمَّ إِنَّهَا رَاحَتْ إِلَى الشُّهُودِ، وَحَلَّفَتْهُ بِالطَّلاَقِ الثَّلاَثِ! مِنْهَا أَنَّهُ لاَ يَرْجِعُ يَجْتَمِعُ بِأَحَدٍ مِنَّا، وَلاَ يُكَلِّمُنَا بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ.

وَكُنَّا بَعْدَ ذَلِكَ نَرَاهُ فِي الطَّرِيقِ يُحَوِّلُ وَجْهَهُ عَنَّا، وَلاَ يُكَلِّمُنَا. وَكُنَّا نَجْهَدُ كُلَّ الْجُهْدِ أَنْ نُعَرِّفَهُ الْحِكَايَةَ كَيْفَ كَانَتْ، فَلاَ يَلْتَفِتُ إِلَيْنَا، وَلاَ يُمُنُّ عَلَيْنَا بالْجَوَابِ، وَلاَ نَقْدِرُ نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ. وَإِلَى الآنِ هُوَ مَعَهَا.

وَهَذِهِ أَيْضاً مِنْ غَرَائِبِ سُرْعَةِ الاسْتِحْضَارِ، وَقُوَّةِ الْحِيلَةِ إِلَى نِهَايَةِ مَا يَكُونُ.

---

1) في الأصل: «سعته».

الْمَاجِرِيّةُ الثّالِثَةُ

قَالَ الْمُؤَلِّفُ عَفَا اللّهُ عَنْهُ:

وَحُكِيَ أَيْضاً عَنْ شَخْصٍ ثِقَةٍ، مِنْ أَكَابِرِ النَّاسِ وَرُؤَسَائِهِمْ، مَعْرُوفٍ بِصِدْقِ اللَّهْجَةِ، وَقُوَّةِ الأَمَانَةِ، يُسَمَّى بِأَمِينِ الدِّينِ، وَيُعْرَفُ بِكَاتِبِ البَيْسَرِي، رَحْمَةُ اللّهِ عَلَيْهِ ؛ قَالَ، وَقَدْ تَجَارَيْنَا حَدِيثَ النِّسَاءِ، وَسُرْعَةَ إِلْهَامِهِنَّ الْجَوَابَ الْحَاضِرَ، فِي الوَقْتِ الْحَاضِرِ، مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ وَلاَ افْتِكَارٍ ؛

قَالَ أَمِينُ الدِّينِ الْمَذْكُورِ:

حَكَى لِي مَنْ أَثِقُ إِلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ إِنْسَانٌ[1] تَاجِرٌ، سَفَّارٌ، سَاكِنٌ بِالوَزِيرِيَّةِ[2]، وَلَهُ وَلَدٌ شَابٌّ أَوَّل إِدْرَاكِهِ. وَكَانَ الشَّابُّ قَدْ عُطِيَ مِنَ الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ، وَالكَمَالِ، وَالقَدِّ وَالاعْتِدَالِ، وَاللُّطْفِ وَالدَّلاَلِ مَا لاَ نِهَايَةَ لَهُ فِي الْمِثَالِ. وَكَانَ وَالِدُهُ يُحِبُّهُ مَحَبَّةً عَظِيمَةً، وَيَخَافُ عَلَيْهِ مِنَ الْهَوَاءِ إِذَا هَبَّ. وَمِنْ كَثْرَةِ خَوْفِهِ عَلَيْهِ لاَ يُمَكِّنُهُ مِنَ الْخُرُوجِ مِنَ البَيْتِ، وَلاَ إِلَى السُّوقِ، وَلاَ مَكَانَ يُرَى فِيهِ.

---

1) في الأصل: «إنسانا».

2) في معجم البلدان: 375/5: «الوزيريّة: قريتان بمصر، إحداهما في كورة الغربيّة، والأخرى في في كورة البحيرة».

وَجَعَلَ عِنْدَهُ فِي البَيْتِ أَشْيَاءَ يَتَشَاغَلُ بِهَا، عِدَّةَ أَصْنَافٍ، حَتَّى يَشْغَلَهُ عَنِ الْخُرُوجِ إِلَى ظَاهِرِ الدَّارِ. وَكَانَ فِي جُمْلَةِ ذَلِكَ حَمَامٌ يُغَارِدُهُ، وَقَطَا[1]، وَمَنْطقَةُ طُيُورٍ مِنْ أَحْسَنِ شَيْءٍ يَكُونُ، مِنْ كُلِّ فَنٍّ. وَجَعَلَ لَهُ فِي السَّطْحِ حَضِيرٌ[2] حَسَنٌ، فَكَانَ الصَّبِيُّ أَكْثَر أَوْقَاتِهِ فِي السَّطْحِ يَلْعَبُ بِذَلِكَ الْحَمَامِ، وَلاَ يَعْرِفُ شَيْئاً[3] غَيْرَ ذَلِكَ.

وَكَانَ لَهُمْ جَارٌ دَلاَّلٌ، يَبِيعُ الدُّورَ، وَكَانَتْ لَهُ زَوْجَةٌ شَبَابٌ مَلِيحٌ، فَلَمَحَتِ الصَّبِيّ فِي بَعْضِ الأَيَّامِ مِنَ السَّطْحِ، وَنَظَرَتْهُ نَظْرَةً، أَعْقَبَتْهَا النَّظْرَةُ حَسْرَةً، وَصَارَتْ كُلَّ وَقْتٍ تَتَرَاءَى[4] لَهُ، وَتُشَاكِلُهُ[5]، وَتَرْمِي عَلَيْهِ زَائِدْ وَنَاقِصْ، وَهْوَ لاَ يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، وَلاَ يَعْرِفُ إِيشْ إِلِّي تَقُول، وَمَاذَا تُرِيدُ مِنْهُ. فَزَادَ بِهَا الوَلَعُ وَالسِّقَامُ، وَلَمْ يَأْخُذْهَا نَوْمٌ فِي طُولِ اللَّيَالِي، وَأَخَذَتْهُ مِنْ دَأْبِهَا حَتَّى كَانَتْ تَقْضِي جَمِيعَ نَهَارِهَا فِي السَّطْحِ حَتَّى تَنْظُرَهُ، وَتَقْنَعَ مِنْهُ بِالنَّظَرِ.

قَالَ:

يَا سَادة، فاتَّفَقَ مِنَ الأَمْرِ أَنْ أَفْقَسَ عِنْدَ الصَّبِيِّ زَوْجُ حَمَامٍ، وَهُمَا الَّذِينَ كَانَ يُحِبُّهُمْ دُونَ سَائِرِ مَا عِنْدَهُ، وَكَبُرَتْ فِرَاخُهُمْ، وَهْوَ طَائِرٌ

---

1) في تكملة المعاجم: 331/8 قطى: «حجل مصر، وهو حجل صغير رماديّ اللّون، وهو أصغر من الحجل (القبج)، شبيه بالترمجان (هو نوع من القطا، من رتبة الدّجاجيّات، يقطن جبال شمال أوربّا) ورأسه شبيه برأس السّمّان، وهو طائر السّلوى».

2) في تكملة المعاجم: 119/4 خضر: «خضير: نوع من الطّير، وعند القزويني: حضير».

3) في الأصل: «شيء».

4) في الأصل: «تترايا».

5) في تكملة المعاجم: 341/6 شكل: «شاكل: تغنج وتدلل. يقال: شاكلت المرأة، إذا كانت تستثير بنظراتها وحركاتها الفاتنة، وكذلك يقال شاكل الرّجل».

العَقْلِ بِهِمْ. فَطَلَعَ يَوْماً[1] مِنْ بَعْضِ الأَيَّامِ إِلَى السَّطْحِ، فَأَخْرَجَ زَوْجَ الفِرَاخِ[2]، وَبَقِيَ يَلْعَبُ بِهِمْ وَيطَيِّرُهُمْ، وَالصَّبِيَّةُ نَاظِرَةٌ إِلَيْهِ، مَسْلُوبَةُ الفُؤَادِ مِنَ الْهَجْرِ وَالبِعَادِ، وَدُمُوعُهَا عَلَى خُدُودِهَا، وَلاَ لَهَا إِلَيْهِ سَبِيلٌ وَلاَ وُصُولٌ. فَطَارَ الفَرْخَانِ[3] وَوَقَعُوا عَلَيْهَا، فَانْقَضَّتْ عَلَيْهِمَا [وَ][4] أَخَذَتْهُمَا، وَأَشَارَتْ إِلَيْهِ أَنْ تَعَالَ خُذْهُمْ.

فَاحْتَرَقَ الصَّبِيُّ عَلَيْهِمْ، وَبَقِيَ يَسْأَلُهَا أَنْ تُطْلِقَهُمْ إِلَيْهِ، وَهْيَ تَقُولُ: مَا أُسَيِّبُهُمْ حَتَّى تَجِي أَنْتَ تَاخُذْهُمْ.

فَامْتَنَعَ الصَّبِيُّ، فَأَخَذَتْ سِكِّيناً[5] بِيَدِهَا، وَقَالَتْ لَهُ بِالإِشَارَةِ: تَجِي تَاخُذْهُمْ وَإِلاَّ أَذْبَحُهُمْ.

فَمِنْ حُرْقَةِ الصَّبِيِّ عَلَيْهِمْ نَزَلَ مِنْ دَارِهِمْ يَجْرِي، وَطَلَعَ إِلَيْهَا، وَهَجَمَ عَلَيْهَا لِيَأْخُذَ الْحَمَامَ، فَمَا هُوَ إِلاَّ أَنْ حَصَلَ عِنْدَهَا حَتَّى نَهَضَتْ، وَغَلَقَتِ البَابَ، وَمَسَكَتْهُ، وَاحْتَضَنَتْهُ، وَقَالَتْ لَهُ: كَمْ تَتَجَنَّى عَلَيَّ؟! وَاللَّهِ، مَا بَقِيَ يُخَلِّصُكَ مِنِّي مَلَكُ الْمَوْتِ!

فَسَأَلَهَا، وَتَرَضَّعَ لَهَا، وَقَالَ: يَا خَالَة، أَطْلِقِينِي[6]، لاَ يَجِي أَبِي مَا يَجِدُنِي فِي البَيْتِ.

فَقَالَتْ: وَاللَّهِ، مَتَى لَمْ تَقْعُدْ وَتَطَاوِعْنِي، ضَرَبْتُكَ بِهَذِهِ السِّكِّينَةِ، [وَ][7] قَتَلْتُكَ، وَقَتَلْتُ نَفْسِي بَعْدَكَ.

---

1) في الأصل: «يوم».
2) في الأصل: «الجوز إلي الفراخ».
3) في الأصل: «فطارت الفرخين».
4) إضافة يقتضيها التّركيب.
5) في الأصل: «سكّين».
6) في الأصل: «أطلقني».
7) إضافة يقتضيها التّركيب.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ:

فَلَمَّا رَأَى الصَّبِيُّ مِنْهَا الْجِدَّ - وَذَا صَغِيرٌ، وَعُمْرُهُ مَا وَقَعَ فِي أَمْرٍ، وَلاَ يَعْرِفُ إِيشْ النَّاس فِيهِ -، فَخَافَ، وَقَعَدَ. وَمَا قَوْلُكُمْ يَا سَادَة فِي صَبِيَّةٍ، وَجَاهِلَةٍ، وَعَاشِقَةٍ، وَقَدْ حَصَلَ مَعْشُوقُهَا عِنْدَهَا، فَلَمْ تَتَمَالَكْ نَفْسَهَا دُونَ أَنْ سَلَّتْ سَرَاوِيلَهَا، وَلَبِسَتْ بَدْلَةً أَحْمَر دَبِيقِي، وَكَوفِيَّةً[1] زَرْكَشٍ[2]، وَحَلَقاً[3]، وَقِلاَدَةً، ثُمَّ وَقَعَتْ عَلَى الصَّبِيِّ، وَتَسَلَّمَتْ خَرَاطِيمَهُ[4] وَزَلاَلِيمَهُ[5]، وَأَعْطَتْهُ مِنَ البَوْسِ وَالغُنْجِ وَالبُكَاءِ مَا لاَ عُمْرُهُ رَآهُ. وَذَا شَابٌّ، وَأَوَّل إِدْرَاكِهِ، فَوَثَبَ لِلْوَقْتِ أَيْرُهُ حَتَّى الْتَصَقَ بِصُرَّتِهِ[6]، وَبَقِيَ حَائِراً كَيْفَ يَعْمَلُ، وَالْحَيَاءُ غَالِبٌ عَلَيْهِ، وَقَدِ احْمَرَّتْ خُدُودُهُ، وَعزلَتْ عَيْوَتُهُ[7]، وَعَرِقَتْ جبهَتُهُ، وَثَارَتْ شَهْوَتُهُ، فَلَمْ تَتَمَالَكِ الصَّبِيَّةُ دُونَ أَنْ رَمَتْ[8] سِيقَانَهَا فِي وَسَطِهِ، وَقَلَبَتْهُ[9] عَلَى قَفَاهُ، وَرَكِبَتْ هِيَ صَدْرَهُ، وَمَلَّطَتْ خَرَاطِيمَهُ وَشَفَتَيْهِ[10]، وَمَصَّتْ لِسَانَهُ.

---

1) في تكملة المعاجم: 166/9 كفو: «كوفيّة: هي عند العامة كفّية، وجمعها كوافي: منديل قطنيّ، من القطن المشوب بالحرير، ونوع ثالث من الحرير المكفّت بالذّهب. تطوى الكوفية بصورة منحرفة، وتوضع على الرّأس بهيئة تتدلّى منها على الظّهر الزّاويتان المثنيّتان، والزّاويتان الأخريان على الجبهة، وفي محيط المحيط: منديل يلفّ به الرّأس، والعامة تقول الكفّية. وفي تونس تعتمر النّساء القلنسوات وفي ذلك يقول سانت جرفييه: يغطّين رؤوسهن بقلنسوة تدعى كوفيّة، تثبت المنديل الرّقيق الّذي تحتها، مصنوعة من مادّة ثمينة تطرّزها الأحجار الكريمة».

2) كذا في الأصل، وهي هنا بمعنى: «مزركشة».

3) في تكملة المعاجم: «حلَق: قرط، وجمعه حلقان وحلاق».

4) في تكملة المعاجم: 59/4 خرطم: «خطم الخنزير وفنطيسته».

5) في تكملة المعاجم: 351/5 زلم: «زُلّومة: فنطيسة الخنزير، وخرطوم الفيل».

6) كذا في الأصل، والمقصود: «السّرّة».

7) كذا في الأصل، ولم نعثر لها على شرح.

8) في الأصل: «أرمت».

9) في الأصل: «أقلبته».

10) في الأصل: «شفته».

ثُمَّ إِنَّهَا مَسَكَتْ أَيْرَهُ، وَإِذَا بِهِ مُوَتَّرٌ تَوْتِيراً جَيِّداً[1]، فَحَسَّسَتْ[2] عَلَيْهِ، ثُمَّ حَكَّتْهُ عَلَى بَابِ رَحِمِهَا، وَشَيَّفَتْهُ[3]، وَكَحَّلَتْهُ[4]، وَغَمَّقَتْهُ[5] مَعَهَا إِلَى حدِّ الشِّعْرَةِ[6] اليَتِيمَةِ. فَمَا هُوَ إِلاَّ أَنْ تَمَكَّنَ مِنْهَا، فَخَرَجَتْ عَنِ الوُجُودِ، وَصَارَتْ تَمْلُصُهُ إِلَى رَأْسِ التَّمَرَةِ[7]، وَتَطْبِقُهُ[8] إِلَى حَدِّ الشِّعْرَةِ، وَكُلُّ طَبْقَةٍ بِسَفْقَةٍ[9]، وَالصَّبِيُّ تَحْتَهَا يَظُنُّ أَنَّ هَذَا يَعْمَلُوهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ.

وَلَمْ يَزَالاَ فِي سَفْقٍ وَسَلٍّ وَطَبْقٍ، وَقَدْ زَادَتْ فِي غُنْجِهَا وَبُكَاهَا، مَعَ رَهْجِهَا[10]، إِلَى أَنْ تَغَلَّقَتْ عَيْنَاهَا[11]، وَانْحَلَّتْ يَدَاهَا[12]، وَهَدَتْ[13] حِدَّتُهَا، وَسَكَبَتْ حُسَيْنَتَهَا[14]. وَكَذَلِكَ الشَّابُّ، الآخَرُ ذَاقَ مِنَ اللَّذَّةِ مَا لاَ عُمُرُهُ عَهِدَهُ، وَبَقِيَتْ حَلاَوَتُهُ فِي أَسْنَانِهِ إِلَى آخِرِ دَهْرِهِ. ثُمَّ إِنَّهَا لَمَّا فَرَغَتْ نَزَلَتْ عَنْهُ، وَمَسَحَتْ أَيْرَهُ، وَهُوَ عَلَى حَالِهِ فِي القِيَامِ، لَمْ يَنْكَسِرْ، وَقَدْ

---

1) في الأصل: «توتير جيد».

2) في تكملة المعاجم: 162/3 حس: «حسّس، بالتّشديد: جسّ، مسّ، تحسّس».

3) في تكملة المعاجم: 382/6 شوف: «شيف: فتيلة، حميلة»، وهي هنا على سبيل الاستعارة.

4) في تكملة المعاجم: 41/9 كحل: «كحّل: جصّص، جبّس»، وهي هنا على سبيل الاستعارة.

5) في تكملة المعاجم: 309/7ـ310 عمق: «عمّق: تستعمل بالغين المعجمة في لهجة أهل المغرب، وكذلك في لهجة العامّة في الشّام. عمّق بالتّشديد: حفر، احتفر، قعّر، وهو الدّخول في عمق الشّيء وهو قعره. وعمّق: غمر، غطّس، أغرق»، وهو هنا كناية عن الإيلاج.

6) الشِّعْرة، بالكسر: شعر العانة.

7) في تكملة المعاجم: 63/2 تمر: «تمَرة: كمرة»، أي رأس الذّكر.

8) في تكملة المعاجم: 19/7 طبق: «طبّق مثل طبق وأطبق: أغلق وسدّ».

9) في تكملة المعاجم: 87/6 سفق: سفقه كفّا، وسفقه حلاوة كفّ: لطمه، وسفق رحم امرأته». وزاد في الهامش: وفي تاج العروس (سفق): «سفق امرأته سفقا: أصابها».

10) في تكملة المعاجم: 226/5 رهج: «أرهج: رقص»، وهو هنا كناية عن الرّهز.

11) في الأصل: «عينيها».

12) في الأصل: «يديها».

13) كذا في الأصل، والمقصود: «هدأت» باللّهجة العامّيّة.

14) كذا في الأصل، ولم نعثر لها على شرح، والواضح من السّياق أنّها تفيد: «الإنزال».

زَادَ فِي إِنْعَاظِهِ، فَلَمْ تَتَمَالَكْ دُونَ أَنْ أَصْلَحَتْ أَمْرَهَا، وَنَشَّفَتْ رُطُوبَةَ فَرْجِهَا، وَعَطَفَتْ عَلَى صَدْرِهِ وَزَلاَلِيمِهِ، وَمَلَّطَتْهُمْ مَلِطْ جَيِّدْ[1]، وَرَمَتْ[2] سِيقَانَهَا فِي وَسَطِهِ، وَشَبَكَتْ يَدَيْهَا عَلَى رَقَبَتِهِ، وَقَالَتْ بِغُنْجٍ: كَبِدِي، قُمْ عِنْدِي، وَأَنَا نِكْتُكَ، قُمْ نِيكْنِي، وَغَشِّينِي[3] كَمَانَه، وَطَشِّينِي[4].

فَقَالَ الصَّبِيُّ: كَيْفَ أَعْمَلُ؟ وَرِّينِي[5] وَعَلِّمِينِي.

فَانْقَلَبَتْ عَلَى قَفَاهَا، وَرَفَعَتْ سَاقَيْهَا بِيَدَيْهَا[6]، وَبَلَّزَتْهُ[7] مِنْ بَيْنِ الوَرِكَيْنِ، فَخَرَجَ مِلْوَ اليَدَيْنِ، وَقَالَتْ: كَبِدِي، قُمْ اِرْكَبْنِي، وَآعْبُرْ بَيْنَ أَفْخَاذِي، وَاقْعُدْ عَلَى قَرَافِيصِكَ[8]، وَتَأَمَّلْ هَذَا الَّذِي هُوَ أَكْبَرُ مِنْ عِمَامَةِ قَاضِي، وَرَيِّقْ رَأْسَ أَيْرِكَ، وَحُكَّهُ، وَمَكِّنْ قَرْعَتَهُ[9]، وَإِذَا قُلْتُ لَكَ يَا حَبِيبِي آدْخُلْ بِهِ، فَعَبِّرْهُ سِنَّهْ سِنَّهْ[10]، وَلاَ تَبْخُلْ بِهِ إِلَى أَنْ تُسَكِّنَهُ فِيَّ كُلَّهُ، وَارْجَعْ يَا رُوحِي سُلَّهُ، وَارْجَعْ يَا حَبِيبِي أَطْبِقْهُ، وَآدْفَعْهُ[11]، وَاسْفِقْهُ حَتَّى تَرَانِي قَدْ قَرَشْتُ[12] شَفَتَكَ بِأَسْنَانِي، وَغَابَ صَوَابِي

---

1) في تكملة المعاجم: 108/10 ملط: «جعل سيفة يدور في الهواء، أي سحبه، ثمّ حرّكه أو أداره، والملْط: اختلاط الحابل بالنّابل».

2) في الأصل: «أرمت».

3)من الغشي والغشيان، وهو الجماع ؛ انظر: الأفعال لابن القطّاع: 430/2، والوشاح في فوائد النّكاح (بتحقيقنا، سنشير إليه لاحقا بالوشاح): 149 رقم 176.

4) الطّشأ: من أسماع الجماع ؛ انظر تاج العروس (طشأ)، والوشاح: 145 رقم 173.

5) في الأصل: «أوريني».

6) في الأصل: «بيدها».

7) كذا في الأصل، ولعلّ المقصود: «أبرزته وأظهرته» بالعامّيّة.

8) في تكملة المعاجم: 241/8 قرفص: «قعد على قرافيصه: أقعى، جلس القرفصاء».

9) نسبة إلى القرع، أو الصّلع، والأصلع والأقرع من كنايات الذّكر.

10) في الأصل: «سنا سنا».

11) في الأصل: «ادقعه».

12) في تكملة المعاجم: 224/8 قرش: «قضم، صرّ على أسنانه»، وهي هنا في معنى مصّ وعضّ.

مِنِّي، وَذَبُلَتْ أَجْفَانِي، فَأَدْرِكْنِي، وَآسْكُبْهُ دِيكِ السَّاعَةِ فِيهِ، وَاتْصَدَّقْ[1] بِإِحْسَانِكَ يَا رُوحِي عَلَيْهِ.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ:

فَرَكِبَ الصَّبِيُّ صَدْرَهَا، وَامْتَثَلَ أَمْرَهَا، وَصَارَتْ تُعَرِّفُهُ مَوَاضِعَ مَكَامِنِهَا، وَتَرُدُّهُ إِذَا تَاهَ وَرَجَعَ عَنْهَا، وَهِيَ تُعَاطِيهِ غُنْجاً[2]، وَبَكَاءً بِحُرْقَةٍ، وَكُلُّ شَهْقَةٍ بِشَرْقَةٍ إِلَى أَنْ قَضَتْ مُرَادَهَا، وَأَشْفَتْ غَلِيلَ فُؤَادِهَا.

فَقَالَ:

وَقَامَ الصَّبِيُّ، وَطَلَبَ الْخُرُوجَ مِنَ البَيْتِ، فَقَالَتْ: لاَ يَخْطُرْ بِعَقْلِكَ أَنْ تَنْزِلَ مِنْ هَاهُنَا إِلاَّ بَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ، فَلاَ تُطَوِّلْ فِي الكَلاَمِ.

وَرَأَى الْجِدَّ مِنْهَا، فَصَبِرَ عَلَى كُرْهٍ مِنْهُ، وَالنَّارُ فِي قَلْبِهِ لأَجْلِ أَبِيهِ[3] وَأَهْلِهِ. وَقَدَّمَتْ لَهُ شَيْئاً[4] للأَكْلِ، فَأَكَلَ. وَلَمْ يَزَالُوا طُولَ ذَلِكَ النَّهَارِ عَلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ نَيْكٍ، وَحُسْنِ مُنَادَمَةٍ إِلَى بَعْدِ العَصْرِ، وَإِذَا بِالبَابِ يُطْرَقُ، فَخَافَ الصَّبِيُّ مِنْ ذَلِكَ خَوْفاً عَظِيماً[5]، فَقَالَتْ لَهُ: مَا عَلَيْكَ خَوْفٌ.

ثُمَّ إِنَّهَا نَطَّتْ، وَأَخْرَجَتْ إِيزَارْ وَلَفَّتْهُ، وَأَجْلَسَتْهُ فِي الصَّدْرِ عَلَى بَابِ الْخِزَانَةِ، وَفَتَحَتْ لِزَوْجِهَا البَابَ، وَهْيَ تُدَمْدِمُ وَتُوَلْوِلُ. وَكَانَتْ عَلَى قَلْبِهِ مُدَلَّلَةً، فَقَالَ لَهَا: مَا لَكِ يَا مَرَهْ؟

---

1) في الأصل: «اتصدق».

2) في الأصل: «غنج».

3) في الأصل: «أبوه».

4) في الأصل: «شيء».

5) في الأصل: «خوف عظيم».

فَقَالَتْ: عُمْرِي مَعَكَ مُعَتَّرَةٌ[1]، وَيَجُوا أَهْلِي إِلَى عِنْدِي مَا يَلْتَقُوا لُقْمَةَ خُبْزٍ، وَلاَ مَنْ يَكْسِرْ فِي وُجُوهِهِمْ رَغِيفْ، حَتَّى بَقَى وَجْهِي مِنْهُمْ بِالأَرِضْ.

فَقَالَ لَهَا: وَمَنْ عِنْدَكِ؟

فَقَالَتْ: بِنْتُ خَالَتِي، صَبِيَّةٌ صَغِيرَةٌ، بِنْتُ خَمْسَةَ عَشَرَ سَنَة، وَهْيَ عَرُوسَةٌ فِي بَيْتِهَا دُونَ السِّتَّةِ أَشْهُرٍ. وَالآنَ تَخَاصَمَتْ وَزَوْجَهَا، وَجَاتْ تَرُوحُ إِلَى بِيتْ أَبُوهَا، فَهَجَّتْ[2] عَلَى وَجْهِهَا[3] وَجَاتْ إِلَى عِنْدِي، وَهَا هِيَ فِي الْخِزَانَةِ.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ:

فَقَالَ بِتَدْمِيغٍ[4]: يَا مَرَهْ، سَاعَةٌ مُبَارَكَةٌ، وَأَنَّسْتْنَا، وَحَلَّتِ البَرَكَةُ، البَيْتُ بَيْتُهَا، وَالْمَوْضِعُ مَوضِعُهَا، وَأَنَا، وَاللَّهِ، كُنْتُ مَشْغُولْ، وَهَا أَنَا قَدْ حَضَرْتُ، وَمَهْمَا اشْتَهَيْتِ[5] أَحْضَرْتُهُ السَّاعَةَ.

ثُمَّ أَخَذَ طَبَقاً[6] وَزُبْدِيَّةً[7]، وَنَزَلَ إِلَى السُّوقِ، وَأَحْضَرَ كُلَّ مَا يُمْكِنُ إِحْضَارُهُ مِنْ حَوَاضِرِ[8] السُّوقِ، وَمَعَ ذَلِكَ سَلَّةُ فُقَّاعٍ[9]، وَقُوطَةٍ[10]،

---

1) في تكملة المعاجم: 141/7 عتر: «معتَّر: فاسق، فاجر، خسيس، دنيء، وهي تصحيف مُعَثَّر عند العاقة، للصُّعلوك ومن لا خير فيه».

2) في تكملة المعاجم: 4/11 هج: «هاجر، انسلّ، أفلت، فرّ، وكذلك تهجّج».

3) في نفس المصدر، نقلا عن ألف ليلة وليلة: «فقام أخي هاجّا على رأسه حتّى دخل مدينة كبيرة».

4) في تكملة المعاجم: 407/4 دمغ: «دمغه: بلبل عقله وشوّشه وأقلقه»، وهي هنا في معنى الغفلة والغباء.

5) في الأصل: «اشتهيتي».

6) في الأصل: «طبق».

7) في تكملة المعاجم: 281/5 زبد: «زُبديّة: إناء من الخزف الصّينيّ بلون الزُبد، غير أنها تستعمل بمعنى إناء، وطاس، وصحفة من الخزف الصّيني، وصحفة من الفخّار، وصحن، ووعاء من الخزف يختّر فيه اللّبن، ونوع من البراني وأواني الخزف».

8) الحواضر: الأطعمة الجاهزة المعدّة في السّوق.

9) في تكملة المعاجم: 101/6 فقع: «فقع وفقعة، وجمعها فقّاع: فطر».

10) قوطة: الطّماطم.

وَفَاكِهَةٍ. وَقَدِ اشْتَرَى وَكَثَّرَ، وَاشْتَرَى بِالْهَمْلَةِ حَتَّى يُبَيِّضَ وَجْهَهُ عِنْدَ أَهْلِ مَرْتِهِ. فَلَمَّا أَتَى بِالْجَمِيعِ، قَامَتْ إِلَيْهِ امْرَأَتُهُ وَقَبَّلَتْ يَدَيْهِ، وَقَالَتْ: اللَّهُ يَسْتُرُكَ كَمَا سَتَرْتَنِي يَا رَجُل مِنْهَا.

وَأَخَذَتْ ذَلِكَ جَمِيعَهُ مِنْهُ، وَدَخَلَتْ بِهِ الْخِزَانَةَ، وَرَدَّتْ البَابَ، وَصَارَتْ تَأْكُلُ وَتُلْقِمُ مَعْشُوقَهَا، وَتَضْحَكُ، وَتُكَرْكِرُ[1]. فَلَمَّا فَرَغُوا مِنَ الأَكْلِ، أَخْرَجَتِ الفَضْلَةَ إِلَى زَوْجِهَا الْمُدَمَّغِ الأَبْلَمِ[2]، وَقَالَتْ لَهُ: يَا سَيِّدِي، بِتْبُوسْ يَدَيْكَ، وَتَشْكُرُ مِنْ إِحْسَانِكَ، وَقَالَتْ لَكَ: لِيشْ تَكَلَّفْتَ هَذِهِ الكُلْفَةَ العَظِيمَةَ، وهْيَ عِنْدَكَ مِثْل بِنْتكَ؟

فَقَالَ الزَّوْجُ: سَلِّمِي عَلَيْهَا مِنْ عِنْدِي، وَقُولِي لَهَا: البَيْتُ بَيْتُكِ، وَالْمَوْضِعُ مَوْضِعُكِ.

وَلَمْ تَزَلْ إِلَى [أَنْ][3] دَخَلَ اللَّيْلُ، فَقَالَ لَهَا القَرْنَانُ[4]: قُومِي افْرِشِي لِلصَّبِيَّةِ.

فَقَامَتِ الْمَرْأَةُ، وَفَرَشَتْ لِلصَّبِيِّ فِي الْخِزَانَةِ، ثُمَّ خَرَجَتْ إِلَى زَوْجِهَا، فَقَالَ لَهَا: يَا مَرَهْ، رُوحِي بَاتِي عِنْدَ بِنْتِ خَالَتِكِ[5]، فَإِنَّهَا صَغِيرَةٌ، وَتَرْجع تَسْتَوْحِش وَحْدَهَا.

فَقَبَّلَتْ رَأْسَهُ، وَقَامَتْ دَخَلَتْ عِنْدَا الشَّابِّ. وَمَا زَالُوا فِي بَوْسٍ وَعِنَاقٍ، وَلَفِّ سَاقٍ بِسَاقٍ طُولَ اللَّيْلِ إِلَى الإِشْرَاقِ.

---

1) في تكملة المعاجم العربيّة: 68/9 كركر: «كركر: دغدغ، سحب».

2) في تكملة المعاجم: 438/1 بلم: «أبلم: أبله.

3) إضافة يقتضيها التّركيب.

4) في تكملة المعاجم: 252/8 قرن: «قرنان: ديّوث، الّذي لا غيرة له، المشارك في زوجته، نعت سوء للرّجل الّذي لا غيرة له على أهله».

5) في الأصل: «خالتكي».

قَالَ:

وَلَمَّا أَصْبَحَ اللَّهُ بِالصَّبَاحِ، وَأَضَاءَ بِنُورِهِ وَلاَحَ، قَامَ زَوْجُهَا، وَأَخَذَ طَبَقاً[1] وَزُبْدِيَّةً، وَنزَلَ يَشْتَرِي لَهَا الغَدَاءَ. هَذَا، وَالشَّابُّ قَدْ تَوَقَّدَتِ[2] النَّارُ فِي قَلْبِهِ مِنْ أَجْلِ أَبِيهِ[3] وَأَهْلِهِ.

قَالَ:

وَخَرَجَ يُرِيدُ النُّزُولَ، وَهْيَ تَتْبَعُهُ، وَتَجْذِبُهُ وَهْوَ يَتَسَيَّبُ مِنْهَا، وَيُلاَبِطُهَا[4] حَتَّى يَخْلُصَ مِنْهَا، وَنَزَلَ يَجْرِي فِي السَّلاَلِمِ، وَالصَّبِيَّةُ وَرَاءَهُ. فَهْوَ فِي نِصْفِ السُّلَّمِ، وَزَوْجُهَا فِي السُّلَّمِ طَالِعٌ، وَقَدِ اشْتَرَى كَشْكاً[5]، وَزَلاَبِيَّةً، وَعَسَلَ نَحْلٍ، فَصَدَفَ[6] الشَّابَّ، وَوَقَعَ وَجْهُهُ فِي وَجْهِهِ، وَرَأَى زَوْجَتُهُ خَلْفَهُ، وَهْيَ شاحتنه[7].

قَالَ الْمُؤَلِّفُ:

فَلَمَّا رَأَتِ الصَّبِيَّةُ زَوْجَهَا، صَاحَتْ فِي أَسْرَعِ وَقْتٍ: يَا رَجُلْ، أَمْسِكْهُ لاَ يَنْزِلْ. يَا رَجُلْ اِحْلِفْ عَلَيْهِ. يُوهْ يُوهْ، السَّاعَةَ يرَوَّحْ.

فَأَبْهَتَتِ الرَّجُلَ فِي الوَقْتِ، وَقَالَ: مَنْ هَذَا يَا مَرَهْ؟

فَقَالَتْ: هَذَا زَوْجُ بِنْتِ خَالَتِي، الَّتِي كَانَتْ نَائِمَةً عِنْدِي. وَهَذَا

---

1) في الأصل: «طبق».

2) في الأصل: «توقد».

3) في الأصل: «أبوه».

4) في تكملة المعاجم: 202/9 لبط: «لبط: رفس، رمح»، وهي هنا بمعنى يصارعها.

5) في الأصل: «كشكك»، تصويبه من تكملة المعاجم: 98/9 كشك، وفيه: «كشك (فارسيّة): نوع من أنواع الجبن، المسحوب من الحليب الحامض».

6) في تكملة المعاجم: 430/6 صدف: «صدف، عامّيّة صادف، أي لقيه اتّفاقا على غير قصد».

7) كذا في الأصل، ولم نعثر لها على شرح، والواضح من السّياق أنّ المقصود أنّها سافرة.

زَوْجُهَا رَاحَ إِلَى بَيْتِ أَبِيهَا[1] مَا الْتَقَاهَا، فَأَتَى إِلَى عِنْدِي. **وَأَمَّا هِيَ**، فَإِنَّهَا لَمَّا نَزَلْتَ أَنْتَ يَا رَجُلْ، قَامَتْ رَاحَتْ، فَقُلْتُ لَهَا اقْعُدِي حَتَّى يَجِي زَوْجُكِ[2]، فَمَا رَضِيَتْ، وَخَافَتْ مِنْ أَبِيهَا[3]، فَرَاحَتْ إِلَى بَيْتِهَا بَعْدَ خُرُوجِكَ، وَتَخَالَفَتْ هِيَ وَزَوْجُهَا فِي الطَّرِيقِ، وَهَا هُوَ فِي طَلَبِهَا إِنْ كَانَتْ جَاتْ لِهُنَا أَمْ لاَ؟ وَقَدْ حَلَفْتُ لَهُ أَنَّهَا كَانَتْ نَائِمَةً عِنْدَنَا، فَمَا صَدَّقَنِي، وَهَا هُوَ رَايِحْ مُنْغَاضْ[4]، وَمَا قَدِرْتُ عَلَيْهِ أُمْسِكُهُ.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ لِهَذَا الْحَدِيثِ الْعَجِيبِ، وَهْوَ مُؤَلِّفُ هَذَا الدِّيوَانِ، إِنَّ زَوْجَهَا الْمدَمَّغ مَسَكَهُ، وَحلَفَ بِالطَّلاَقِ الثَّلاَثِ إِنَّكَ مَا تَرُوحْ حَتَّى آكُلَ أَنَا وَإِيَّاكَ خُبْزْ وَمِلحْ، وَهَذَا غَدَاءُ زَوْجَتِكَ، وَلَكِنْ مَا لَهَا فِيهِ نَصِيبٌ، وَأَنْتَ أَحَقُّ بِأَكْلِهِ.

ثُمَّ إِنَّهُ مَسَكَ الشَّابَّ، وَطَلَعَ بِهِ إِلَى البَيْتِ، وَمَا قَدِرَ الصَّبِيُّ يُخَالِفُهُ. وَجَلَسَ عَشِيقُهَا مَعَ زَوْجِهَا، وَوَقَفَتْ هِيَ فِي الْمَجْلِسِ، وَقَالَتْ لَهُ: يَا رَجُلْ، أَحْلِفْ لَهُ حَتَّى يَطِيب قَلْبُهُ أَنَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ عِنْدَنَا البَارِحَةَ، حَتَّى يُصَدِّقَ، وَيَطِيبَ خَاطِرُهُ، وَلاَ يُكَلِّمُهَا.

فَحَلَفَ لَهُ الْمِسْكِينُ بِالطَّلاَقِ الثَّلاَثِ أَنَّ زَوْجَتَكَ كَانَتْ نَائِمَةً عِنْدَ زَوْجَتِي فِي فِرَاشٍ وَاحِدٍ. وَطَيَّبَ خَاطِرَهُ، وَصَارَ يُلْقِمُهُ وَيُطْعِمُهُ إِلَى أَنْ فَرَغُوا مِنَ الأَكْلِ، وَسَكَبَتْ هِيَ عَلَى أَيْدِيهِمْ الْمَاءَ.

قَالَ:

---

1) في الأصل: «أبوها».

2) في الأصل: «زوجكي».

3) في الأصل: «أبوها».

4) أي مغتاظا.

ثُمَّ نَزَلَ الصَّبِيُّ، وَهْوَ يَتَشَكَّرُ لَهُ فِعْلَهُ مَعَهُ، وَتَفَارَقُوا عَلَى طِيبَةٍ[1].

قَالَ:

يَا سَادَة، وَصَارَ الصَّبِيُّ حِرِّيفَهَا، وَقَدْ وَقَعَتْ[2] مَحَبَّتُهَا فِي قَلْبِ الصَّبِيِّ، وَازْدَادَتْ هِيَ لَهُ حُبّاً. وَصَارَ كُلَّ قَلِيلٍ يُزُورُهَا، فَيَأْكُلُوا، وَيَشْرَبُوا، وَيَتَنَايَكُوا. هَذَا عَلَى عِينِكْ[3] مَدَّةَ[4] ثَلاَث سِنِين.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ لِهَذَا الْحَدِيثِ:

فَلَمْ أَسْمَعْ أَعْظَمَ حِيلَةً، وَلاَ أَسْرَعَ مَكِيدَةٍ، وَلَمْ أَرَ أَسْرَعَ اسْتِحْضَاراً مِنْهَا[5]. وَالَّتِي تَتْبَعُهَا أَسْرَعُ اسْتِحْضَاراً مِنْ هَذِهِ الْمَاجْرِيَّةِ، وَأَبْلَغُ لأَنَّهَا غَرِيبَةٌ عَجِيبَةٌ.

---

1) في تكملة المعاجم: 105/7 طيب: «من طيبة: طوعا، بحسن الرّضا».

2) في الأصل: «وقع».

3) كذا في الأصل، ولعلّها اختصار للمثل العامّيّ «على عينك يا تاجر»، أي عيانا جهارا، والمقصود بهذا المثل الإساءة الّتي تقع علانية دون خوف أو وجل. وكان شائعا بين عامّة مصر في المائة الثّامنة للهجرة.

4) في الأصل: «مدت».

5) أي من هذه المرأة.

الْمَاجِرِيَّةُ الرَّابِعَةُ

قَالَ الْمُؤَلِّفُ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ: حَكَى[1] لِي شَخْصٌ مِنْ أَصْحَابِي، قَالَ: كَانَ عِنْدَنَا فِي الْحَارَةِ امْرَأَةٌ مَلِيحَةٌ، مُبْدِعَةٌ بِالْجَمَالِ وَالبَهَاءِ، وَالكَمَالِ وَالقَدِّ وَالاعْتِدَالِ، وَالغُنْجِ وَالدَّلَالِ. وَكَانَ لَهَا زَوْجٌ عَنْبَرِيٌّ، وَهْوَ أَعْشَقُ خَلْقِ اللَّهِ فِي خَرَاطِيمِهَا. وَكَانَ يُمَكِّنُهَا مِنَ التَّصَرُّفِ فِي الدُّخُولِ وَالْخُرُوجِ لأَجْلِ مَحَبَّتِهِ فِيهَا، وَعِشْقِهِ إِيَّاهَا. وَكَانَ سَاكِنٌ إِلَى جَانِبِهِمْ أَمِير شِكَارْ[2]، خَاصٌّ عِنْدَ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ[3]، أَبِي[4] الْمَلِكِ النَّاصِرِ[5]. وَكَانَ لِلأَمِيرِ الْمَذْكُورِ وَلَدٌ، أَحْسَنُ أَهْلِ زَمَانِهِ،

---

1) في الأصل: «أحكا».

2) في المعجم الجامع: 24: «من «أمير» العربيّة، و«شكار» بمعنى الصّيد في اللّغة الفارسيّة. مصطلح كان شائعا في العهد المملوكيّ، يدلّ على متولّي أمر الجوارح السّلطانيّة، وكلّ متعلّقات الصّيد، ويكون في العادة أمير عشرة».

3) المنصور سيف الدين قلاوون الألفي الصالحي أحد أشهر سلاطين المماليك البحرية، ورأس أسرة حكمت مصر والمشرق العربي مايزيد على قرن من الزمان. كان من رجال الملك الصّالح أيّوب، زوج شجرة الدر. وأبلى بلاء حسناً في معركة المنصورة، وعلا شأنه بعد ذلك، فكان من كبار الأمراء، أصحاب النفوذ في دولة بيبرس، وبويع له بالسّلطنة في الحادي عشر من رجب سنة 678هـ خلفاً للملك الصغير العادل بدر الدين سُلامش.

4) في الأصل: «أبو».

5) الملك ناصر الدين محمد بن قلاوون أو الناصر محمد اختصاراً، ولد بالقاهرة في 684 هـ / 1285 ـ توفى بالقاهرة في 741 هـ. وهو تاسع سلاطين الدولة المملوكية البحريّة. لقب بـأبي المعالي وأبي الفتح، وجلس على تخت السلطنة ثلاث مرات، من 693 هـ / 1293 إلى 694

وَمِنْ مَعَزَّتِهِ عِنْدَ أَبِيهِ مَا كَانَ يَصْبِرُ عَنْهُ سَاعَةً وَاحِدَةً. وَكَانَ عَلَى الصَّبِيِّ الْحَجْرُ بِالْخَادِمِ وَالْمَمْلُوكِ، وَاللاَّلاَ[1].

فَاتَّفَقَ مِنَ الاتِّفَاقَاتِ الْغَرِيبَةِ، وَالأُمُورِ العَجِيبَةِ، أَنَّ الْمَرْأَةَ الْمَذْكُورَةَ، زَوْجَةُ العَنْبَرِي، رَأَتِ الشَّابَّ يَوْماً مِنَ الأَيَّامِ، نَظْرَةً أَعْقَبَتْهَا النَّظْرَةُ حَسْرَةً، وَقَالَتْ لَمَّا رَأَتْهُ: يَا حَبِيبِي، هَلْ تَكُونُ مِنْ نَصِيبِي؟

وَمَا زَالَتْ تَعْمَلُ عَلَى ابْنِ الأَمِيرِ، وَتُطْعِمُ الْمَمْلُوكَ وَالْخَادِمَ، وَتُبَرْطِلُ حتَّى أَنَّهَا أَفْسَدَتِ الصَّبِيَّ، وَوَقَعَ[2] مَعَهَا. وَهَذَا سَاكِنٌ مَعَهَا مِنْ دَاخِلِ الدَّرْبِ، وَجَارُ الْمَكَانِ، فَصَارَ الشَّابُّ يَطْلَعُ إِلَى الصَّبِيَّةِ وَيَنْزِلُ فِي غَيْبَةِ زَوْجِهَا. وَكُلَّمَا يَطْلَعُ لَهَا تَقُومُ تُلاَقِيهِ مِنْ أَسْفَلِ السُّلَّمِ، ثُمَّ تَحْضُنُهُ، وَتُعْطِيهِ عِشْرِينَ ثَلاَثِينَ بُوسَة، زَقُّ الْحَمَامِ[3] شَيْءٌ، وإِلاَّ[4] تَكْسِيرُ الْفُسْتُقِ عَلَى نَاعِمِ الرُّخَامِ. ثُمَّ تَحْمِلُهُ فِي حُضْنِهَا، بَعْدَ غَلْقِ البَابِ، وَتَصْعَدُ بِهِ إِلَى فَوْقَ البَيْتِ، ثُمَّ تَتَغَنَّجُ عَلَيْهِ، وَتَشْهَقُ، وَتَتَرَامَى عَلَيْهِ فِي صَدْرِهِ، ثُمَّ تَحُلُّ لِبَاسَهُ، وَتُمْلُصُ هِيَ أَيْضاً سَرَاوِيلَهَا مِنْ أَكْعَابِهَا.

وَهَذَا شَابٌّ وَصَبِيٌّ، وَابنُ نِعْمَةٍ، وَيَرَى هَذَا الْحَالَ العَجِيبَ الَّذِي يُذْهِلُ كُلَّ عَاقِلٍ لَبِيبٍ، فَيَقُومُ أَيْرُهُ، فَحِينَئِذٍ يَتَسَلَّمُ الشَّابُّ خَرَاطِيمَهَا

هـ / ، آخرها 709 هـ / 1309 وحتى وفاته في عام 741 هـ / 1341. وهو من أبرز سلاطين الأسرة القلاوونية والدولة المملوكية. خاض حروباً ضد الصليبيين والمغول، وحروباً إصلاحيّة في الداخل ضد الفساد. شهدت مصر في فترة حكمه الثالثة نهضة حضارية وعمرانية لم تشهدها في عهد أي سلطانٍ آخر من سلاطين الدولة المملوكية.

1) في شفاء الغليل: 266: «لالا: المربّي من الخدم، مبتذل عامّيّ معرّب».

2) في تكملة المعاجم: 92/11 وقع: «وقع: خضع للإغراء».

3) في تكملة المعاجم: 388/3 رقق: «زقّ: قبّله بفمه كما يفعل الحمام، ففي ألف ليلة وليلة: قبّلته في فمه مثل زقّ الحمام».

4) في الأصل: «ولا».

وَيَرْشُفُهُمْ، ثُمَّ يَدْفَعُهَا فِي صَدْرِهَا فَتَنْقَلِبُ عَلَى ظَهْرِهَا. فَلِلْوَقْتُ يَأْخُذُ سِيقَانَهَا فِي وَسَطِهِ، ثُمَّ يُمْسِكُهُ بِيَدِهِ، وَيُطَلِّسُهُ[1] بِبَزْقَةٍ مِقْدَار أُوقِيَةٍ، وَيُصَوِّبُهُ إِلَى نَحْوِ الَّذِي عَلَيْهِ تِلْكَ الطَّاقِيَةُ، ثُمَّ يَخْنُقُهُ، وَيَحُكُّهُ، وَيُشَيِّفُهُ، وَيَزْرُقُهُ[2]، وَيُكَحِّلُهُ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يُعَمِّقُهُ، وَيَجْبِدُهُ[3]، وَيَسْفُقُهُ، وَيَمُدُّهُ، وَيُزَقِّقُهُ[4]، وَيَتَبَاعَدُ، وَيُلْقِيهِ[5]، وَيَرْصَعُهُ، وَيَدُقُّهُ[6]، وَالصَّبِيَّةُ مِنْ تَحْتِهِ تَتَغَنَّجُ، وَتَشْهَقُ، وَتَرْهجُ، وَتَهُزُّ، وَتُكَرْبِلُ، وَتُغَرْبِلُ[7].

وَلَمْ يَزَالُوا فِي نَيْكٍ وَلَيْكٍ، وَهَزٍّ، وَلَفٍّ، وَعَفْقٍ، وَسَفْقٍ، وَهَزٍّ، وَجِدٍّ، وَجَبْدٍ، وَمَدٍّ إِلَى أَنْ يَغِيبُوا عَنِ الْوُجُودِ، وَيَصِيرُ[8] جَدُّهُمْ مَفْقُودٌ، وَتَجِيهُمْ الْحُسَيْنَاتُ، وَيُشَاهِدُوا تِلْكَ اللَّذَّاتِ.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ:

فَقُدِّرَ أَنَّهُ كَانَ يَوْمٌ مِنَ بَعْضِ الأَيَّامِ، بَيْنَمَا الشَّابُّ عِنْدَهَا، وَقَدْ هَيَّأَ أَمْرَهَا، وَهُوَ رَاكِبٌ عَلَى صَدْرِهَا، وَيَسْفِقُ عَلَى حِرِهَا، وَزَوْجُهَا العَنْبَرِيُّ حَصَلَ لَهُ عَارِضٌ[9]، فَقَفَلَ الدُّكَّانَ - وَكَانَ زَمَان الصَّيْفِ -، فَجَاءَ إِلَى الدَّارِ. وَكَانَ الشَّابُّ عِنْدَهَا، وَهُوَ رَاكِبٌ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ

---

1) في الأصل: «يطيلسه»، وفي تكملة المعاجم: 65/7 طلس: «طلس: دهن، طلى، طلس وجهه: غشّاه بالدّهان، وهو من كلام العامّة».

2) في تكملة المعاجم: 310/5 زرق: «زرق: رمى، قذف، دفع».

3) في تكملة المعاجم: 134/2 حبد: «جبذ، والعامّة تنطقها عادة بالدّال المهملة هي وجميع مشتقّاتها: سلّ السّيف من غمده. وجبذ: جذب واجتذب».

4) في الأصل: «يرققه».

5) في الأصل: «يلقه».

6) كناية عن الإيلاج.

7) الرّهج والهزّ والكربلة والغربلة كناية عن الرّهز.

8) في الأصل: «يصيرو».

9) في تكملة المعاجم: 179/7 عرض: «عارضيّ: طارئ».

عَلَى صَدْرِهَا، وَطَرَقَ البَابَ بِزَعْجَةٍ[1]، فَطَلَّتْ زَوْجَتُهُ مِنَ النَّجْشِ[2]، الَّذِي فِي الطَّاقِ، بَعْدَ مَا رَفَعَت الشَّابَّ عَنْ صَدْرِهَا، وَقَامَتْ لِلْوَقْتِ مِنْ غَيْرِ خَوْفٍ وَلاَ انْزِعَاجٍ، وَخَبَّتِ[3] الصَّبِيَّ فِي خِزَانَةِ البَيْتِ، وَرَدَّتْ بَابَهَا، وَقَفَلَتْ عَلَيْهِ بِالضَّبَّةِ[4]، وَنَزَلَتْ فَتَحَتْ لِزَوْجِهَا.

فَقَالَ: إيشْ قَعَادَكِ[5] وَيْلَكِ؟ وَمَا بَالُكِ مَا فَتَحْتِ[6] بِالعَجَلَةِ؟

فَقَالَتْ: كُنتُ نَائِمَةً، وَأَنْتَ إِيشْ جَابَكْ فِي هَذَا الوَقْتِ؟

فَقَالَ: اليَوْمَ سُخْرَةٌ[7] عِنْدَ السُّلْطَانِ، وَقَدْ طَلَبُوا الصُّنَّاعَ[8] يَعْجِنُوا لَهُ عَنبَرْكِيَّهْ[9] لأَجْلِ الدُّورِ والسَّرَارِي وَالْحَرِيمِ، فَغَيَّبْتُ أَنَا وَجِيتِ البَيْت، وَقَصَدْتُ اليَوْمَ القَعَادَ فِي البَيْتِ، وَعَزَمْتُ أَنْ مَا أَنْزِلُ مِنْهُ إِلَى غَدٍ[10].

قَالَ الْمُؤَلِّفُ:

فَفَكَّرَتِ[11] الصَّبِيَّةُ أَنَّ الشَّابَّ عَلَيْهِ الْحجْرُ، وَمَا تَقْدِرُ أَنْ تُبْطِئَ عَلَى الْخدَمِ، فَقَامَتْ قَلَعَتْ سَرَاوِيلَهَا، وَأَرْخَتْ ضفَائِرَهَا[12]، وَتَبَخَّرَتْ،

---

1) كذا في الأصل، ولم نعثر عليها في ما راجعنا من قواميس، والواضح من السّياق أنّها في معنى بقوّة.

2) كذا في الأصل، وفي تكملة المعاجم: 174/10 نجش: «نجش: ثقب المزمار»، وهو هنا بمعنى خصاص الشّبّاك.

3) في تكملة المعاجم: 11/4 خبا: «خبّا، والعامّة تقول خبّى»: أخفى.

4) في تكملة المعاجم: 497/6 ضب: «ضبّة: غلق من الخشب ذو مفتاح، يغلق به الباب، وحديدة عريضة يضبّب بها الباب».

5) في تكملة المعاجم: 332/8 قعد: «قعد: تأخّر عن المجيء، والمصدر قعاد، ففي ألف ليلة وليلة: ويلك، أيش كان قعادك إلى هذه السّاعة»؟

6) في الأصل: «فتحتي».

7) في تكملة المعاجم: 44/6 سخر: «سُخْرة: عمل بلا أجرة».

8) في تكملة المعاجم: 475/6 صنع: «صُنّاع، جمع صانع: صانع، عامل».

9) في تكملة المعاجم: 176/9 كي: «كيّة: سريانيّة: اسم للمصطكى».

10) في الأصل: «غدا».

11) في الأصل: «فأفكرت».

12) في الأصل: «ظفائرها».

وَتخَطَّطَتْ[1]، وَأَصْلَحَتْ أَمْرَهَا، وَأَقْعَدَتِ القَالَبَ. وَكَانَ العَنْبَرِيُّ يُحِبُّهَا مَحَبَّةً عَظِيمَةً.

قَالَ: فَجَاءَتْ إِلَيْهِ، وَضَمَّتْهُ بَيْنَ نُهُودِهَا، وَبَوَّسَتْهُ[2]، ورَمَتْ[3] يَدَيْهَا فِي رَقَبَتِهِ، وَلَفَّتْ سِيقَانَهَا فِي وَسَطِهِ، وَزَقَّتْهُ سَبْعَ ثَمَانِ بَوْسَاتٍ، ثُمَّ مَدَّتْ يَدَهَا فَمَسَكَتْ أَيْرَهُ، وَصَارَتْ تَغْمِزُهُ حَتَّى قَامَ وَانْتَصَبَ، وَتَحَرَّكَتْ شَهْوَتُهُ عَلَيْهِ، وَأَرَادَ أَنْ يَقْلِبَهَا، فَقَالَتْ: قِفْ[4] يَا رَجُلُ حَتَّى أَحْكِي لَكَ إِيشْ كَانَ سَبَبُ تَأَخُّرِي عَنْ فَتْحِ البَابِ.

قَالَ: وَإِيشْ كَانَ هُوَ يَا مَرَهْ؟

قَالَتْ: مَا تَعْرِف جَارَنَا الشَّابَّ، ابْنُ أَمِير شِكَارْ؟

فَقَالَ: أَعْرِفُهُ، إِيشْ بِهِ؟

قَالَتْ: يَا رَجُل، لَهُ زَمَانْ يُشَاكِلُنِي، وأَنَا أَخَافُ أَقُول، إِلَى اليَوْم هَجَمَ عَلَيَّ، وَطَلَعَ لِي، وَهْوَ شَابٌّ مَلِيحٌ وَأَمْرَدٌ، وَظَرِيفٌ، وَخُدُودُهُ حُمْرٌ مِثْلُ الوَرْدِ، فَسَكَتُّ، وَلاَ تَكَلَّمْتُ لأَجْلِ حُسْنِهِ وَشَبَابِهِ. وَأَنَا وَهُوَ فِي شُغْلِنَا، وَأَنْتَ دَقَّيتِ البَابَ، فَقُمْتُ خَبَّيْتُهُ فِي الْخِزَانَةِ، وَقَفَلْتُ عَلَيْهِ، وَهَا هُو قَاعِدٌ. وَإِنْ كُنْتَ مَا تُصَدِّقُنِي، خُذِ الْمِفْتَاحَ، وَافْتَحْ عَلَيْهِ، تَلْقَاهُ قَاعِدْ، وَانْظُرْ حُسْنَ وَجْهِهِ.

هَذَا، وَزَوْجُهَا قَدْ طَارَ عَقْلُهُ عِنْدَ سَمَاعِ هَذَا الكَلاَمِ، وأَخَذَ الْمِفْتَاحَ مِنْهَا، وَقَامَ إِلَى الْخِزَانَةِ، وَهْيَ قَالَتْ لَهُ، وَهْيَ تَضْحَكُ، وَصَفَّقَتْ[5]

---

1) في تكملة المعاجم: 124/4 خطط: «تخطّطت: صبغت حاجبيها».

2) في تكملة المعاجم: 480/1 بوس: «بوّس: أكثر من البوس، قبّل».

3) في الأصل: «أرمت».

4) في الأصل: «أقف».

5) في الأصل: «سقفت».

بِيَدَيْهَا، وَكَرْكَرَتْ، وَقَالَتْ لَهُ: وَقَعْتَ يَا عَيَّارْ! وَكَمْ تُرِيدُ تَغْلِبُنِي، وَأَنَا مَا آخُذُ ثَارِي.

قَالَ:

فَلَمَّا سَمِعَ زَوْجُهَا ذَلِكَ الكَلاَمِ، رَمَى الْمِفْتَاحَ مِنْ يَدِهِ، وَقَالَ: لَعَنَ اللَّهُ سَاعَتَكِ، أَخْرَجْتِينِي مِنْ عَقْلِي! وَإِيشْ خَطَرَ لَكِ فِي هَذِهِ الْحِكَايَةِ الْمَلْعُونَةِ؟

فَقَالَتْ: حَتَّى غَلَبْتُكَ، فَقُمْ الآنَ جِيبْ لِي رَهْنِي.

فَقَالَ: حَتَّى نَعْمَلَهُ، وَنَاخُذْ لَنَا وَحَيِّدْ.

فَقَالَتْ: أَكُونُ مَصَخَّمَة[1]! مَا أُخَلِّيكَ تَنِيكُنِي حَتَّى تَجِيبَ لِي رَهْنِي، مِثْل مَا غَلَبْتَنِي، وَعَمِلْتَ مَعِي فِي نَيْكِ النُّقْبَةِ[2].

فَقَالَ: وَاللَّهِ أَنْتِ[3] مَعْذُورَة. وَأَنَا، وَاللَّهِ، مَا أَغْلِبُكِ مَرَّةً ثَانِيَةً، وَمَا أَحُطُّهُ إِلاَّ فِي النُّقْبَةِ.

وَقَامَ لِيَجِيبَ رَهْنَهَا، فَفَتَحَتْ عَلَى الشَّابِّ فَوَجَدَتْهُ قَدْ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ، وَنَشَفَ دَمُهُ، وَخَرَى تَحْتَهُ مِشْمِشْ بِلاَ نَوَى مِنَ الْخَوْفِ، فَقَالَتْ لَهُ: يَا سْوِيدِي، تَخَافْ مِنْ إِيشْ؟ لَوْلاَ مَا عَمِلْتُ هَكَذَا مَا كَانَ يَنْزِلُ الْيَوْمَ مِنَ البَيْتِ، وَتَبْقَى أَنْتَ مَحْبُوسٌ، قُمِ انْزِلِ الآنَ فِي دَعَةِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ.

قَالَ:

---

1) كذا في الأصل، وهي من لهجة أهل حضر موت، وتعني: الأبله.

2) كناية عن الإتيان في الدّبر.

3) في الأصل: «أنتي».

يَا سَادَة، فَنَزَلَ الشَّابُّ، وَهْوَ قَدْ تَابَ أَنْ لاَ يَعُود يَنحَشِر خَلْفَ بَابٍ إِلَى الدَّكَّةِ وَالْحِسَابِ.



الْمَاجِرِيَّةُ الْخَامِسَةُ

قَالَ الْمُؤَلِّفُ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ:

كُنْتُ بِدِمِشْقَ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمائَةٍ، فِي نِيَابَةِ طُقُز دَمَر[1] رَحِمَهُ اللَّهُ، فَسَمِعْتُ بِمَاجِرِيَّةٍ، أَسْرَعُ اسْتِحْضَاراً لَهَا وَحِيلَةً، وَهْيَ أَسْرَعُ لِلْجَوَابِ الْحَاضِرِ فِي الْوَقْتِ الْحَاضِرِ.

قَالَ:

وَهْوَ مَا حَكَاهُ لِي بَعْضُ الدَّمَاشِقَةِ أَنَّ جاراً لَهُ قَالَ لِزَوْجَتِهِ: اِمْضِي إِلَى السُّوقِ فَاشْتَرِي بِهَذَا الدِّرْهَمِ أَرُزْ وَسُكَّرْ[2].

فَأَخَذَتِ الْمَرْأَةُ الدِّرْهَمَ، وَنَزَلَتْ مِنَ السُّوقِ الأَعْلَى، وَقَصَدَتْ بَابَ الفَرَجِ، وَكَانَ نَهَارْ بَارِدْ شَاتِي، فَوَجَدَتْ فَرْدَ دُكَّانٍ مَفْتُوحَةٍ، وَفِيهَا رَجُلٌ مِصْرِيٌّ، وَصَبِيٌّ وَاقِفٌ فِي خِدْمَتِهِ[3]، فَوَقَفَتْ عَلَيْهِ. وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ مُغْرَمَةً بِالنِّكَاحِ، كَثِيرَةَ الغُلْمَةِ وَالشَّبْقَةِ[4] فِيهِ.

قَالَ:

وَقَدْ قِيلَ إِنَّ نِسَاءَ الشَّامِ يُحِبُّونَ رِجَالَ مِصْرَ، وَرِجَالُهُمْ يُبْغِضُونَ

---

1) انظر الأعلام: 261/1، وفيه أنّه ولي نيابة الشّام سنة 745 هـ.

2) في الأصل: «أرز وسكّر».

3) في الأصل: «في الخدمة في خدمته».

4) في تكملة المعاجم: 239/6 شبق: «شباقة: شبق».

أَهْلَ مِصْرَ. فَلَمَّا رَأَتِ الْمَرْأَةُ الْمِصْرِيَّ، قَالَتْ لَهُ بِكَلاَمٍ رَفِيعٍ، وَكَسَرَتْ عَلَى حَاجِبِهَا: إِعْطِنِي بِهَذَا الدِّرْهَمْ أُرُزْ وَسُكَّرْ[1].

فَلَمَّا قَالَتْ لَهُ هَذَا الكَلاَمَ، قَالَ لَهَا: هَلْ لَكِ أَنْ تَدْخُلِي إِلَى الدُّكَّانِ، وَتَأْخُذِينَ الرُّزَّ وَالسُّكَّرَ بِلاَ دِرْهَمٍ؟

فَقَالَتْ لَهُ: مَا هَذَا يَوْمُهُ، وَالْمَثَلُ يَقُولُ: إِنْ لَمْ تَعْمَلْهُ بِفَنِّهِ وَإِلاَّ قُمْ عَنْهُ.

قَالَ:

ثُمَّ الْتَفَتَتْ، فَلَمْ تَجِدْ دُكَّاناً[2] مَفْتُوحَةً غَيْرَ دُكَّانِهِ، فَاحْتَاجَتْ لَهُ مِنْ وَجْهَيْنِ. الوَجْهُ الأَوَّلُ لأَجْلِ أَنَّهَا تَأْخُذُ الرُّزَّ وَالسُّكَّرَ بَلاَشْ، وَيَتَوَفَّرُ لَهَا الدِّرْهَمُ[3]. وَالثَّانِي لأَجْلِ شَوْقِهَا لِلنِّكَاحِ.

ثُمَّ قَالَتْ لَهُ: إِنَّكُمْ يَا مَصْغِيِّينْ مَكَّاغِينْ، زِنْ قَبْل الغُزَّ وَالسُّكَّغَ، وأَدِّي زغيمْهِي[4] مَعِي حَتَّى أَدْخُل لَكَ الدُّكَّانَ، وَيَكُونُ مَا كَانَ.

قَالَ:

فَوَزَنَ لَهَا السُّكَّرَ وَالرُّزَّ، فَأَخَذَتْهُمْ، وَشَدَّتْهُمْ فِي مِيزَرٍ[5] كَانَ مَعَهَا، وَوَضَعَتْهُ عَلَى جَانِبِ الدُّكَّانِ، وأَرَادَتْ أَنْ تَدْخُلَ الدُّكَّانَ، فَقَالَ الْمِصْرِيُّ لِوَلَدِهِ: إِذَا صِرْتُ أَنَا وَإِيَّاهَا مِنْ دَاخِلِ الدُّكَّانِ،

---

1) في الأصل: «أرز وسكّر».

2) في الأصل: «دكان».

3) في الأصل: «الدراهم».

4) كذا في الأصل، ولعلّها مرادف: «ميزر»، في الجملة الموالية.

5) في تكملة المعاجم: 121/1 أزر: «المئزر: الملحفة، وهي اللّباس الّذي فوق سائر الثّياب، والمنديل، والمنشفة».

فَحِلَّ أَنْتَ الْمِيزَرَ، وَفَرِّغْ مَا فِيهِ إِلَى أَوْعِيَتِهِمْ، وَارْبِطْ مَوْضِعَهُ قَلِيلَ تُرَابٍ وَرَمْلٍ.

ثُمَّ دَخَلَ إِلَيْهَا جُوَّا الدُّكَّانِ، وَفَعَلَ الصَّغِيرُ مَا أَمَرَهُ بِهِ أَبُوهُ. وَأَمَّا الْمِصْرِيُّ وَالشَّامِيَّةُ فَإِنَّهُمَا شَلَحَا[1] سَرَاوِيلَهُمَا، وَخَفَّفَا مِنْ لِبَاسِهِمَا، وَالْتَصَقَا، وَاعْتَنَقَا، وَوَقَفَا، وَشَالَ الْمِصْرِيُّ سِيقَانَهَا، وَدَخَلَ بَيْنَ أَوْرَاكِهَا، وَمَسَكَ بِرُؤُوسِ أَكْتَافِهَا، فَأَظْهَرَتْ هِيَ النَّخِيرَ وَالشَّخِيرَ، وَالتَّشَرُّقَ وَالشَّهِيقَ، وَالبُكَاءَ وَالغُنْجَ الرَّقِيقَ. وَكَانَ الْمِصْرِيُّ فِي صَنْعَتِهِ طَرِيفٌ رَشِيقٌ، وَأَيْرُهُ طَوِيلٌ رَقِيقٌ، فَكَانَ عَلَى غَرَضِهَا[2] بِتَحْقِيقٍ، فَرَيَّقَهُ، وَخَنَقَهُ، وَسَلَّهُ، وَطَبَّقَهُ، وَرَصَعَهُ، وَسَفَقَهُ، وَعَمِلَ عَلَى صَنْعَتِهِ بِإِتْقَانٍ، وَفَتَّشَ الزَّوَايَا والأَرْكَانَ، وَأَرَى[3] الْعَجَائِبَ أَحْوَالْ وَأَلْوَانْ، وَأَظْهَرَ الغَرَائِبَ صُنُوفاً وَعِجَاباً[4]، وَهِيَ تَعْرِقُ مِنْ تَحْتِهِ، وَتَفُورُ، وَتَغْلِي كَغَلَيَانِ القلبوز[5] إِلَى أَنْ طَوَّلَ عَشْوَتَهَا، وَالْتَقَى حَسَنٌ مَعَ حُسَيْنَتِهَا[6].

وَقَامَتِ الْمَرْأَةُ عَلَى عَجَلٍ، وَخَرَجَتْ مِنَ الدُّكَّانِ، وأَخَذَتِ الْمِيزَرَ تَحْتَ إِبِطِهَا، وَمَضَتْ تُهَرْوِلُ إِلَى مَنْزِلِهَا، فَدَخَلَتْ عَلَى زَوْجِهَا الْمِسْكِينِ، وَأَلْقَتِ الْمِيزَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَدَخَلَتْ إِلَى الْخِزَانَةِ تَأْتِي بِوِعَاءٍ

---

1) في تكملة المعاجم: 346/6 شلح: «شلح: خلع».

2) في الأصل: «عرضها».

3) في الأصل: «أوري».

4) في الأصل: «أعجاب»، وفي تكملة المعاجم: 144/7 عجب: «عجاب: أعجوبة».

5) كذا في الأصل، ولعلّها مرادف «القدور» في العاميّة.

6) كناية عن الشّهوة، أو عن الإنزال، أو عن الاتّفاق في الإنزال بين الرّجل والمرأة.

تُفْرِغُهُ فِيهِ، فَحَلَّ زَوْجُهَا الْمِيزَرَ فَوَجَدَ الرُّزَّ وَالسُّكَّرَ تُرَابْ وَرَمِلْ، وَصَاحَ: مَا هَذَا التُّرَابُ وَالْحَصَى؟

فَقَالَتْ عَلَى الفَوْرِ، مِنْ غَيْرِ هَلَعٍ وَلاَ جَزَعٍ، وَقَدْ عَلِمَتْ أَنَّ الْمِصْرِيَّ مَكَرَ بِهَا: يَا رَجُل، زَاحَمَنِي خَيْلٌ وَجِمَالٌ، فَوَقَعَ الدِّرْهَمُ مِنْ يَدِي فِي الأَرْضِ، وَمَا انْتَهَيْتُ أُفَتِّشُ عَلَيْهِ مِنَ الزِّحَامِ، فَجَمَعْتُ التُّرَابَ الَّذِي عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ بِرَمْلِهِ وَحَصَاهُ، وَجِيتُ إِلَيْكَ لأُغَرْبِلَهُ عَلَى هَيْئَتِي، وَمَا قُمْتُ إِلاَّ لأَجِيبَ الغِرْبَالَ.

ثُمَّ إِنَّهَا خَرَجَتْ مِنَ الْخِزَانَةِ، وَالغِرْبَالُ فِي يَدِهَا، وَوَضَعَتْ فِيهِ التُّرَابَ، وَجَعَلَتِ الدِّرْهَمَ فِيهِ، وَهَزَّتْهُ، وَسَرَّبَتْهُ، وَقَالَتْ: هَا قَدْ وَجَدْتُهُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُذْهِبْ مِنْ رِزْقِنَا شَيْء.

قَالَ:

فَاسْتَظْرَفْتُ أَنَا هَذِهِ الْمَاجْرِيَّةَ، وَعَجِبْتُ مِنْ سُرْعَةِ إِحْضَارِهَا الْحِيلَةَ عَلَى الفَوْرِ، وَالْجَوَابَ الْحَاضِرَ، وَكَتَبْتُهَا عَنِ الدِّمِشْقِيِّ.

الْمَاجِرِيَّةُ السَّادِسَةُ

قَالَ الْمُؤَلِّفُ، عَفَا اللَّهُ عَنْهُ[1]:

سَافَرْتُ سَفْرَةً إِلَى حَلَبِ الشَّهْبَاءِ[2] فِي زَمَنِ سَلْطَنَةِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّد بنِ قلاَوُونَ، فَنَزَلْتُ بِالْمَدْرَسَةِ النَّاصِرِيَّةِ، الْمَنْسُوبَةِ إِلَيْهِ، الَّتِي خَلْفَ الْمَدْرَسَةِ العَصْرُونِيَّةِ الَّتِي يَحْكُمُ فِيهَا قَاضِي الْقُضَاةِ، وَكَانَتْ أَوَّلاً كَنِيسَةً لِلْيَهُودِ، وَفِيهَا، عَلَى مَا ادَّعَوْهُ اليَهُودُ وَالأَحْبَارُ، مَقَامُ الْخِضْرِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ.

قَالَ:

فَأَرْسَلَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بنُ قَلاوُونَ، الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ (رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ)[3] النَّائِبَ أَرْغُونَ الدَّوَادَار[4] إِلَى حَلَب، وَأَمَرَهُ فِي وَقْتٍ مُعَيَّنٍ أَنْ يَدْعُوَ[5] اليَهُودَ حتّى يجْتَمِعُونَ[6] فِي الكَنِيسَةِ الْمَذْكُورَةِ،

---

1) قارن بما في نزهة الأبصار والأسماع في أخبار ذوات القناع، (مخطوطة مكتبة باريس رقم 3072): ق 86 ب وق 87 أ.

2) صفة لازمة لمدينة حلب، والشّهباء لغة، كما في تاج العروس (شهب): «البيضاء الصّافية». وفسّر البعض لفظة الشّهباء بأنها من الشهب، وهو البياض يتخلّله السّواد، حيث لقّبت بهذا اللّقب لبياض تربتها وحجارتها. ويرجّح آخرون بأنّ أصل كلمة الشّهباء يعود إلى بقرة شهباء قيل إنّ النبيّ إبراهيم كان يحلبها، فقيل حلب الشّهباء، وقد قوبل هذا الطّرح بالعديد من الانتقادات من المؤرّخين الّذين اعتبروه محض أسطورة تنافي العلم والمنطق.

3) في الأصل: «عليهما».

4) أرغون الدّوادار: مملوك الملك المنصور قلاوون، تولّى نيابة حلب، وكان فقيها عالما. توفّي 731 هـ.

5) في الأصل: «يدع».

6) كذا في الأصل.

وَيفْتَحَهَا وَيَنْهَبَ مَا فِيهَا، وَيَدِيرَهَا مَدْرَسَةً لأَهْلِ العِلْمِ الشَّرِيفِ، وَيُصَلِّي فِيهَا الْخَمْسَ صَلَوَاتٍ، وَيُرَتِّبَ لَهَا الوُقُوفَاتِ، وَيَجْرِي عَلَيْهَا بِالإِحْسَانِ لَهَا.

قَالَ:

فَفَعَلَ أَرْغُونُ، النَّائِبُ الْمَذْكُورُ (رَحِمَهُ اللَّهُ) مَا أَمَرَ بِهِ الْمَلِكُ النَّاصِرُ (رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ)، وَفَتَحَهَا أَيَّامَ نِيَابَتِهِ فِي حَلَب، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِمائَةٍ، ثُمَّ صَنَعَ فِيهَا بَيْدَمُرُ البَدْرِيُّ[1]، لَمَّا تَوَلَّى نِيَابَةَ حَلَب فِي سَنَةِ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ. وَالْحَدِيثُ فِيهِ يَطُولُ، أَمَّا القَصْدُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَأْمُولِ.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ، عَفَا اللَّهُ عَنْهُ:

فَنَزَلْتُ بِالْمَدْرَسَةِ الْمَذْكُورَةِ، وَكَانَ فِيهَا ثَلاَثَ بُيُوتٍ لاَ غَيْرَ، فَنَزَلْتُ بِإِحْدَى البُيُوتِ الْمَذْكُورَةِ، وَإِلَى جَانِبِي بَيْتٌ فِيهِ إِنْسَانٌ شَيْخٌ، يُقَالُ لَهُ الشَّيْخُ يُوسُف القَيْرَوَانِيُّ. وَكَانَ رَجُلٌ فِيهِ فَضِيلَةٌ، وَقَدْ سَافَرَ البِلاَدَ، وَتَغَرَّبَ أَيَّامَ صِبَاهُ، وَدَارَ الدَّوْرَةَ الكَبِيرَةَ.

فَقَدْ رَآنِي يُومْ مِنَ الأَيَّامِ، وَقُدَّامِي مُسَوَّدَاتٌ فِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ حِيَلِ النِّسَاءِ الَّذِي فِي هَذَا الزَّمَانِ، وَأَنَا أُطَالِعُ فِيهِ، وَأَتَصَفَّحُ الوَرَقَ، وَقَرَأَ شَيْئاً مِنْهُمْ، ثُمَّ تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي، وَهَزَّ رَأْسَهُ ثُمَّ قَالَ لِي: أَظُنُّكَ يَا

---

1) جاء في الدّرر الكامنة: 513/1 رقم 1392: «بيدمر البدريّ، أحد المماليك النّاصرية، وتنقّل حَتَّى صَار من الْأُمَرَاء فِي آخر دولة النَّاصِر، وَولي نِيَابَة طرابلس مُدَّة يسيرَة فِي أَيَّام الْكَامِل شعْبَان، ثمَّ ولي نِيَابَة حلب فِي سلطنة المظفّر حاجي، ثمَّ طلب إِلَى مصر، ثمَّ أخرج إِلَى الشَّام على الهجن فَقتل بغزّة فِي جُمَادَى الأولى سنة 748. وَكَانَ يحب الْعلمَاء وينسخ بِيَدِهِ. كتب عدَّة ربعات، وَكَانَ يتصدّق فِي كلّ شهر بِخَمْسَة آلَاف دِرْهَم، وَله ورد من اللَّيْل، لكنّه كَانَ سيّء السِّيرَة فِي نِيَابَة حلب». انظر: النّجوم الزّاهرة: 180/10.

مِصْرِي قَدْ أَتعَبْتَ خاطِرَكَ، وَأَشْغَلْتَ سِرَّكَ، وَأَفْنَيْتَ نَفائِسَ عُمْرِكَ فِيمَا لاَ يَنْفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ، فَأَيْنَ أَنْتَ مِمَّنْ لَهُ ثَمانِينَ سَنَة يَكْتُبُ حِيَلَ النِّسَاءِ، وَمَا لَهُنَّ مِنَ الإِجْرَامِ وَالإِسَاءَةِ[1]؟

قَالَ:

فَلَمَّا سَمِعْتُ ذَلِكَ مِنْهُ، قُلْتُ لَهُ: بِاللَّهِ يَا عَمّ، عَنْ مَنْ تَعْنِي الَّذِي لَهُ ثَمَانِينَ سَنَةً يَكْتُبُ حِيَلَ النِّسَاءِ، وَمَا فِيهِنَّ مِنَ الإِجْرَامِ وَالإِسَاءَةِ، وَهَلْ هُوَ فِي قَيْدِ الْحَيَاةِ؟

[قَالَ][2]: بَعْدُ مَا مَاتَ.

فَقُلْتُ لَهُ: فَأَيْنُ هُوَ؟

قَالَ: هُوَ أَنَا. وَقَدْ كُنْتُ فِي أَيَّامِ شُبُوبَتِي أَكْتُبُ مَا تَكْتُبُ، وَأَفْعَلُ مَا تَفْعَلُ حَتَّى جَرَتْ عَلَيَّ مَاجَرِيَّةٌ مِنْ مَكْرِ النِّسَاءِ تَوَّبَتْنِي عَمَّا كُنْتُ أَفْعَلُهُ.

قَالَ:

فَسَأَلْتُهُ، وَتَخَضَّعْتُ إِلَيْهِ، وَقُلْتُ لَهُ: بِاللَّهِ عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي الشَّيْخ يُوسُف، أَحْكِي لِي الْمَاجِرِيَّةَ الَّتِي جَرَتْ لَكَ حَتَّى أَنْقُلَهَا وَأَرْوِيهَا عَنْكَ بِصِحَّةٍ.

وَمَا زِلْتُ بِهِ حَتَّى أَجَابَنِي، وَأَنْعَمَ لِي بِمَا سَأَلْتُ، فَقَالَ لِي: اِعْلَمْ يَا مِصْرِيُّ أَنَّنِي كُنْتُ أَكْبر اجْتِهَاداً وَرَغْبَةً فِي كُتُبِ حِيَلِ النِّسَاءِ وَمَكْرِهِنَّ، وَمَا جَرَّبْنَاهُ حَتَّى أَنَّنِي حَلَفْتُ لاَ أَتزَوَّجُ حَتَّى أَكْتُبَ حِيَلَهُنَّ جَمِيعَهُنَّ.

---

1) في الأصل: «الاسا».

2) إضافة يقتضيها السّياق.

قَالَ: فَتَجَهَّزْتُ لِلسَّفَرِ، وَرَحَلْتُ مِنْ مَدِينَةِ حَلَب، وَسِرْتُ أَطْلُبُ البِلَادَ وَأُجَرِّبُهُنَّ حَتَّى أَكْتُبَ حِيَلَ النِّسَاءِ وَمَكْرِهِنَّ. فَقَعَدْتُ فِي غَيْبَتِي أَرْبَعَ سِنِينَ. يَا مِصْرِي، ثُمَّ إِنَّنِي سَمِعْتُ أَنَّ فِي مَدِينَةٍ بِالشَّرْقِ، يُقَالُ لَهَا تُوريز[1]، رَجُلٌ شَيْخٌ طُولَ عُمُرِهِ يَكْتُبُ حِيَلَ النِّسَاءِ وَمَكْرِهِنَّ، فَسَافَرْتُ حَتَّى وَصَلْتُ إِلَيْه، وَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، وَأُدْخِلْتُ إِلَى بَيْنَ يَدَيْهِ، وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، وَأَطْلَعْتُهُ عَلَى حَالِي وَأَنِّي آلَيْتُ عَلَى نَفْسِي أَنَّنِي لاَ أَتَزَوَّجُ حَتَّى أَكْتُبَ حِيَلَ النِّسَاءِ وَمَكْرِهِنَّ.

فَأَخَذَ الرَّجُلُ بِيَدِي، وَأَدْخَلَنِي إِلَى مَخْدَعٍ فِي صَدْرِ البَيْتِ، وَأَخْرَجَ لِي مِنْ ذَلِكَ الْمَخْدَعِ الْمَذْكُورِ مِقْدَارَ ثَلاَثِينَ مُجَلَّدٍ كِبَارٍ، كُلُّهُمْ فِي حِيَلِ النِّسَاءِ، وَمَكْرِهِنَّ، وَدَوَاهِيهِمْ، وَنَوَادِرِهِمْ، وَمَاجَرِيَّاتِهِمْ.

قَالَ:

فَقَالَ لِي: يَا أَخِي، أَنَا دَهْرِي وَعُمْرِي قَطَعْتُهُ مُنْذُ سِتِّينَ سَنَة أَكْتُبُ حِيَلَ النِّسَاءِ، وَهَذَا شَيْءٌ مِثْل أَمْوَاجِ البَحْرِ، لاَ يُحْصَرُ عَدَدُهُ، وَلاَ يَنْقَطِعُ مَدَدُهُ.

فَجَلَسْتُ حِينَئِذٍ، وتَصَفَّحْتُ الثَّلاَثِينَ كِتَابٍ، وَكَتَبْتُ مِنْهُنَّ أَقْوَى مَكْرِ النِّسَاءِ، وَمِنْ أَغْرَبِ حِيَلِهِنَّ، وَمِنْ أَعْجَبِ مَاجَارِيَاتِهِنَّ، وَسُرْعَةِ اسْتِحْضَارِهِنَّ الْحِيَلَ، وَفَرْطِ ذَكَائِهِنَّ. وَأَقَمْتُ عِنْدَهُ حَتَّى نَسَخْتُ أَرْبَعَ مُجَلَّدَاتٍ، نَقَاوَةَ الثَّلاَثِينَ مُجَلَّداً.

قَالَ:

---

1) في تقويم البلدان: 400: «تبريز هي توريز»، وزاد في حواشي مسالك الأبصار: 120/3: «توريز هي تبريز، وكان بها مقرّ هولاكو، أشهر بلد في آذربيجان».

ثُمَّ وَدَّعْتُ التُّوزِيرِيَّ، وَتَشَكَّرْتُ مِنْهُ، وَجَزَيْتُهُ خَيْراً، وَدَعَوْتُ لَهُ، وَانْصَرَفْتُ رَاجِعاً أَطْلُبُ مَدِينَةَ حَلَب. يَا مِصْرِي، فَبَيْنَمَا أَنَا سَائِرٌ، وَأَنَا فَرْحَانٌ بِبُلُوغِ أُمْنِيَّتِي، وَقَضَاءِ حَاجَتِي، وَقَرُبْتُ مِنَ البِلاَدِ، وَنَزَلْتُ عَلَى شَاطِئِ الفُرَاتِ، وَأَوَيْتُ إِلَى قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى العَرَبِ، وَفِيهَا كَبِيرُهُمْ، وَهْوَ أَمِيرٌ مِنْ أَوْلاَدِ عِيسَى بنْ مْهَنَّا[1]. وَكَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ بِنْ مْهَنَّا مُصَادَقَةٌ وَمُؤَانَسَةٌ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانَ، فَصَادَفَنِي[2] دَاخِلَ القَرْيَةِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ وَاسْتَخْبَرَنِي عَنْ غَيْبَتِي، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ يَا أَمِير، حَلَفْتُ أَنْ لاَ أَتَزَوَّجَ حَتَّى أَكْتُبَ حِيَلَ النِّسَاءِ وَمَكْرَهِنَّ الْجَمِيعَ، وَهَا أَنَا لِي مُدَّةَ سِنِينَ أَكْتُبُ.

ثُمَّ أَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الشَّيْخِ الَّذِي بِتُورِيزَ، وَأَنَّ لَهُ سَبْعِينَ سَنة يَكْتُبُ حِيَلَ النِّسَاءِ، فَتَعَجَّبَ الأَمِيرُ مِنْ ذَلِكَ، وَحَلَفَ عَلَيَّ وَقَالَ: أَنْتَ تَكُونُ اللَّيْلَةَ ضَيْفِي[3]، فَإِنَّ عِنْدِي ضُيُوفٌ مِنْ بَعْضِ أُمَرَاءِ هَذِهِ البِلاَدِ، وَبَعْضِ بَنِي الأَعْمَامِ، وَهُمْ عِنْدِي مُقِيمِينَ فِي الضِّيَافَةِ، وَأَنْتَ اللَّيْلَةَ تَبَاتُ عِنْدِي لِتُحَدِّثَنِي مِنْ هَذِهِ الكُتُبِ الَّتِي نَسَخْتَهَا مِنْ حِيَلِ النِّسَاءِ الْحَضَرِيَّاتِ لأَنَّ بَنِي العَرَبِيَّاتِ لاَ يَعْرِفُونَ شَيْئ مِنْ ذَلِكَ، وَتَصِلُ نَهَارَكَ إِلَى الغَدِ، وَتُسَافِرُ مُصَاحَباً بِالسَّلاَمَةِ.

يَا مِصْرِي، فَمَا قَدِرْتُ أُخَالِفُهُ. فَنَزَلْتُ عِنْدَهُ، وَدَخَلَ بِي بِنْ مْهَنَّا عَلَى زَوْجَتِهِ، وَأَمَرَهَا بِضِيَافَتِي، وَقَالَ لَهَا: أَكْرِمِي مَثْوَاهُ لأَنَّهُ عِنْدِي عَزِيزٌ.

---

1) في الدّرر الكامنة: 207/3 رقم 504: «عِيسَى بن فضل اللّه بن عِيسَى بن مهنّا، شرف الدّين بْن شُجَاع الدّين، مَاتَ فِي جُمَادَى الأولى سنة 744. وَيُقَال إِنَّه كَانَ من خِيَار أهل بَيته. ولي الأمرة بعد وَفَاة مُوسَى بن مهنّا سنة مَوته، ثمَّ صرف عَنْهَا وَمَات بعد قَلِيل، وَدفن بمقبرة خَالِد بن الْوَلِيد».

2) في الأصل: «فصدفني».

3) في الأصل: «ظيفي».

قَالَ:

ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَضْيَافِهِ بَرَّا الْخِبَاءِ، وَهُنَّ مُجْتَمِعِينَ، فَقَالَتْ لِيَ الْمَرْأَةُ: مَا هَذِهِ الكُتُبُ الَّتِي مَعَكَ، وَمَا فِيهَا؟

فَقُلْتُ: يَا زِينَةَ العَرَبِ، حَلَفْتُ لاَ أَتزَوَّجُ حَتَّى أَكْتُبَ حِيَلَ النِّسَاءِ جَمِيعِهِنَّ، فَسَافَرْتُ وَكَتَبْتُ مَا قَدِرْتُ عَلَيْهِ، وَأَنَا رَاجِعٌ إِلَى بَلَدِي وَأَهْلِي، وَأَتزَوَّجُ لأَنَّ مَا بَقِيَ يَخْفَى عَلَيَّ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ.

قَالَ:

فَلَمَّا سَمِعَتْ الْمَرْأَةُ كَلاَمِي، تَبَسَّمَتْ عَجَباً مِنْ ذَلِكَ. ثُمَّ أَتَى زَوْجُهَا بِأُمَرَاءِ العُرْبَانِ، وَأَجْلَسَهُمْ خَارِجَ البَيْتِ، فِي رَحْبَةِ الْمَكَانِ، وَأَمَرَ بِإِحْضَارِ الطَّعَامِ، فَقُدِّمَتْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مَوَائِدُ الأَكْلِ وَمَا يَحْتَاجُوهُ، وَدَخَلَتْ زَوْجَتُهُ إِلَيَّ بِالطَّعَامِ، وَقَدَّمَتْهُ لِي، وَجَلَسَتْ بِإِزَائِي وَضَحِكَتْ فِي وَجْهِي، وَوَقَفَتْ قُدَّامِي وَهْيَ بِلاَ سَرَاوِيلَ، وَتِلْكَ الْخَلاَخِلُ وَالْحُجُولُ فِي سِيقَانِهَا، وَتَخَطَّرَتْ قُدَّامِي كَأَنَّهَا طَاوُوسُ ذَكَرٌ.

يَا مِصْرِي، وَمَا تَقُولُ فِي إِنْسَانٍ لَهُ أَرْبَعَ سِنِينَ حَافِظٌ رُوحَهُ؟ فَاحْتَوَتْ عَلَى جَمِيعِ قَلْبِي، وَنَظَرْتُ إِلَيْهَا نَظْرَةً سَالَ لُعَابِي[1]. وَلَمَّا عَايَنَتْ مِنِّي الْمَرْأَةُ ذَلِكَ، تَبَسَّمَتْ فِي وَجْهِي، وَكَسَرَتْ عَلَى حَاجِبِهَا، وَوَضَعَتْ إِصْبِعَهَا عَلَى خَدِّهَا، وَنَقَرَتْ بِلِسَانِهَا وَقَالَتْ لِي: وَأَنْتُمْ يَا حَضَرْ، كَمَّلْتُمْ كُلَّ فَضْلٍ وَفَضِيلَةٍ بِإِمْكَانٍ وَأَفْعَالٍ، وَحُزْتُمْ الْحُسْنَ وَالإِحْسَانَ. أَلاَ مَا لَكُمْ يَا حَضَرْ عَلَى السِّرِّ كِتْمَانٌ؟

---

1) كذا في الأصل، ولعلّ الصّواب: «سال لها لعابي».

فَقُلْتُ لَهَا، وَقَدْ سَلَبَ قَلْبِي كَلاَمُهَا: يَا زِينَةَ العَرَبِ، مَا مَعْنَى كَلاَمِكِ؟

قَالَتْ: يَا حَبَّابِي، إِنِّي مُبْدِيَةٌ إِلَيْكَ بسرٍّ، فَلاَ أَسْمَعُهُ مِنْ غَيْرِكَ.

فَقُلْتُ لَهَا: قُولِي فَإِنِّي كَاتِمُهُ جُهْدِي.

قَالَتْ: اِعْلَمْ أَنِّي جارِيَةٌ شَابَّةٌ، وَكَبِيرَةُ الغُلْمَةِ، وَشَدِيدَةُ الشَّهْوَةِ، وَأَنَّ زَوْجِي - هَذَا الأَمِيرَ - شَيْخٌ كَمَا تَعْلَمُ، فَهَلْ لَكَ أَنْ تَكُونَ لِي صَدِيقاً، وَأُوَرِّيكَ شَيْئاً مَا رَأَيْتَهُ قَطُّ فِي مُدَّةِ حَيَاتِكَ مِنَ الحَضَرِيَّاتِ أَبداً، وَلاَ تَرَاهُ أَبداً؟

فَقُلْتُ لَهَا، وَقَدْ طَارَ قَلْبِي مِنَ الفَرَحِ وَالسُّرُورِ: يَا أَمِيرَةَ العَرَبِ، قَدْ شَوَّشْتِ الْخَوَاطِرَ، وَأَتْعَبْتِ[1] النَّوَاظِرَ.

قَالَتْ: هاهَا، فَمَا قُعُودُكَ عَنْ بُغْيَتِكَ؟

ثُمَّ اسْتَلْقَتْ عَلَى ظَهْرِهَا، وَشَالَتْ سَاقَيْهَا[2]، وَكَشَفَتْ قَمِيصَهَا إِلَى تَحْتِ عُنُقِهَا وَفَوْق نُهُودِهَا، فَبَانَ مِنْ بَيْنِ أَوْرَاكِهَا شَيْءٌ كَأَنَّهُ رَأْسُ أَرْنَبٍ، أَوْ حِدْبَةُ أَحْدَبٍ، وَدَعَتْنِي إِلَيْهَا فَقُلْتُ، وَقَدْ بَقِيتُ كَالْمَجْنُونِ: أَلَمْ تَعْلَمِينَ يَا سَيِّدَتِي أَنَّ البَابَ مَفْتُوحٌ، وَالأَمِيرُ وَأَصْحَابُهُ بِالقُرْبِ مِنَّا، وَنَحْنُ نَسْمَعُ كَلاَمَهُمْ، وَلاَ نَأْمَنُ أَنْ يَدْخُلَ الأَمِيرُ عَلَى غَفْلَةٍ مِنَّا، أَوْ يَسْتَدْعِي حَاجَةً فَيَكُونُ فِيهَا تَلَفُ[3] أَرْوَاحِنَا؟

فَقَالَتْ: مُشْتَغِلِينَ بِالأَكْلِ، وَيُكْثِرُونَ الكَلاَمَ عَلَيْهِ، وَمَا ثَمَّ مَا تَخَافُهُ، فَقُمْ إِلَى مُرَادِكَ، وَأَبْصِرْ مَا يَسُرُّ فُؤَادَكَ.

---

1) في الأصل: «شوّشتي... أتعبتي».

2) في الأصل: «ساقاها».

3) في الأصل: «تلاف».

يَا مِصْرِي، فَلَمْ أَتَمَالَكْ أَنْ قُمْتُ إِلَيْهَا، وَنَسِيتُ الْخَوْفَ وَالتَّلَفَ، وَأَنَا رَجُلٌ عَازِبٌ سِنِينَ، وَحَافِظٌ فِي طُولِ هَذِهِ الغُرْبَةِ، فَثَارَتْ شَهْوَتِي، وَقَوِيَتْ حِدَّتِي، فَأَتَيْتُهَا قَلِيلْ قَلِيلْ فِي دِرَا[1] البَابِ، وَأَنَا كَأَنِّي مِنَ الْحَمِيرِ أَمْشِي عَلَى خَمْسَةٍ، وَدَخَلْتُ لِلْوَقْتِ بَيْنَ أَفْخَاذِهَا.

يَا مِصْرِي، فَمَا هُوَ أَنْ صِرْتُ بَيْنَ أَفْخَاذِهَا، وَنَدَبْتُهُ، وَخَنَقْتُهُ، وَرَيَّقْتُهُ، وَزَنَقْتُهُ، وَهَمَمْتُ أَنْ أُولِجَهُ فِيهَا حَتَّى ضَمَّتْ سِيقَانَهَا عَلَيَّ، وَلَفَّتْ رِجْلَيْهَا عَلَى وُسْطِي، وَشَبَكَتْهُمْ عَلَى بَطْنِي، وَعَصَرَتْ فَحَسِّيتُ بِأَضْلاَعِي قَدْ تَقَصَّفَتْ، وَقَالَتْ: يَا خَوَّانْ، هَكَذَا تَدْخُلُ بُيُوتَ العُرْبَانِ، وَتَزْنِي بِالنِّسْوَانِ، أَتُرِيدُ أَنْ أَصْرُخَ السَّاعَةَ صَرْخَةً تَدْخُلُ العَرَبُ إِلَيْكَ، يَجْعَلُونَ أَكْبَرَ قِطْعَةٍ فِيكَ قَدْرَ شَحْمَةَ أُذُنِكَ؟

قَالَ: فَقَالَ الشَّيْخُ يُوسُفُ القَيْرَوَانِيُّ:

يَا مِصْرِي، فَلَمَّا سَمِعْتُ كَلاَمَهَا، وَعَايَنْتُ فِعْلَهَا بِي، جَمَدَ دَمِي، وَنَشَفَ لَوْنِي، وَشَرِبْتُ مِنَ الْمَوْتِ أَقْدَاحْ[2]، وَبَزْبَزْتُ[3] فِي مَوْضِعِي، وَأَيْقَنْتُ بِالْمَوْتِ وَحُلُولِ الفَوْتِ، وَقُلْتُ لَهَا: يَا سَيِّدَتِي، الْجِيرَةَ.

قَالَتْ لِي: لاَ أَجَارَكَ اللَّهُ يَا مَذْلُولَ[4] الشَّارِبِ، أَتَزْعَمُ أَنَّكَ كَتَبْتَ مَكْرَ النِّسَاءِ وَحِيَلَهِنَّ؟ وَاللَّهِ يَا مَذْلُول، لَوْ عِشْتَ عُمَرَ نُوحٍ، وَتَمَوَّلْتَ بِمَالِ قَارُونَ، وَصَبِرْتَ صَبْرَ أَيُّوبَ، مَا حَصَرْتَ عُشْرَ مِعْشَارِ مَا فِي النِّسَاءِ مِنَ الْمَكْرِ وَالإِسَاءَةِ، فَتَمَنَّى يَا جَاهِلْ أَيَّ مَوْتَةٍ تَمُوتُ؟

---

1) في تكملة المعاجم: 346/4 درى: «درا: ملجأ، ملاذ، حمى».

2) في الأصل: «أقداح».

3) في تكملة المعاجم: 323/1 بزبز: «بزبوز جمعه بزابيز: صنبور، حنفيّة متحرّكة»، فلعلّ المقصود أنّه بال أو أحدث من فرط الخوف.

4) في الأصل: «مدلول»، وفي تكملة المعاجم: 360/4 دعس: «مدعوس: مذلول مهان».

فَمَا قَدِرْتُ أَنْطِقُ، وَنَشَفَ رِيقِي، وَاعْتُقِلَ لِسَانِي، فَبَكَيْتُ وَتَضَرَّعْتُ[1] إِلَيْهَا بِالإِشَارَةِ، وَأَنَا أَضْلاَعِي تَتَفَرْقَعُ فِي بَطْنِي وَظَهْرِي، فَمَا زَادَهَا ذَلِكَ عَلَيَّ إِلاَّ قَسْوَةً، وَقَالَتْ: لاَ بُدَّ مِنْ أَخْذِ رُوحِكَ.

ثُمَّ صَرَخَتْ صَرْخَةً عَظِيمَةً طَنَّ لَهَا الْمَكَانُ، وَانْفَتَحَ البَابُ. فَلَمَّا رَأَتِ البَابَ انْفَتَحَ، وَدَخَلَ زَوْجُهَا، فَمِتُّ الْمَوْتَةَ الَّتِي كُتِبَتْ، وَطَارَتْ رُوحِي إِلَى القُدْسِ، وَغِبْتُ فِي دُنْيَا أُخْرَى.

قَالَ:

فَلَمَّا انْفَتَحَ البَابُ، قَامَتْ أَسْرَعَ مِنَ البَرْقِ، وَرَفَصَتْنِي[2] بِرِجْلِهَا فَوَقَعْتُ عَلَى وَجْهِي بِإِزَاءِ الطَّعَامِ، مَغْشِيٌّ عَلَيَّ، الوَاحِدَةُ مِنَ الفَزَعِ، وَالأُخْرَى مِنْ قُوَّةِ الرَّفْصَةِ. فَدَخَلَ زَوْجُهَا وَصَاحَ: مَا هَذِهِ الصَّرْخَةُ، وَمَا حَالُ ضَيْفِي؟

فَقَالَتْ لَهُ عَلَى الفَوْرِ: أَتَيْتُهُ بِالطَّعَامِ فَأَكَلَ بِنُهْمَةٍ، فَوَقَعَتْ لُقْمَةٌ فِي حَلْقِهِ فَخِفْتُ عَلَيْهِ أَنْ يَهْلِكَ، فَصَرَخْتُ ثُمَّ رَفَصْتُهُ فِي ظَهْرِهِ حَتَّى نَزَلَتِ اللُّقْمَةُ، وَهَا هُوَ مَغْشِيٌّ عَلَيْهِ مِنْ حَلاَوَةِ الرُّوحِ.

قَالَ:

يَا مِصْرِي، ثُمَّ إِنَّهَا نَهَضَتْ فِي الْحَالِ، وَرَشَّتْ عَلَى وَجْهِي الْمَاءَ، فَشِلْتُ رَأْسِي وَفَتَحْتُ عَيْنَيَّ، فَاسْتَحَى مِنِّي صَاحِبُ الْمَنْزِلِ، وَخَرَجَ مِنَ الدَّارِ، فَسَأَلُوهُ أَضْيَافُهُ عَنِ الصَّرْخَةِ، فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي ضَيْفٌ لَهُ

---

1) في الأصل: «ترضرعت».

2) في تكملة المعاجم: 170/5 رفص: «رفص: تصحيف رفس بمعنى رمح وضرب برجله. رفّص بالتّشديد: رمح، ضرب برجله، وتستعمل مجازاً بمعنى قاوم».

سِنِينَ غَائِبُ، وَكَأَنَّهُ كَانَ مَقْرُوحٌ مِنَ الْجُوعِ، فَأَكَلَ بِغَيْرِ وَعْيٍ فَغَصَّ بِاللُّقْمَةِ، فَلَوْ لاَ أَهْلُ دارَكَتْهُ كَانَ مَاتَ.

وَأَمَّا أَنَا، فَإِنَّهُ لَمَّا خَرَجَ الأَمِيرُ مِنَ البَيْتِ، أَقْبَلَتْ عَلَيَّ الْمَرْأَةُ، وَأَنَا لاَ أُصَدِّقُ بِالْحيَاةِ، وَقَالَتْ لِي: كَتَبْتَ هَذِهِ الْحِيلَةَ فِي كُتُبِكَ، أَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهَا فِي مُدَّةِ سَفَرِكَ؟

قُلْتُ لَهَا: لاَ وَاللَّهِ، وَأَنَا تَائِبٌ عَلَى يَدَيْ اللَّهِ وَيَدَيْكِ، لاَ رَجَعْتُ أَكْتُبُ شَيْئاً.

ثُمَّ قُمْتُ وَغَسَلْتُ مَا مَعِي مِنَ الكُتُبِ بِحَضْرَتِهَا، وَذَهَبَ سَعْيِي وَتَعَبِي فِي لاَشْ[1] وَلَمَّا خَرَجْتُ، وَأَمِنْتُ عَلَى نَفْسِي، وأَرَدْتُ السَّفَرَ، كَتَبْتُ عَلَى الْحَائِطِ، وَأَنَا أَقُولُ:

[من الطّويل]

أَلاَ إِنَّمَا الدُّنْيَا تَوَلَّتْ أَهْلَهَا
فَكُنْ أَبَداً مِنْ كُلِّ أُنْثَى عَلَى حَذَرِ

فَإِنْ أَنْتَ عَامَلْتَ النِّسَاءَ عَلَى الوَفَا
فَهُنَّ يُعَامِلْنَ الرِّجَالَ عَلَى غَدْرِ

قَالَ: وَرَجَعْتُ عَنْهُمْ إِلَى بَلَدِي وَأَهْلِي خَائِباً.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ:

فَلَمَّا سَمِعْتُ هَذِهِ الْمَاجرِيَّةِ مِنْ فَمِ حَاكِيهَا، تهْتُ عَجباً، وَمِلْتُ طَرَباً، وَأَوْرَدْتُهَا فِي كِتَابِي هَذَا.

---

1) كذا في الأصل، وفي تكملة المعاجم: 235/9 لشا: «لاشى: أبطل، فسخ».

قَالَ:

ثُمَّ إِنِّي نَاشَدْتُ الشَّيْخَ يُوسُف القَيْرَوَانِيَّ، الْحَاكِي لِي هَذِهِ الْمَاجرِيَّةِ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرُهَا: هَلْ كَانَ فِي مُسَوِّدَاتِكَ أَعْجَبُ مِنْ هَذِهِ الْمَاجرِيَّةِ الَّتِي جرَتْ عَلَيْكَ؟

فَقَالَ: نَعَمْ، كَانَ فِيهِم مَاجرِيَّة أَعْظَمُ وَأَغْرَبُ، نَقَلْتُهَا مِنْ رَاوِيهَا فِي مَدِينَةِ القَيْرَوَانِ، قَبْلَ خُرُوجِي مِنْهَا.

فَسَأَلْتُهُ عَنْهَا، فَاحْكَالِي الْمَاجرِيَّةَ. وَهَا أَنَا أُورِدُهَا فِي هَذَا الدِّيوَانِ الْمُبَارَكِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.



الْمَاجِرِيَّةُ السّابِعَةُ

قَالَ الْمُؤَلِّفُ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ[1]: حَكَى لِي الشَّيْخُ يُوسُفُ الْمَذْكُورُ، قَالَ:

حَدَّثَنِي مَنْ أَثِقُ بِهِ أَنَّهُ كَانَ فِي القَيْرَوَانِ أَخَوَيْن، الوَاحِدُ مِنْهُمْ مُتَزَوِّجٌ بِامْرَأَةٍ مِنْ عَوَاهِرِ النِّسَاءِ. وَكَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الأَخِ الصَّغِيرِ صُحْبَةٌ أَوَّلاً، وَكَشْفَةٌ قَبْلَ أَنْ تَتَزَوَّجَ الأَخَ الكَبِيرَ. فَاتَّفَقَ أَنَّهُ لَمَّا تَزَوَّجَ بِهَا الأَخُ الكَبِيرُ تَمَّ الأَمْرُ بَيْنَهُمَا كَمَا كَانَ عَلَى حَالِهِ. وَمَا كَانَ مِنَ الأَخِ أَبُو طَنِينْ[2] يَعْلَمُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ.

قَالَ:

فَاتَّفَقَ فِي لَيْلَةٍ مِنَ اللَّيَالِي أَنَّ الأَخَ الصَّغِيرَ، حَرِيفُ الْمَرْأَةِ، زَارَ أَخُوهُ، وَأَمْسَى عَلَيْهِ الْمَسَاءُ فَبَاتَ عِنْدَ أَخِيهِ. فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ نِصْفِ اللَّيْلِ، نَهَضَتِ الْمَرْأَةُ، وَانْسَلَّتْ مِنْ عِنْدِ الأَخِ الكَبِيرِ، وَغَمَزَتْ الأَخَ الصَّغِيرَ، وَخَرَجَتْ هِي وَإِيَّاهُ إِلَى الدِّهْلِيزِ، وَقَضَوْا حَاجَتَهُمْ، وَأَخَذُوا لَهُمْ وَحَيِّدٌ بِالفَقِيرِي. وَانْتَبَهَ الزَّوْجُ الْمُقَرْنَنْ[3] فَلَمْ يَجِدْ امْرَأَتَهُ إِلَى

1) الحكاية في سكّردان العشّاق (مخطوط مكتبة جامعة يال رقم MSS 27a): ق 34ب.

2) في الأصل: «طنين»، وأثبتنا ما في السّكّردان، ولعلّها من كنايات القرنان لدى العامّة.

3) في كنايات الجرجاني: 241 رقم 262: القرنان: «الكشخان».

جَانِبِهِ، وَنَظَرَ إِلَى فِرَاشِ أَخِيهِ فَلَمْ يَرَهُ[1] فِيهِ، بَلْ وَجَدَ الدَّارَ قَفْرَاءَ وَالْمَزَارَ بَعِيداً[2]، فَطَارَ الشَّرْكُ مِنْ دِمَاغِهِ وَأَسَاءَ[3] الظُّنُونَ.

ثُمَّ نَهَضَ قَائِماً، وَمَشَى طَالِبْ الدِّهْلِيزِ، فَأَحَسَّتْ بِهِ الْمَرْأَةُ[4]، فَدَفَعَتِ الأَخَ الصَّغِيرَ عَنْ صَدْرِهَا، وَقَالَتْ لَهُ: آدْخُلْ، وَإِذَا صَادَفَكَ أَخُوكَ تَكَاسَلْ وَتَمَطَّطْ، وَ[لاَ] تَنَاوِبْ[5] وَلاَ بِكَلِمَةٍ، وَلاَ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلاَ تَنْطِقْ، وَلاَ تَبْزِمْ، وَآدْخُلْ فِرَاشَكَ وَنَمْ[6]، فَهْيَ تَمَامُ الْحِيلَةِ وَالْمَكِيدَةِ.

فَدَخَلَ الأَخُ الصَّغِيرُ، فَصَادَفَ أَخَاهُ خَارِجْ[7] مَتْوُولَ العَقْلِ، فَفَعَلَ مَا أَمَرَتْهُ بِهِ، وَمَا عَلَّمَتْهُ. أَمَّا هِيَ، فَإِنَّهَا دَخَلَتِ الْمِرْحَاضَ وَطَرْطَشَتْ[8] ثِيَابَهَا مِنْ بَكْلَةِ[9] الْمَاءِ، وَجَلَسَتْ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَأَنَّهَا تَقْضِي شُغْلَهَا. وَأَمَّا زَوْجُهَا فَطَلَعَ الدِّهْلِيزَ، وَدَخَلَ إِلَى الرَّاحَةِ[10] فَوَجَدَ زَوْجَتَهُ جَالِسَةً عَلَى الْمَلاَقِي[11]، فَقَالَتْ: يَا رَجُل، اِلْحَقْنِي بِقِطْعَةِ صَابُونٍ وَشَمْعَةٍ، عَتَّرَ[12] اللَّهُ الشَّيْطَانَ. فُدِيتُكُمْ مِنْ إِخْوَةٍ. أَنْتُمْ عَشَرَة، كُلُّكُمْ مَجَانِين!

---

1) في الأصل: «يراه»، تصويبه من السّكردان.
2) في الأصل: «بعيد».
3) في الأصل: «فساء»، وفي السّكردان: «فساء ظنّه وغاب العقل من رأسه»».
4) في السّكردان: «فاستحسّت المرأة فيه».
5) في الأصل: «تناوب»، لعلّ صوابه ما أثبتنا، ومعناها: لا تبادله كلمة واحدة.
6) في الأصل: «نام».
7) في الأصل: «خارج».
8) في تكملة المعاجم: 40/7 طرطش: «بالماء أو بالمُيَّة: رشّ، ألقى عليه الماء نقطاً».
9) في تكملة المعاجم: 411/1 بكل: «بَكْلَة: إناء مشترك، وجمعها بُكَلٌ».
10) في تكملة المعاجم: 238/5 روح: «مشى لراحة: ذهب للخلاء يتغوّط»، ومنه بيت الرّاحة.
11) في تكملة المعاجم: 271/9 لقي: «ملاقي: فتحة المرحاض المدوّرة».
12) في تكملة المعاجم: 143/7 عتور: «تعتور: زلّت قدمه، كبا».

فَقَالَ لَهَا الْمُدَمَّغ[1]: مَا لَكِ يَا مَرَهْ؟

قَالَتْ: أَنَا قَاعِدَة أَقْضِي شُغْلِي، وَأَخُوكَ خَرَجَ مِنَ النَّوْم، وَأَتَى إِلَى الْمِرْحَاضِ، وَرَفَعَ أَثْوَابَهُ، وَبَالَ وَهْوَ وَاقِفٌ، فَنَزَلَتِ الإِرَاقَةُ طَرْطَشَتْ ثِيَابِي وَنَجَّسَتْنِي، وَسَكَتُّ أَنَا وَلَمْ أَتَكَلَّمْ.

فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا مَرَهْ، جَزَاكِ اللَّهُ كُلَّ خَيْرٍ الَّذِي مَا تَكَلَّمْتِ[2]، وَلاَ أَخْجَلْتِيهِ، وَغَداً هُوَ رَائِحٌ عَنَّا.

ثُمَّ دَخَلَ إِلَى البَيْتِ وَهْوَ يَقُولُ: صَدَقَ اللَّهُ العَظِيمُ، ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾[3]. ثُمَّ إِنَّهُ أَتَاهَا بِفَتِيلَةٍ وَصَابُونَةٍ، وَسَكَبَ عَلَيْهَا الْمَاءَ حَتَّى طَهَّرَتِ الثِّيَابَ عَلَى زَعْمِهَا، وَشَكَرَهَا هُوَ عَلَى فِعْلِهَا وَسَكَاتِهَا، وَقَالَ لَهَا: يَا مَرَهْ، بَيَّضَ اللَّهُ وَجْهَكِ[4] الَّذِي مَا أَخْجَلْتِيهِ، وَلاَ بِرُوحِكِ[5] عَرَّفْتِيهِ.

فَهَذِهِ الْمَاجرِيَّةِ مِنْ أَكْبَرِ حِيَلِ النِّسَاءِ.

---

1) في تكملة المعاجم: 407/4 دمغ: «دمغ دمغة: بلبل عقله وشوّشه وأقلقه».

2) في الأصل: «تكلّمتي».

3) الحجرات: 12.

4) في الأصل: «وجهكي».

5) في الأصل: «روحكي».



الْمَاجِرِيّةُ الثّامِنَةُ

قَالَ صَاحِبُ الْحَدِيثِ، عَفَا اللَّهُ عَنْهُ:

رَأَيْتُ فِي مَدِينَةِ سْكَنْدَرِيَّةَ إِنْسَانْ قَالَ: كَانَ فِي مَدِينَتِنَا امْرَأَةٌ قَابِلَةٌ، تَدْخُلُ بُيُوتَ الْمُحْتَشِمِينَ وَالسُّعَدَاءِ، وَكَانَتْ مَعَ ذَلِكَ شَبَّابٌ[1] مَلِيحٌ، وَتَهْوَى الطِّيبَةَ، وَالانْشِرَاحَ، وَالقَصْفَ، وَشُرْبَ الرَّاحِ. وَكَانَتْ تُوَدِّرُ[2] دَرَاهِمَ كَثِيرَةً عَلَى الشَّبَابِ الْمِلاَحِ. وَكَانَتْ تَحْضُرُ عِنْدَ أَصْحَابِي فِي الْمَقَامِ فِي غَالِبِ الأَوْقَاتِ.

قَالَ:

وَكَانَ لَهَا أَخٌ مِنْ أَمْرَإِ أَهْلِ سْكَنْدَرِيَّة، وَمِنْ كِبَارِ شُرَّارِهِمْ. فَاتَّفَقَ يَوْماً أَنَّهَا حَضَرَتْ عِنْدَنَا، هِيَ وَحِرِّيفُهَا[3]، وَلَعِبَتْ وَسَكِرَتْ وَتَخَارَعَتْ[4]، ثُمَّ خَرَجَتْ مِنْ عِنْدِنَا. فَهْيَ خَارِجَةٌ مِنَ الْمَقَامِ، وَأَخُوهَا وَاقِفٌ عَلَى البَابِ، فَرَآهَا خَارِجَةً، وَهِيَ صَرَخَتْ عَلَيْهِ وَقَالَتْ: يَا أَخِي الْحَقْنِي فَإِنَّ اللَّهُ قَدْ أَغَاثَنِي بِكَ.

---

1) في الأصل: «شياب»، وأثبتنا ما في تكملة المعاجم: 230/6 شب: «شبّب: جدّد شبابه، ذكر أيّام الشّباب واللّهو».

2) في تكملة المعاجم: 50/11 ودر: «ودّر ماله: بذّره وأسرف فيه».

3) في تكملة المعاجم: 129/3 حرف: «حارف المرأة: تظاهر بالتّظرّف لها. وحرّف وحارف بمعنًى: لاطف ودلّل وتظرّف».

4) في تكملة المعاجم: 64/4 خرع: «التّخارع:الانشراح والطّرب والمجانة والفكاهة».

فَقَالَ لَهَا: مَا الْخَبَرُ؟

فَقَالَتْ: اِلْحقْني مِنْ بَيْتي بِالكُرْسِيِّ[1] فَإِنَّ فِي هَذَا الْمَكَانِ صَبِيَّةً قَدْ أَخَذَهَا الطَّلْقُ، وَأَنَا خَرَجْتُ أَدُقُّ عَلَى هَؤُلاَءِ البَابَ لَعَلَّ أَجِدُ مَنْ يَجِيبُ الكُرْسِيَّ، فَالْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي صَادَفَكَ دَاخِلٌ مِنْ هَذَا الدَّرْبِ.

فَرَاحَ أَخُوهَا، وَأَتَى بِالكُرْسِيِّ، فَخَرَجَتْ أَخَذَتْ الكُرْسِيَّ، وَأَغْلَقَتْ البَابَ دُونَهُ، وَكَمَّلَتْ نَهَارَهَا عِنْدَ حِرِّيفِهَا.

1) في تكملة المعاجم: 63/9 كرس: «كرسيّ الولادة: كرسيّ ذو شكل خاصّ، مصنوع لتجلس عليه الحامل ساعة الولادة».

الْمَاجِرِيّةُ التّاسِعَةُ

قَالَ الْمُؤَلِّفُ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ:

كَانَ لِي مِنَ الصِّغَرِ وَأَيَّامِ الصِّبَا، صَدِيقٌ مُحَارِفٌ، وَقَدْ بَلَغَ بِهِ الْحِرَافُ إِلَى غَايَةٍ وَنِهَايَةٍ. وَكَانَ مُولَعاً بِأَكْلِ الْحَشِيشَةِ، لاَ يُفَارِقُ مَضْغَهَا لَيْلاً وَلاَ نَهاراً. ومَا رُئِيَ[1] قَطُّ سَاعَةً صَاحِياً. وَكَانَ عِنْدَهُ خَلاَعَةٌ وَمَجَانَةٌ، خَفِيفَ الرَّوحِ، وَكَثِيراً مَا يُنْشِدُ هَذِهِ الأَبْيَات:

[من السّريع]

وَبِي حَشِيشَةٌ آمِرَةٌ نَاهِيَهْ
بِتُّ بِهَا فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَهْ
فَقَتَلَتْنَا سُكْراً، وَذَا عَجَبٌ
نُصْبِحُ بَعْدَ الْقَتْلِ فِي عَافِيَهْ

قَالَ:

يَا سَادَة، فَاتَّفَقَ أَنَّهُ سَافَرَ إِلَى سْكَنْدَرِيَّةَ، فَأَقَامَ مُدَّةً طَوِيلَةً. ثُمَّ اجْتَمَعْتُ بِهِ بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمَ جُمُعَةٍ، وَكَانَ نَهَار قَصْفٍ وَانْشِرَاحٍ وَفُرْجَةٍ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ غَيْبَتِهِ وَغَرِيبِ مَا جَرَى لَهُ فِي سَفَرِهِ، فَقَالَ:

1) في الأصل: «روي».

أَقَمْتُ فِي سْكَنْدَرِيَّةَ مُدَّةً، فَالْتَفَّتْ عَلَيَّ مِنْ نِسَائِهَا امْرَأَةٌ تَجِي أَلْف رَطْلٍ، وَلَهَا رَحِمٌ كَأَنَّهُ فَرْطُوسَةُ[1] عِجْلٍ، يَجِي عَشَرَةَ أَرْطَالٍ، وَكَانَ أَقْرَعَ، أَصْلَعَ، مُهَنْدَمْ[2]، مُرَكَّن السَّقْفِ، مُمَكَّنْ. وَكَانَتْ أَعْشَقَ خَلْقِ اللَّهِ فِي عَيْرِي[3]. وَكَانَ لَهَا زَوْجٌ أَقْرَعَ مُشَابِطاً مُضَارِباً[4]، يُضَارِبُ دُبَّانَ[5] وَجْهِهِ، طُولَ نَهَارِهِ يُضَارِبُ النَّاسَ، مَا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِرِزْقٍ. وَقَدْ رَأَيْتُهُ يُومْ مِنَ الأَيَّامِ تَفَلَّتَ بِالزَّايِدِ، وارْمِيت فِي مُخِّي نَدُقُّهُ قَدْرَ الْجَوْزَةِ. ألا أيْنا جَوْزَة؟ جَوْزَةُ الْهِنْدِ بِلِيفِهَا.

وَلَمَّا جَاءَ وَقْتُ الْمَغْرِبِ، مَا جِيتْ[6] مِنْ بَابِ الْبَحْرِ إِلاَّ وَأَنَا سَوِي، فَقَالَ لِي سُكْرِي: رُوحْ إِلَى صَبِيَّتِكَ الإِسْكَنْدَرَانِيَّةِ، وَخُذْ لَكَ مِنْهَا وْحَيِّدْ. فَتَمَشَّيْتُ وَرُحْتُ إِلَى صَوْبِهَا، وَأَنَا لاَ أَعِي وَلاَ أُفِيقْ، وَلاَ أَعْرِفُ كَيْفَ الطَّرِيقْ. ثُمَّ إِنِّي طَلَعْتُ إِلَيْهَا، وَكَانَ بَيْتُهَا بِعِشْرِينَ سُلَّمَة. فَلَمَّا رَأَتْنِي، تَلَقَّتْنِي وَاحْتَضَنَتْنِي، وَعَانَقَتْنِي، وَقَالَتْ لِي: أَحَدْ يَجِي إِلَيَّ؟ أَحَدْ هَذَا الوَقْت؟ وَاللَّه، هَذَا وَقْتُ مَجِيءِ زَوْجِي الرَّقِيعِ[7].

---

1) في تكملة المعاجم: 49/8 فرطس: «فنطيسة الخنزير: خطم الخنزير، وفرطوسة الخنزير: أنف الخنزير»، وفي الوشاح في فوائد النّكاح (بتحقيقنا، سنشير إليه لاحقا بالوشاح): 236 رقم 218: «الفرطوسة، والفرطيسة، والفطّيسة، والفرطيسة»، تطلق كلّها على قضيب الخنزير.

2) في تكملة المعاجم: 24/11 هندم: «طهّر، نظّف، جلّى، أصلح من مظهر إنسان آخر في ملبسه الخشن واتّساخ بدنه».

3) كذا في الأصل، وهي من أسماء الحمار، ولعلّها هنا كناية عن الأير.

4) في الأصل: «مشابط مضارب»، وفي تكملة المعاجم: 237/6 شبط: «شبط: جرح وتعلّق»، وفيه: 508/6 ضرب: «مضارب: مبارز على ظهر فرس»، والمقصود أنّه كثير الشّجار والعدوان.

5) لغة في ذبّان ؛ انظر: تكملة المعاجم: 292/4 دبن.

6) في الأصل: «جيب».

7) في تكملة المعاجم: 189/5 رقع: «رقيع: أحمق، وقح».

فَقُلْتُ لَهَا: حَصُلْتُ، وَكَانَ الَّذِي كَانَ. أَوْسِعِي الْحِيلَةَ فِي وَحَيِّد أُطَرِّي بِهِ حَشِيشَتِي.

فَدَخَلَتْ بِيَ البَيْتَ، وَاسْتَلْقَتْ عَلَى ظَهْرِهَا، وَكَشَفَتْ عَلَى حِرِهَا، فَبَانَ لِي كَشْفُهُ لَمْ يُرَ[1] أَعْظَمُ خِلْقَةً مِنْهُ، يَقِلُّ الوَصْفُ عنْهُ، وَقَدْ تَضَرَّمَ وَقْدُهُ، وَأَوْرَى زَنْدُهُ، وَغَلُظَتْ قُفْلَتُهُ[2]، وَوَرِمَتْ صَلاَعَتُهُ، وَتَصَلَّعَتْ جَبْهَتُهُ، وكَأَنَّ دَاخِلَهُ نِيرَانٌ فَارِسِيَّةٌ[3]، أَوْ مَحْمُومٌ أُصِيبَ بِحُمَّى خُمَاسِيَّةٍ، وَقَدْ تَرَفَّدَ بِرِفَادَتَيْنِ، وَشُبِّهَ تَكْوِينُهُ بِخُشْكَّانَتَيْنِ[4]، قَدْ نَعُمَ مَلْمَسُهُ، وَحَسُنَ تَكْوِينُهُ، وَنَعِمَ بِهِ قَلْبُ ضَجِيعَةٍ[5] وَقَرِينة، لاَ يُحْسِنُ العَاقِلُ أَنْ يُكَيِّفَهُ، بَلْ يَقُولُ كَمَا قَالَ مُصَنِّفُهُ:

[من الكامل]

حِـــرٌ لَهَا، رَابِـــي الْمَجَسَّـــةِ، نَاعِمٌ،
عَـــذْبٌ، مُسَـــلَّسٌ، نَـــارٌ مُوقَـــدُ
أَضْحَى بِـــهِ الأَيْـــرُ الْمُعَنَّـــى هَائِمٌ
مِـــنْ سَـــوْقِهِ يُرْغِـــي عَلَيْـــهِ وَيُزِبدُ
حَيْرَان، وَاهِي الصَّدْرِ، مَسْلُوب القُوَى
وَلْهَـــان مِنْ فَرْطِ الأَسَـــى مَـــا يَرْقُدُ

قَالَ:

1) في الأصل: «يرى».
2) في تكملة المعاجم: 342/8 قفل: «قُفلة، والجمع أقفال: زرّ الثّوب»، وهو هنا كناية عن البظر.
3) إشارة إلى نيران المجوس الّتي لا تنطفئ.
4) كذا في الأصل، وفي تكملة المعاجم: 103/4: «خُشكنانك، واحدتها خشكنانكة: نوع من الكعك».
5) في الأصل: «صحيحة».

فَلَمَّا رَأَيْتُهُ لَمْ أَمْلِكْ نَفْسِي دُونَ أَنْ قُمْتُ إِلَيْهَا، وَرَكِبْتُ صَدْرَهَا، وَهَيَّأْتُ أَمْرَهَا، وَأَنَا مِنْ حَشِيشَتِي كَأَنِّي مَوْلُودٌ فِي حِجْرِهَا، أَوْ كَأَنِّي أَعْمَى مَا أُبْصِرُ إِيشْ فِي الدُّنْيَا. فَلَمَّا جَاءَ وَقْتُ الفَرَاغِ إِلاَّ وَزَوْجُهَا القَرَّانُ[1] قَدْ أَتَى، كَانَ بَيْنَ العَشَاءَيْنِ. فَلَمَّا أَحَسَّتْ بِهِ، أَسْرَعَتْ الْتَفَّتْ بِمِلْحَفَتِهَا، وَتَنَقَّبَتْ وَلَبِسَتْ سُقْمَانَهَا[2]، وَقَالَتْ لِي: اِفْتَحْ عَيْنَيْكَ، مَا هَذَا وَقْتُ سَرْدَاتِكَ[3]، زَوْجِي طَالِعٌ فِي السُّلَّم.

ثُمَّ إِنَّهَا شَدَّتْ وَسَطِي، وَشَالَتْ صُنْدُوقَهَا وَوَضَعَتْهُ عَلَى رَأْسِي. وَلَمَّا حَمَّلَتْنِي الصُّنْدُوقَ، صَاحَتْ عَلَيَّ: انزِلْ قُدَّامِي.

فَتَوَهَّمْتُ وَتَعَجَّبْتُ، وَلَمْ أَدْرِ مَاذَا تُرِيدُ أَنْ تَفْعَلَ. فَنَزَلْتُ قُدَّامَهَا إِلَى الْمَدْرَجَةِ[4]، وَأَغْلَقَتِ البَابَ الفُوقَانِي، وَإِذَا بِزَوْجِهَا قَدْ وَصَلَ إِلَى آخِرِ السُّلَّمِ، فَرَآنِي حَامِلِ الصُّنْدُوقَ، وَرَآهَا مُلْتَحِفَةً، وَقَدْ غَلَقَتِ البَابَ، وَهِيَ تُوَلْوِلُ وَتُدَمْدِمُ، فَقَالَ لَهَا وَقَدِ انْخَرَعَ فِي عَقْلِهِ: مَا بَالُكُمْ؟

فَصَاحَتْ عَلَيْهِ: أَنْتَ مَا تَسْتَحِي، تَغِيبُ عَنِّي إِلَى هَذَا الوَقْتِ، وَأَنَا وَحِيدَةٌ فِي الظَّلاَمِ، وَلاَ أَجِدُ مَنْ يَقُدُّ عَلَيَّ فَتِيلَةً، وَلاَ مَنْ يُطْعِمُنِي لُقْمَةَ خُبْزٍ. مَا طَلَعْتُ أَنَا قَطُّ جَارِيَتُكَ وَلاَ خَادِمَتُكَ! وَإِنْ كُنْتُ أَنَا

1) في تكملة المعاجم: 252/8 قرن: قرّان: «له قرون: قرنان، الدّيوث، الّذي لا غيرة له، المشارك في زوجته، نعت سوء للرّجل الّذي لا غيرة له على أهله».

2) في تكملة المعاجم: 97/6 سقم: «سقمان وجمعها سَقامين: موزج، جزيمة، سويقيّة، خفّ يلبس فوق خفّ ثان، وكان يلبس في مصر في أيام حكم الجراكسة وكان الأمراء والجنود والسّلطان نفسه يلبسونه، وكذلك النساء كنّ يلبسنه».

3) كذا في الأصل، ولعلّ صوابها: «شرادتك»، وفي تكملة المعاجم: 61/6 سرد: «سُرَيْدة: ضبابة».

4) في تكملة المعاجم: 319/4 درج: «مدرج: دَرَجٌ من حجرٍ».

جَارِيَتُكَ، انْزِلْ بِي إِلَى سُوقِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنْ كَانَ لِي أَهْلٌ، أَدنِي رَائِحَةَ بَيْتَ أُمِّي وَأَبِي، وَغَداً مِيعَادُنَا دَار القَاضِي.

قَالَ:

فَقَالَ: يَا مَرَهْ، اللَّهَ اللَّهَ، اِرْجِعِي إِلَى البَيْتِ فَلاَ أَعُودُ إِلَى مِثْلِهَا أَبَداً يَا حَبِيبَتِي، يَا سِتِّي.

فَتَشَرَّقَتْ بِالدُّمُوعِ، وَقَالَتْ: مَا تَسْتَحِي تَخْرُجُ مِنْ بُكْرة مَا تَجِي لِعَشِيَّة، وَتُخَلِّينِي بِالْجُوعِ، وَلاَ تَقُولْ: هَادِيكْ الكَلْبَة جِيعَانَة أَوْ عَطْشَانَة، أَدِنِي رَائِحَة إِلَى دَارِ أَبِي أَقْعُدُ فِيهِ إِلَى مَا تَجِي، وَتَعْطِينِي، وَتُوزِنْ لِي حَقِّي وَمُسْتَحَقِّي، وَغطَايَا وَوطَايَا.

قَالَ:

فَلَمَّا رَأَى الزَّوْجُ مِنْهَا الْجِدَّ، بَقِيَ يَتَرَضَّاهَا وَيَتَرَضَّعُ[1] إِلَيْهَا، وَيَسْأَلُهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَى البَيْتِ.

قَالَ صَدِيقِي الْمُحَارِفُ:

أَضَرُّ مَا كَانَ عَلَيَّ كَيْفَ أَنَا وَاقِفٌ، مْطَوَّلْ مَيِّتٌ، وَذَلِكَ الصَّنْدُوقُ الْمَيْشُومُ عَلَى رَأْسِي، وَهُمْ يَتَخَاصَمُونَ. فِي آخِرِ الشَّيْءِ، ضَجِرْتُ مِمَّا أَنَا فِيهِ وَاقِفٌ، فَقُلْتُ: يَا خمُولْ، وأَنْتَ وَاقِفْ إِيشْ تَعْمَلْ؟! تَطْلُبُهُمْ يَصْطَلُوا عَلَى رَقَبَتِكَ؟!

فَحَطَّيْتُ الصُّنْدُوقَ لَهُمْ فِي وَسَطِ السُّلَّمِ، وَتَرَكْتُهُمْ، وَنَزَلْتْ رُحْتُ إِلَى حَالِ سَبِيلِي.

---

1) كذا في الأصل، ولعلّ الصّواب: «يتضرّع».



الْمَاجِرِيَّةُ العَاشِرَةُ

قَالَ الْمُؤَلِّفُ، عَفَا اللَّهُ عَنْهُ:

سَمِعْتُ مِنْ بَعْضِ الْمُسَافِرِينَ، قَالَ: حَدَّثَنِي إِنْسَانٌ عَنْ عَوَّادٍ حَسَنِ الصَّوْتِ، طَيِّبِ النَّغْمَةِ بِالعُودِ، مَقْبُولاً عِنْدَ أَهْلِ مَدِينَتِهِ وَأَصْدِقَائِهِ. فَقَدْ رَأَيْتُهُ خَرَجَ يَوْماً، فِي لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ مِنْ مَقَامٍ كَانَ فِيهِ، وَاجْتَازَ بِبَعْضِ الأَزِقَّةِ، فَسَمِعَ فِي دَارٍ صَوْتَ غِنَاءٍ، وَشَمَّ رَائِحَةَ الشَّرَابِ وَالفَاكِهَةِ، فَطَلَعَ إِلَيْهِمْ، وَهَجَمَ عَلَيْهِمْ، فَتَبَادَرُوا إِلَيْهِ، وَظَنُّوهُ لِصّاً هَجَّاماً.

وَكَانَتِ الدَّارُ لِرَجُلٍ أَعْجَمِيٍّ، فَمَسَكُوهُ، وَجَعَلَ العَجْمِيُّ يَضْرِبُهُ، وَيُقُولُ لَهُ: أَنْتَ لِصٌّ؟

فَقَالَ الْمُغَنِّي: يَا هَذَا، لَيْسَ أَنَا بِلِصٍّ، وَلَكِنَّنِي رَجُلٌ مُغَنِّي عَوَّادْ، فَلَمَّا سَمِعْتُ أَصْوَاتَكُمْ جِئْتُ لأُغَنِّيَ عِنْدَكُمْ.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ:

فَلَمَّا سَمِعُوهُ القَوْمُ، خَلَّصُوهُ مِنْ يَدَيْ العَجْمِيِّ، وَقَعَدَ مَعَهُمْ يُغَنِّي، فَوَجَدُوهُ مُغَنِّي طَيِّبٍ، فَفَرِحُوا بِهِ. وَكَانَ لِصَاحِبِ البَيْتِ مَمْلُوكٌ كَأَنَّهُ البَدْرُ الْمُصَوَّرُ، فَلَمَّا رَآهُ الْمُغَنِّي افْتُتِنَ بِهِ. فَلَمَّا قَامَ الْمَمْلُوكُ لِيَقْضِيَ حَاجَتَهُ، فَتَبِعَهُ العَوَّادُ، وَشَكَا إِلَيْهِ أَنَّهُ يُحِبُّهُ، فَقَالَ لَهُ الْمَمْلُوكُ: إِذَا جَنَّ

اللَّيْلُ، وَسَكِرَ أُسْتَاذِي العَجْمِي، وَانْصَرَفُوا الْحُرَفَاءُ، وَخَلاَ الْمَجْلِسُ، يَكُونُ الْخَيْرُ.

فَشَكَرَهُ الْمُغَنِّي وَفَرِحَ بِذَلِكَ، وَلَمْ يَعْلَمْ مَا خَبَّى لَهُ الغَيْبُ. ثُمَّ دَخَلَ، وَجَعَلَ يَشْرَبُ وَيُغَنِّي لِلنُّدَمَاءِ.

قَالَ:

فَلَمَّا كَانَ نِصْفُ اللَّيْلِ، وَانْصَرَفُوا النُّدَمَاءُ، وَنَامَ العَجْمِي، وأمر[1] مِنَ الْمَقَادِيرِ بِسُوءِ حَظِّ الْمُغَنِّي، أَنَّ الْمَمْلُوكَ قَامَ مِنْ مَرْقَدِهِ، الَّذِي كَانَ مُواعِداً الْمُغَنِّيَ فِيهِ، وَنَامَ فِي غَيْرِهِ. وَانْطَفَتِ الشَّمْعَةُ، وَانْقَلَبَ العَجْمِي، أُسْتَاذُ الْمَمْلُوكِ، وَنَامَ فِي مَوْضِعِهِ، الَّذِي كَانَ الاتِّفَاقُ عَلَيْهِ، وَهْوَ سَكْرَان.

وَأَمَّا الْمُغَنِّي فَإِنَّهُ كَانَ قَدْ عَرفَ مَوْضِعَ الْمَمْلُوكِ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ. فَأَتَى الْمُغَنِّي إِلَى العَجْمِي، وَهْوَ سَكْرَان، وَقَدِ اعْتَقَدَ أَنَّهُ الْمَمْلُوكُ، فَحَلَّ سَرَاوِيلَهُ، وَمِنْ شِدَّةِ مَحَبَّتِهِ فِي الْمَمْلُوكِ وَسُكْرِهِ، مَا تَحَقَّقَ مَا قُدَّامَهُ، بَلْ إِنَّهُ مَسَكَ أَيْرَهُ، وَنَدَبَهُ، وَخَنَقَهُ، وَحَكَّهُ، وَغَمَّقَهُ، وَدَفَعَهُ مَعَهُ، ثُمَّ إِنَّهُ سَلَّهُ، وَأَسْقَاهُ إِيَّاهُ.

قَالَ:

وَمَا زَالَ الْمُغَنِّي يَسْفِقُ، وَيَرْفِقُ، وَيَجُرُّ، وَيُطْبِقُ، حَتَّى مَلأَ بَطْنَ العَجْمِيِّ، فَقَامَ الْمِسْكِينُ مَذْعُوراً صَارِخاً، يَصِيحُ: زَنْهَارْ زَنْهَارْ[2].

---

1) كذا في الأصل.

2) في تكملة المعاجم: 371/5: «(بفتح الزاي وكسرها): وهو اسم فارسيّ معناه حماية، غير أنّه يستعمل للتعجّب أيضاً. وهذا ما ورد في ألف ليلة (1: 370) إذ رأى فتى امرأة جميلة متمنطقة بنطاق ثمين فصاح: زنهار زنهار من هذا الزّنّار، أي احفظني من هذا النّطاق، وفي طبعة بولاق: واحيرتاه من هذا

وَقبَضَ عَلَى الْمُغَنِّي، ثُمَّ كَتَّفَهُ وَأَوْجعَهُ ضَرْباً، وَربَطَهُ إِلَى جَانِبِ شَجَرَةٍ كَانَتْ فِي وَسَطِ البَيْتِ، وَنَامَ إِلَى جَانِبِهَا، وَقَالَ: إِذَا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ، أَنَا أَعْرِفُ إِيشْ أَعْمَلُ فِيكَ يَا كُنَّ فِرَاخْ[1].

قَالَ:

يَا سَادَة، وَكَانَ فِي الدَّارِ مَعَهُ مُغَنِّيَةٌ، فَلَمَّا رَأَتِ الْمُغَنِّيَ مَوْثُوقاً كِتَافاً، وَقَدْ نَامَ العَجْمِي، وَثَبَتْ إِلَيْهِ، وَجَعَلَتْ تَتَوَجَّعُ لَهُ مِمَّا جَرَى عَلَيْهِ، وَتَكْبِسُهُ، ثُمَّ مَسَّتْ ذَكَرَهُ وَنَدَبَتْهُ[2]، وَرَطَّلَتْهُ[3] حَتَّى تَوَتَّرَ وَقَامَ، فَقَالَتْ لَهُ: تَفْعَلُ بِي، وَأَنَا أَحُلُّ كِتَافَكَ وَأَطْلِقُكَ تَهْرَب، وإِلاَّ يُصْبِحُ العَجْمِي يَضْرِبُكَ مَرَّةً ثَانِيَةً، وَيُصَبِّحُكَ صَبَاحْ مَيْشُومْ[4].

قَالَ لَهَا: حِلِّينِي وَأَنَا أَفْعَلُ مَا تَأْمُرِينَ بِهِ.

فَقَالَتْ: أَخَافُ أَنْ لاَ تَفْعَلَ. أَلاَ فَاعْمَلْ وَأَنْتَ مَرْبُوطٌ، وَإِذَا فَرَغَتْ شَهْوَتِي، وَجَاءَتْنِي حُسَيْبَتِي، وَشَاهَدْتُ اللَّذَّاتِ، وَغُمِيَ عَلَيَّ مِنَ الغَشَوَاتِ، وَغِبْتُ عَنْ وُجُودِي فِي الغَمَرَاتِ، وَدَفَعْتَ دَفَعَاتِ الشَّهَوَاتِ، أَنَا أَحُلُّكَ وَأَدَعُكَ تَهْرَبُ إِلَى حَالِ سَبِيلِكَ.

قَالَ الرَّاوِي:

الزّنّار. وفي «محيط المحيط»: وبعض المولّدين يقول صاح القوم زنهار، كما يقال صاحوا المدد، وذلك عند استعظام الشدّة والاستغاثة منها»..

1) في كنايات الجرجاني: 127 رقم 66: «وأهل المدينة يكنون عن اللّقيط بالفرخ»، وفي تاج العروس (فرخ): «من المجاز: فلان فرخ من الفروخ، أي ولد زنى»، وانظر: الكناية والتّعريض (بتحقيقنا): 337 رقم 505، وشفاء الغليل: 169.

2) في تكملة المعاجم: 187/10 ندب: «طرّى، ليّن الجسد».

3) في تكملة المعاجم: 158/5 رطل: «رطَّلَ بالتّشديد: دغدغ، زغزغ، عرك».

4) في تكملة المعاجم: 120/11 «ميشوم: (تحريف مشؤوم): تعيس، كارثة، مصيبة، حادث رديء حقير، وتستعمل ظرفاً أيضاً».

ثُمَّ إِنَّهَا كَشفَتْ ثِيَابَهَا وَأَتَتْ إِلَى أَيْرِ الْمُغَنِّي فَرَيَّقَتْهُ، وَمَسَكَتْهُ بِيَدِهَا، وَدَلَكَتْهُ فِي أَشْفَارِهَا دَلِكْ جَيِّدْ حَتَّى غَابَتْ عَنِ الْوُجودِ، وَصَارَ شَخْصُهَا مَفْقُودٌ مِنْ شِدَّةِ اللَّذَّةِ، وَجَعَلَتْ تَرُوحُ وَتَجِيءُ.

قَالَ:

وَكَانَ فِي الدَّارِ كَبْشٌ لِلْعَجْمِي، فَلَمَّا رَأَى الكَبْشُ مَا تَصْنَعُ الْمَرْأَةُ، تَوَهَّمَ أَنَّهَا تُرِيدُ مِنْهُ النِّطَاحَ، لأَنَّهُ كَبْشٌ مُعَلَّمٌ لِلنِّطَاحِ، فَقَطَعَ الرِّبَاطَ وَتَأَخَّرَ، وَأَتَى إِلَيْهَا يَجْرِي فِي الظَّلاَمِ، وَهْيَ لاَ تَعْلَمُ بِذَلِكَ لأَنَّهَا غَائِبَةٌ عَنْ رُشْدِهَا مِنْ شِدَّةِ اللَّذَّةِ، شَقَّ رَأْسَهَا قُفْلْ وَمِفْتَاحْ، ثُمَّ تَأَخَّرَ وَجَاءَ يَنْطَحُهَا ثَانِيَةً، فَرَاغَتْ عَنْهُ فَرَاحَتِ النَّطْحَةُ خَائِبَةً، وَتَمَّ الكَبْشُ فِي قُوَّةِ مِشْوَارِهِ وَشِدَّةِ رِيحِهِ، فَمَا صَادَفَ قُدَّامَهُ غَيْرَ العَجْمِي رَاقِدْ، وَهْوَ لاَ يَعْلَمُ مَا خَفِيَ لَهُ فِي الغَيْبِ، فَوَقَعَتِ النَّطْحَةُ فِي رَأْسِهِ أَعْطَبَتْهُ، وَشَقَّتْ دِمَاغَهُ، وَجَاءَتْ بِقُطَارَتِهِ، فَقَامَ صَارِخًا، وَهْوَ يَسْتَغِيثُ فَلاَ يُغَاثُ، فَوَجَدَ الْمُغَنِّيَ عَارِياً مِنْ لِبَاسِهِ، وَالْمُغَنِّيَةُ مُفَقَّسَة[1]، وَأَيْرُ الْمُغَنِّي مُطَرْطَرٌ[2]، فَصَاحَ العَجْمِي: زَنْهَارْ.

وَنَسِيَ مَا جَرَى عَلَيْهِ مِنَ الكَبْشِ فِي الدَّارِ لَمَّا رَأَى هَذَا الْحَالَ الفَضِيحَ، وَالفِعْلَ الشَّنِيعَ، وَقَالَ: يَا كُنَّ فِرَاخ، يَا خَرَا دَسْت، أَنْتَ لَكَ عِنْدَنَا ثَارْ، مَا جِيتْ إِلَى هَذِهِ الدَّارْ إِلاَّ تَنِيكْ الصِّغَارَ وَالكِبَارَ!

ثُمَّ ضَرَبَهُ ضَرْباً وَجِيعاً، وَأَخْرَجَهُ مِنَ البَيْتِ، وَقَالَ: أَوَّلُ مَا جَالْنَا العَشَا كَرِهْتُه، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَعِبُ مَيْشُومٍ.

---

1) في تكملة المعاجم: 8،97 فقس: «فقس الرّجل: جعله ينكمش بعد انبساط، وهو من كلام العامّة».

2) في تكملة المعاجم: 40/7 طرطر: «رفع».

الْمَاجِرِيّةُ الْحَادِيَةَ عَشَرَ

قَالَ الْمُؤَلِّفُ (عَفَا اللَّهُ عَنْهُ):

مِنْ أَعْجَبِ مَا حُكِيَ لِي عَنْ أَشْرَارِ النِّسَاءِ العَالِمَات، الْمُسْتَوْلِينَ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ، الْمَاكِرَاتِ، وإِسْرَاعِ حِيَلِهِنَّ فِي أَضْيَقِ الأَوْقَاتِ، قَالَ: لِي شَخْصٌ اتَّفَقَتْ مَاجِرِيَّةٌ بِحُضُورِي، أَنْقُلُهَا لَكَ بِصِحَّتِهَا، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَثَلاَثِينَ وَسَبْعمائَةٍ. كُنْتُ سَاكِنْ بِصْلِيبَةِ[1] جَامِعِ طُولُونَ، وَكَانَ بِجِوَارِي أَمِيرُ عَشَرَة[2]، وَكَانَ عَزِيزْ عَلَى وَالِدَيْهِ. وَكَانَ فِي الدَّرْبِ الَّذِي أَنَا سَاكِنْ فِيهِ إِنْسَانٌ جُنْدِيٌّ غُتْمِيٌّ[3] قَازَانِيٌّ[4] مَا يَعْرِفُ اللَّهَ إِلاَّ بِالإِشَارَةِ وَالتُّرْجُمَانِ، وَجْهُهُ يَفْطِمُ الصِّغَارَ. وَكَانَ جُنْدِي كَبِيرْ، وَصَاحِبَ شُغْلٍ عِنْدَ الْمَلِكِ النَّاصِرِ.

وَكَانَ هَذَا التُّرْكِيُّ الْمَذْكُورُ سَيِّء الْخُلُقِ، وَيَوْمَ يَكُونُ جَالِسْ عَلَى مِصْطَبَتِهِ، لَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ مِنْ صِبْيَانِ الْحَارَةِ أَنْ يَجُوزَ عَلَيْهِ لِشَرِّهِ وَتَعَبُّسِهِ، وَلاَ يَجْسُرُ مُتَعَيِّشٌ[5] أَوْ مُنَادِي يَدْخُلُ ذَلِكَ الدَّرْبَ لأَجْلِهِ.

---

1) في تكملة المعاجم: 460/6 صلب: «صْلِيبة: مفرق طرق، موضع يتقاطع فيه طريقان متصلّبان».

2) في المعجم الجامع في المصطلحات الأيّوبيّة والمملوكيّة والعثمانيّة ذات الأصول العربيّة والفارسيّة والتّركيّة (سنشير إليه لاحقا بالمعجم الجامع): 24: «رتبة عسكريّة مملوكيّة يحملها أمير يرأس من عشرة إلى عشرين من الفرسان، ومن هذه الطّبقة صغار الولاّة وأرباب الوظائف».

3) في تكملة المعاجم: 383/7 غتم: «غُتْمِي: ماهر، حاذق، أريب».

4) كذا في الأصل، وفي تكملة المعاجم: 266/8 قزن: «قزين: بخيل، شحيح، والقزانة: البخل والشحّ».

5) في تكملة المعاجم: 362/7 عيش: «متسوّل، شحّاذ، مكدي، مستجدي. سائل، متكفّف، مستعطي».

قَالَ:

وَهَذَا التُّرْكِيُّ لَهُ زَوْجَةٌ أَحْسَنُ خَلْقِ اللَّهِ وَجْهاً، وَأَعْدَلُهُمْ قَدّاً، وَأَجْمَلُهُمْ ظَرْفاً، وَكَانَتْ قَدِ امْتُحِنَتْ بِحُبِّ ذَلِكَ الأَمِيرِ الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهُ - وَهْوَ عَزِيز -، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَهُ صُحْبَةٌ وَعِشْرَةٌ. وَكَانُوا أَهْلُ الْحَارَةِ، وَأَجْنَادُهَا الكِبَارُ، أَرْبَابُ الوَظَائِفِ[1]، وَبَعْضُ مَمَالِيكِ السُّلْطَانِ يَتَعَشَّقُوهَا وَيُهَادُوهَا، وَيُرْسِلُوا لَهَا الشُّقَقَ[2] الْحَرِيرَ، وإِذَا جَازَتْ عَلَيْهِمْ شَالَتْ رَأْسَهَا، وَاعْتَدَلَتْ بِقَامَتِهَا، وَتَنَخَّعَتْ[3]، وَشَتَمَتْ، وَهْيَ عَلَيْهِمْ بِشَفَةٍ وَلِسَانٍ، وَلاَ يَسْتَجرِئُ أَحَدٌ يَرُدُّ عَلَيْهَا مِنْ شَرِّ زَوْجِهَا.

قَالَ:

وَهَذِهِ الْمَرْأَةُ الْمَذْكُورَةُ كَانَ عَلَيْهَا مِنَ الْحَجْرِ وَالتَّضْيِيقِ مَا لاَ نِهَايَةَ لَهُ، شَيْءٌ مِنْ جِهَةِ زَوْجِهَا وَشَرِّهِ، وَمَوَاظَبَتِهِ[4] لَهَا فِي البَيْتِ، لاَ يُفَارِقُهَا لاَ لِيلْ وَلاَ نْهَارْ، وَشَيْءٌ مِنْ جِهَةِ أَوْلاَدِ الْحَارَةِ وَأَجْنَادِهَا، وَعِشْقِهِمْ لَهَا وَتَمَنُّعِهَا مِنْهُمْ، وَقَدْ جَعَلُوا عَلَيْهَا عُيُونْ وَأَرْصَادْ، وَكَانَتْ مَعَهُمْ فِي أَضْيَقِ الْخُرُوجِ[5]. وَبَعْدَ هَذَا كُلِّهِ، كَانَتْ تَجْتَمِعُ بِعَشِيقِهَا ابْنِ الأَمِيرِ فِي غَالِبِ الأَوْقَاتِ[6]، وَتَنْحَشِرُ عِنْدَهُ النَّهَارَ كُلَّهُ مِنْ كَثْرَةِ حِيَلِهَا وَمَكْرِهَا.

---

1) في الأصل: «الوضائف».

2) في تكملة المعاجم: 331/6 شق: «هي قطعة قماش ولاسيّما شقّة الكتّان».

3) في تكملة المعاجم: 185/10 نخع: «نخع، واسم المصدر نخْع ونَخاعة: بصق، مخط، رمى البلغم من صدره».

4) في الأصل: «مواضبته».

5) في تكملة المعاجم: 46/4 خرج: «خَرْجَة: هجمة شديدة متقطّعة، وخَرْجَة: تعنيف، توبيخ، فظاظة، عنف، حدّة».

6) وبعده في الأصل: «علي معشوقها»، ولم ندرك لها وجها، فأسقطناها.

وَهْيَ مَا كَانَتْ مُحْتَاجَةً لاَ لِذَهَبٍ وَلاَ لِفِضَّةٍ، بَلْ كَانَتْ تَنْحَشِرُ عِنْدَهُ لأَجْلِ مَحَبَّتِهَا فِيهِ لأَنَّهُ كَانَ شَبَابٌ حَسَنٌ.

قَالَ:

وَمِنْ أَعْجَبِ مَا جَرَى لِهَذِهِ الْمَذْكُورَةِ، وَمِنْ بَعْضِ حِيَلِهَا وَمَكْرِهَا، مَا أَنَا ذَاكِرُهُ لَكَ. جَرَى بِحُضُورِي عَلَى صِحَّةٍ. وَذَلِكَ أَنَّ جَمَاعَةً مِنْ كُبَرَاءِ أَهْلِ الْحَارَةِ لَمَّا رَأَوْا هَذِهِ الْمَلِيحَةَ تَمُرُّ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ يَعْلَمُوا أَنَّهَا مَعَ عَزِيزٍ ابْنِ الأَمِيرِ، فَاجْتَمَعُوا يُومْ مِنَ الأَيَّامِ، وَعَمِلُوا ضِيَافَةً[1] وَطَعَاماً وَفَاكِهَةً وَمُدَامْ، وَغَيْرَ ذَلِكَ. وَكَانَ ذَلِكَ اتِّفَاقٌ بَيْنَهُمْ.

ثُمَّ عَزَمُوا عَلَى عَزِيزٍ صَاحِبِهَا، وَقَدَّمُوا لَهُ الطَّعَامَ فَأَكَلُوا. وَلَمَّا فَرَغُوا مِنَ الأَكْلِ ارْتَفَعَتِ الْمَوَائِدُ، ثُمَّ قَدَّمُوا لَهُ الْمُدَامَ فِي كَاسَاتٍ وَطَاسَاتٍ[2]، وَسلاَحِيَّاتٍ[3]، وَمُطَاوِلاَتٍ وَمُتَقَاصِرَاتٍ[4]، وَأَوَانِيَ وَقَنَانِيَ، وَعَلَّقُوا الدَّاوُوقَ، وَصَفَّفُوا الأَقْدَاحَ، وَوَضَعُوا فِي الْمَجْلِسِ مِنْ سَائِرِ الرَّيَاحِينِ، مِثْل يَاسَمِينٍ، وَتُفَّاحٍ، وَنَرْجَسٍ، وَأَقَاحٍ، فَأَرْهَجَ الْمَجْلِسُ وَقَدْ زَالَتْ عَنْهُ الأَتْرَاحُ، وَقَدِمَتْ إِلَيْهِ الأَفْرَاحُ، فَصَارَ نُزْهَةً لِلنَّاظِرِينَ، وَفِتْنَةً لِلْحَاضِرِينَ، وَيُزِيلُ الْهُمُومَ عَنْ قَلْبِ مَنْ يَرَاهُ، وَيَوَدُّه لَوْ كَانَ كُلَّ سَاعَةٍ فِيهِ وَيَتَمَنَّاهُ، كَمَا قَالَ فِيهِ بَعْضُ وَاصِفِيهِ[5]:

---

1) في الأصل: في تكملة المعاجم: 525/6 ضيف: «ضيافة: وليمة، مأدبة كبرى».

2) في تكملة المعاجم: 75/7 طس: «طاسَة، طاسٌ، وجمعها طسَاسٌ: كأس من الفضّة».

3) في تكملة المعاجم: 117/6 سلح: «سلاحيّة: قارورة، ويقال لها أيضا: سراحيّة».

4) في تكملة المعاجم: 99/7 طول: «الطّويله والقصيرة: بئران إحداهما عميقة والأخرى غير عميقة».

5) وبعده في الأصل: «حيث»، ولا محلّ لها، فأسقطناها، والقصيد لابن الخيّاط الدّمشقيّ، وهي في

[من الطّويل]

لَنَــــا[1] مَجْلِسٌ مَـــا فِيهِ لِلْهَـــمِّ مَدْخَلٌ
وَمَا مِنْـــهُ يَوْمـــاً لِلْمَسَـــرَّةِ مَخْرَجُ

تَضَمَّنَ أَصْنَـــافَ الْمَحَاسِـــنِ كُلِّهَا
فَلَيْسَ لِبَاغِـــي العَيْشِ عَنْـــهُ مُعَرَّجُ

غِنَـــاءٌ[2] إِلَى الفِتْيَانِ أَشْـــهَى مِنَ الغِنَى
بِهِ العَيْـــشُ يَصْفُو وَالْهُمُـــومُ تُفَرَّجُ

يَخِـــفُّ[3] لَهُ حِلْـــمُ الْحَلِيـــمِ صَبَابَةً
وَيَصْبُـــو إِلَيْـــهِ النَّاسِـــكُ الْمُتَحَرِّجُ

وَرَوْضاً كَأَنَّ القَطْرَ غَـــادَاهُ فَاغْتَدَى[4]
يَضُوعُ[5] بِمِسْـــكِيِّ[6] النَّسِـــيمِ وَيَأْرَجُ

تَرَاكَمَـــتِ[7] الأَزْهَـــارُ فِيـــهِ كَأَنَّهَـــا
كَوَاكِـــبُ فِي أُفْـــقٍ تُنِيرُ وَتُسْـــرَجُ

وَيَذْكِـــرُكَ الأَحْبَـــابَ فِيـــهِ بَدَائِعٌ
مِنَ النَّـــوْرِ، مِنْهَا نَرْجِسٌ وَبَنَفْسَـــجُ

ديوانه: 195-196 رقم 79، وقدّم لها بقوله: «وقال - وقد حضر عند الأمير عضد الدّولة رحمه الله في مجلس، فيه سماع، وقد نضّد بطرائف من الأزهار وقد أوقدت فيه نار ذكيّة الجمر، وفيه شراب رائق، ونارنج شديد الاحمرار - بديها بعد أن ثمل»، ومنه أثبتنا جميع التّصويبات.

1) في الأصل: «أنا».
2) في الأصل: «عنا».
3) في الأصل: «يحق».
4) في الأصل: «وروض... عادته فاعتدى».
5) في الأصل: «يصوع».
6) مطموسة في الأصل.
7) في الدّيوان: «ترى نكت الأزهار».

فَهَـــذَا كَمَـــا يَرْنُـــو إِلَيْـــكَ[1] بِطَرْفِهِ

أَغَـــنُّ، غَرِيرٌ[2]، فَاتِنُ الطَّـــرْفِ، أَدْعَجُ

وَهَـــذَا كَمَـــا حَيَّـــا بِخَطِّ عِـــذَارِهِ

مِنَ الْهِيفِ، مَمْشُـــوقُ[3] العِذَارِ، مُعَرَّجُ[4]

غَرِيبُ افْتِتَانِ الدَّلِّ فِي الحُسْنِ، لَمْ يَزَلْ

تُعَقْـــرَبُ أَصْـــدَاغٌ لَـــهُ وَتُصَوْلَجُ[5]

وَمَعْشُـــوقُ نَارَنْجٍ يُرِيـــكَ[6] احْمِرَارُهُ

خُدُودَ عَـــذَارَى بِالعِتَـــابِ تُضَرَّجُ

وَنَـــارٌ تُضَاهِيهَـــا[7] الْمُـــدَامُ بِنُورِهَا

فَتَخْمُـــدُ، لَكِـــنَّ الْمُـــدَامَ تَأَجَّـــجُ

كُؤُوسٌ[8] كَمَا تَهْـــوَى النُّفُوسُ، كَأَنَّهَا

بِنَيْـــلِ[9] الأَمَانِـــي وَالْمَـــآرِبِ تُمْزَجُ

كَأَنَّ القَنَانِـــي وَالصَّوَانِـــي لِنَاظِـــرٍ

نُجُـــومُ سَمَـــاءٍ سَائِـــرَاتٌ وَأَبْرُجُ

---

1) في الأصل: «إليه».
2) في الأصل: «عزيز».
3) في الأصل: «مشقوق».
4) مطموسة في الأصل.
5) في الأصل: «عريب» بدل «غريب»، و«المجلس» بدل «الحسن»، و«تضولج» بدل «تصولج».
6) في الأصل: «نازج يريك».
7) في الأصل: «يضاهيها».
8) في الأصل: «كؤوسا».
9) في الأصل: «تنيل».

مَعَــانٍ كَأَخْلاَقِ النَّدَامَى مَحَاسِــنُهُمْ
وَلكِنَّهُــمْ[1] مِنْهُــنَّ أَبْهَــى وَأَبْهَــجُ

قَالَ النَّاقِلُ لِهَذَا الْحَدِيثِ العَجِيبِ وَالأَمْرِ الْمُطْرِبِ الغَرِيبِ:

ثُمَّ دَارَتْ عَلَيْهِمْ كَاسَاتُ الْمُدَامِ، وَحَمِيَ بَيْنَهُمُ الكَلاَمُ، وَسَكِرُوا الْجَمَاعَةُ وَتَقَفَّلَتْ عُيُونُهُمْ، فَتَغَامَزُوا عَلَى عَزِيزٍ ابْنِ الأَمِيرِ، وَسَأَلَهُ بَعْضُهُمْ - وَكَانَ ذَلِكَ تحرُّشاً بِهِ -، وَقَالُوا: بِاللَّهِ، نَسْأَلُكَ عَنْ شَيْءٍ، وَتَصْدُقُنَا فِيهِ.

فَقَالَ فِي سُكْرٍ: أَيْ وَاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ.

قَالُوا: فَنَسْأَلُكَ عَنْ فُلاَنَة، زَوْجَةِ فُلاَنِ الدِّينِ النَّاصِرِي، فَقَدْ قِيلَ لَنَا إِنَّهَا تَعْشقُكَ، وَأَنْتَ تَعْشقُهَا، وَنَحْنُ بَيْنَ الْمُكَذِّبِ وَالْمُصَدِّقِ، فَهَلْ هَذَا صَحِيحٌ أَمْ لاَ؟

قَالَ:

فَلَعِبَ بِعَقْلِهِ الْهَوَى، وَالْمُدَامُ الكَاشِفُ لِكُلِّ سِرٍّ وَاحْتِشَامٍ، فَقَالَ: أَيْ وَرَبِّ البَيْتِ الْحَرَامِ، وَإِنْ شِئْتُمْ أَحْضَرْتُهَا فِي هَذَا الْمَقَامِ، وَتَسْتَعْمِلُ مَعَنَا الْمُدَامَ.

يَا سَادَة، فَلَمَّا سَمِعُوا الْجَمَاعَةُ ذَلِكَ الكَلاَمَ، أَبْدَوْا الوَقَاحَةَ، وَتَرَكُوا الاحْتِشَامَ. وَكَانَ قَصْدُهُمْ فِي ذَلِكَ عَسَى تَحْضُرُ مَعَهُمْ فِي الْمَقَامِ، فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ: يُمْكِن.

وَقَالَ آخَرُ: أَمْسِكْ إِيدَكْ.

---

1) في الدّيوان: «أخلاق الأمير محاسنا، ولكنّه... ».

وَقَالَ آخَرُ: حِسِّكْ الْحَائِط.

وَقَالَ آخَرُ: تَعَاكِدْ[1].

وَقَالَ آخَرُ: سَفَهْ[2].

وَقَالَ آخَرُ: لَقَّة[3].

وَقَالَ آخَرُ: نقره[4].

وَقَالَ آخَرُ: أَعْطِيهْ[5].

وَقَالَ آخَرُ: حَشَاكْ لَهُ مِنَ الطَّرِيقِ[6].

وَمَا زَالُوا يَتَغَامَزُوا عَلَيْهِ، وَيَتَهَازَزُوا[7]، وَيَتَضَاحَكُوا، وَلَعِبَتِ الْخَمْرَةُ بِرُؤُوسِهِمْ فَذَهَبَتْ بِالْحَيَاءِ مِنْهُمْ. وَعَمْلُوا هَذَا كُلَّهُ شَيْطَنَةً مِنْهُمْ وَحِرَافْ، حَتَّى يُخْرِجُوهُ[8].

قَالَ الْمُؤَلِّفُ:

فَلَمَّا عَايَنَ عَزِيزٌ مِنْهُمْ ذَلِكَ، قَالَ: يَا جَمَاعَة، طَارَ السُّكْرُ مِنْ رَأْسِي، وَاضْطَرَبَ جِسْمِي وَجَمِيعُ حَوَاسِّي، وَلَكِنْ مَا هَذَا وَقْتُ الكَلَامِ، وَلاَ وَقْتُ العِتَابِ. وَحَقِّ مُسَبِّبِ الأَسْبَابِ، مَا عُدْتُ أُغْلِقُ •

---

1) كذا في الأصل، ولم نعثر لها على أصل في معاجم اللّغة، فلعلّها من الألفاظ العامّية الدّخيلة.

2) في تكملة المعاجم: 89/6 سفه: «سَفْه: خطاب غليظ فظ، وكلام شاتم مهين».

3) في تكملة المعاجم: 260/9 لق: «يا لقة الزّربول: شتيمة»، وزاد في: 24/6 سبغ: «سباغ. وجدت في حكاية باسم الحدا (ص59) سباغ الرحمن كلمة شتيمة ففيها: قال له يا لقة الزربول يا سباغ الرحمن أين الذي جبتوه أنتم معكم أكثر اللّه خيركم».

4) في تكملة المعاجم: 286/10 نقر: «نقره كلمة: عابه بكلمة، خدشه بكلمات إلجاء، سخر به وقذفه بما يعيب، قال له كلمة نابية؛ ضربه كلمة نقر في حجر، أي رماه بكلمة جارحة، نقده نقدا لاذعا».

5) لم نعثر لها على شرح.

6) لم نعثر لها على شرح.

7) في تكملة المعاجم: 14/11 هزر: «هزّر: ضحك، مازح، سخر».

8) كذا في الأصل، ولعلّ المقصود: «يخرجوه عن طوره».

هَذَا البَابَ، وَلاَ عُدْتُ أَسْتَعْمِلُ شَرَابْ دُونَ أَنْ تَحْضرَ فُلاَنَةَ قَبْلَ الغِيَابِ، وَتَعْرِفُونَ الصَّادِقَ مِنَ الكَذَّابِ.

قَالَ الرَّاوِي:

فَاسْتَبْعَدُوا الْجَمَاعَةُ هَذَا الأَمْرَ لأَجْلِ الْحَجْرِ وَالْحِرْصِ الَّذِي عَلَى الْمَرْأَةِ، وَقَالُوا: نَحْنُ نَعْرِفُ أَنَّ زَوْجَهَا فُلاَنٌ عِنْدَهَا هَذَا الوَقْتِ فِي البَيْتِ، وَلَيْسَ لَهُ نَوْبَةٌ اليَوْمَ، وَأَنْتَ لاَ تَقْدِرُ عَلَى حُضُورِهَا فِي هَذَا الوَقْتِ، وَهَذَا شَيْءٌ لاَ يَكُونُ أَبَداً.

قَالَ صَاحِبُ الْحَدِيثِ:

فَقَالَ: يَا جَمَاعَة، إِنْ حَضَرَتْ فِي هَذَا الوَقْت، مَا يَكُونُ لِي عِنْدَكُمْ؟

فَقَالَ وَاحِدٌ فِي سُكْرٍ: أَنَا عِنْدِي مُرَوَّقَتَيْنِ[1].

وَقَالَ آخَرُ: وَأَنَا زَوْجُ إِوَزٍّ.

وَقَالَ آخَرُ: دُونَ تَحْدِيدِ الْمَقَامِ عَلَيَّ.

يَا سَادَة، فَلَمَّا سَمِعَ الشَّابُّ مِنْهُمْ ذَلِكَ، أَرْسَلَ فِي الْحَالِ خَلْفَ عَجُوزٍ، تُعْرَّفُ بِأُمِّ سَنْجَرْ. وَكَانَتْ هَذِهِ العَجُوزُ دَلاَّلَةٌ فِي الْحَارَةِ وَالدُّورِ، وَتَطْلَعُ إِلَى بُيُوتِ الأُمَرَاءِ وَالسُّعَدَاءِ، وَغَالِبُ مَمَالِيكِ السُّلْطَانِ بَقِيُوا يَعْرِفُونَهَا لأَنَّهَا كَانَتْ دَلاَّلَةً وَرَسُولَةً بَيْنَ الأَحْبَابِ، وَأَحَبُّ مَا لَدَيْهَا تَجْمَعُ بَيْنَ رَأْسَيْنِ[2] فِي الْحَرَامِ، وَكَانَ عِنْدَهَا تَعْرِيضٌ مِنَ الْقُدُورِ تَجْمَعُ بَيْنَ الْفُلْفُلِ مِنَ اليَمَنِ وَالرُّزِّ مِنَ الصَّعِيدِ[3].

---

1) في تكملة المعاجم: 254/5 روق: «مروّقة: نوع من الآنية يوضع فيها النّبيذ، قنّينة».

2) في كنايات الجرجاني: 247 رقم 270: «ويقولون فيه [القوّاد]: هو يجمع بين الرّأسين».

3) وهذا من حذق التّاليف، ولذلك يكنى عن القوّاد بـ «المؤلّف» ؛ انظر: كنايات الجرجاني: 245 رقم 266.

فَأَرْسَلَ عَزِيزٌ العَجُوزَ الصَّالِحِيَّةَ[1] خَلْفَ صَاحِبَةِ هَذِهِ الْمَاجِرِيَّةِ، مَعْشُوقَتِهِ، بَعْدَ مَا أَوْصَى وَصَايَا، وَأَعْطَاهَا أَمَايِرَ وَعَلاَئِمَ، وَعَادَ دَخَلَ إِلَى الْمَقَامِ، وَجَلَسَ بَيْنَ النُّدْمَانِ. وَأَمَّا العَجُوزُ الدَّهْرِيَّةُ[2] أُمّ سَنْجَر، فَإِنَّهَا مَضَتْ وَدَخَلَتِ الدَّرْبَ، وَطَلَعَتْ إِلَى البَيْتِ الْمُشَارِ إِلَيْهِ، فَوَجَدَتْ زَوْجَهَا عِنْدَهَا فِي البَيْتِ، وَهْوَ كَأَنَّهُ شَيْطَانٌ مُجَرَّدٌ، أَوْ نَمِرٌ[3] حَرْدَانٌ، وَشَوارِبُهُ تَلْعَبُ فِي خِلْقَتِهِ كَأَنَّهَا شَوَارِبُ قَرْمُوطٍ[4]، وَعَيْنُهُ طَائِرَةٌ لِصَوْبِ البَابِ لِمَنْ يَدْخُلُ وَيَخْرُجُ.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ:

وَلَقَدْ بَلَغَنِي مِنَ الَّذِي حَكَى لِي هَذِهِ الْمَاجِرِيَّةَ أَنَّ العَجُوزَ أُمّ سَنْجَر لَمَّا طَلَعَتِ البَيْتَ، وَجَدَتِ الصَّبِيَّةَ فِي الْمَطْبَخِ تَتَعَرَّفُ الطَّعَامَ لِلْعِشَاءِ، وَكَانَ وَقْتُ انْفِرَاكِ العَصْرِ، وَرَأَتْ زَوْجَهَا فِي البَيْتِ وَقُدَّامَهُ السُّفْرَةُ وَرَغِيفُ خُبْزٍ، وَهْوَ قَاعِدٌ مُشَمِّرٌ، وَبِيَدِهِ كَزْلَك[5] يُقَطِّعُ بِهِ اللَّحْمَ فِي قَصْعَةٍ، وَعَلَى رُكْبَتِهِ فُوطَةٌ مَنْشُورَةٌ، وَهْوَ مُنْتَظِرٌ الطَّعَامَ تَأْتِي بِهِ زَوْجَتُهُ.

قَالَ:

---

1) في الأصل: «فأرسل عزيز خلفها خلف العجوز الصالحية خلف»، ولم نعثر على شرح للفظة «الصّالحيّة»، ولعلّها مؤنّث «مصالح»، وهو السّفير، كما في تكملة المعاجم: 463/6 صلح، وفي كنايات الجرجاني: 246 رقم 267: «ويكنون عنه [اي القوّاد] بالمصلح، وربّما قالوا: المصلح بين العشائر».

2) في تكملة المعاجم: 418/4 دهر: «دَهْرِيٌّ: أبيقُوريّ، منغمس في اللّذّات».

3) في الأصل: «أنمر».

4) في تكملة المعاجم: 251/8 قرمط: «قرموط والجمع قراميط: بني، بوري، سمك صغير ذو شوارب».

5) في تكملة المعاجم: 78/9 كزلك: «كزلك (فارسيّة كِزلك): خنجر، سكّين».

وَدَخَلَتِ الْعَجُوزُ أُمُّ سَنْجر إِلَى الْمَطْبَخِ، وَسَلَّمَتْ عَلَى الصَّبِيَّةِ، وَسَارَرَتْهَا فِي الكَلاَمِ، وَقَالَتْ لَهَا فِي آخِرِ الكَلاَمِ: يَقُولُ لَكِ عَزِيزٌ، ابنُ الأَمِيرِ فُلاَن، إِنْ كُنْتِ مُحِبَّةً فِيهِ كَمَا تَدَّعِي، فَقُومِي إِلَيْهِ كَلِّمِيهِ فَلَهُ عِنْدَكِ حَاجَةٌ وَضَرُورَةٌ أَكِيدَةٌ، وَقَدْ حَلَفَ إِنْ لَمْ تَجِي إِلَيْهِ فِي هَذَا الوَقْتِ لاَ يَرْجَع يُصَاحِبُكِ وَلاَ يُصَادِقُكِ مُدَّةَ حَيَاتِهِ.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ:

فَلَمَّا سَمِعَتِ الصَّبِيَّةُ ذَلِكَ الكَلاَمَ أَطْرَقَتْ إِلَى الأَرْضِ، وَقَالَتْ: يَا أُمِّي، مَا تَنْظُرِي كَيْفَ أَنَا فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ الْمَيْشُومَةِ، زَوْجِي فِي البَيْتِ، وَالطَّعَامُ قُدَّامُهُ، وَقَدْ انْفَرَكَ العَصْرُ، وَكَيْفَ أَعْمَلُ؟

فَقَالَتِ الْحَجَّةُ[1] أُمّ سَنْجر: يَا سِتِّي، الرَّجُلُ حَلَفَ مَا لَمْ تَجْتَمِعِي قَبْلَ الْمَغْرِبِ إِلاَّ وَهْوَ مُنْغَاضٌ، وَلاَ يَرْجَعْ يَجْتَمِعْ بِكِ أَبَداً.

وَكَانَتْ هَذِهِ العَجُوزُ - كَمَا قَدَّمْنَا - مِنَ الصَّالِحَاتِ، شبْرُ قِيَادَةٍ عِنْدَهَا[2] أَحَبُّ إِلَيْهَا مِنْ ذِرَاعِ حَرِيرٍ أَطْلَسِي[3]، فَلاَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

قَالَ صَاحِبُ الْحَدِيثِ:

فَفَكَّرَتْ، وَدَقَّقَتْ فِي حِيلَتِهَا وَمَكْرِهَا فَانْفَتَحَ لَهَا[4] بَابٌ مِنْ مَكْرِهَا، وَانْقَدَحَتْ لَهَا حِيلَةٌ مِنْ سِرِّهَا، فَمَسَكَتْ حِسَّهَا، وَسَقَطَتْ صَرْخَةً قَوِيَّةً مُزْعِجَةً تُسْقِطُ الْحَوَامِلَ، وَرَمَتْ[5] رُوحَهَا إِلَى الأَرْضِ

1) في تكملة المعاجم: 59/3 حج: «حَجّة: عامّية: حاجّة».

2) في الأصل: «عندنا».

3) في الأصل: «أطلس»، وفي تكملة المعاجم: 65/7 طلس: «أطلسي: من الأطلس، من السّاتان».

4) في الأصل: «لها».

5) في الأصل: «أرمت».

فِي الْمَطْبَخِ عَلَى الرَّمَادِ، وَحَبَسَتْ نَفَسَهَا، فَاحْمَرَّ وَجْهُهَا وَزْرَقَّ لَوْنُهَا، فَانْقَلَبَتِ الْجَوَارِي صَارِخَاتٍ، وَصَاحَتْ العَجُوزُ أُمُّ سَنْجَر الدَّهْرِيَّةُ، وَقَالَتْ: يُوهْ يُوهْ، اِلْحَقُونَا بِقَلِيلِ يَانسُونْ[1]، يَا وَيْلِي، رُشُّوا عَلَيْهَا مِنَ الْمَاوَرْد.

وَسَمِعَ الْجُنْدِيُّ أَبُو طَنِين هَذَا الصِّيَاحَ، فَقَامَ يَجْرِي، وَهْوَ حَافِي، إِلَى الْمَطْبَخِ، فَوَجَدَ امْرَأَتَهُ عَلَى غَيْرِ اسْتِوَاءٍ، وَهْيَ لاَ تَعْقِلُ عَلَى نَفْسِهَا، فَانْزَعَجَ لَهَا انْزِعَاجاً عَظِيماً[2]، وَقَالَ: هَايْ سِتِّي خَاتُونْ[3]، إِيشْ خَبَرْ؟

فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ بِإِصْبِعِهَا، بَعْدَ أَنْ تَلَوَّتْ، أَنَّهُ قَدْ لَحِقَنِي مَغْصٌ وَقُولَنْجِيَّةٌ[4].

وَتَأَوَّهَتْ، وأَنَّتْ، وَأَشَارَتْ إِلَيْهِ بالوَدَاعِ، وَبَكَتْ، وَأَجْرَتْ دُمُوعَهَا عَلَى كَرَاسِي خُدُودِهَا، فَدُهِيَ الرَّجُلُ. وَقَالَتْ أُمُّ سَنْجَر: يَا خَوَنْد[5]،

---

1) في تكملة المعاجم: 206/1: «أنيسون: آنسون، ولم تضبط الكلمة في معجم فريتاج، وأَنيسون في محيط المحيط، واحدته انسونة وفي معجم فوك: أَنّيسون، والعامة تقول يانسون (محيط المحيط) ».

2) في الأصل: «عظيم».

3) في المعجم الوسيط: 221/1: «الخاتون: المرأة الشّريفة»، وفي معجم اللّغة العربيّة المعاصرة: 603/1 رقم 1536: «خاتون [مفرد]: ج خواتينُ: امرأة شريفة الأصل، عالية المقام، كان يُلقَّب بها نساء الملوك»، وفي المعجم الجامع: 78: «لقب عاهلات المغول وأميراتهم، وكذلك استخدم لقبا لسيّدات الطّبقة العالية، ويستعمل أحيانا بمعنى «السّيّدة». وقد جاء هذا اللّفظ «قتن» في الكتابات الأورخونيّة، واشتُقّ منه لفظ «قادون» أو «قادين» العثمانيّة، في حين استخدمه العرب في العهدين الأيّوبيّ والمملوكيّ، وجمعوه على خواتين».

4) كذا في الأصل، نسبة إلى القولنج، وهو، كما في تكملة المعاجم: 373/8 قلنج: «مغص، وجع في الأمعاء والتواء فيها».

5) في تكملة المعاجم: 244/4 خوند: «خَوَنْد: سيّدة، وهي خوَنْد أيضاً، أو خَوَنْدَة، أي أميرة»، وفي المعجم الجامع: 86: «خَوَنْد: الأمير، العظيم، السّيّدة، السّيّد، لقب احترام يطلق على الرّجال والنّساء على حدّ السّواء».

هَذَا قُولَنْجُ بِريحٍ غَلِيظٍ، عَقَدَ عَلَيْهَا تَحْتَ جَنْبِهَا، وَمَتَى زَادَ عَلَيْهَا قَتَلَهَا، وَمَاتَتْ بِلاَ مَحَالَةَ[1].

قَالَ:

فَبَكَى الْجُنْدِيُّ، وَقَالَ: مَا لِهَذَا الْقُولَنْجِ دَوَاء؟

ثُمَّ نَظَرَ إِلَى وَجْهِ زَوْجَتِهِ مُحْمَرّ أَزْرَق، وَعُيُونُهَا مُنْقَلِبَة، فَقَالَ: هَايْ، إِيشْ هَذَا مُصِيبَة مِيشُومْ؟ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ العَظِيمَ، لاَ حَوْلَ بِلاَ...[2]

وَدَقَّ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَنْجَر: يَا خَوَنْد، هَاذِي السِّتّ خَاتُون إِنْ لَمْ ...[3]، وَإِلاَهِي تَمُوت.

فَقَالَ الْمِسْكِينُ: هَايْ حَجَّة، إِيشْ هُو دَوَاهَا؟ مِسْكِينَة، قُولِي حَتَّى أَجِيبُهْ، وَلَوْ أَنِّي أَبِيعُ خَبَرِي.

فَقَالَتْ أُمُّ سَنْجَر: لاَ يَا خَوَنْد، هَذِي دَوَاهَا هَيِّنْ، وَهْيَ أَنَّهَا تَرُوح إِلَى الْحَمَّام، وَتَنْزِلُ فِي مَاءٍ سَخْنٍ حَارٍّ إِلَى تَحْتَ أَبْزَازِهَا[4]، وَتَقْعُد فِيهِ مِقْدَارَ سَاعَتَيْنِ ثَلاثَة إِلَى أَنْ يَتَحَلَّلَ هَذَا الرِّيحُ وَيَنْصَرِف، وَإِلاَّ هُوَ يَقْتُلُهَا.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ:

فَصَرَخَ الْجُنْدِيُّ عَلَى الْجَوَارِي، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُعَلِّقُوا الْقُدُورَ لِيُسَخِّنُوا الْمَاءَ.

---

1) كذا في الأصل، فصيحها: «لا محالة».

2) نقص في الأصل، ولعلّ الصّواب: «لا حول ولا قوّة إلاّ باللّه».

3) نقص في الأصل، والمقصود، كما هو واضح من السّياق: «إن لم تعالج».

4) كذا في الأصل، ولم نعثر لها على شرح، ونرجّح أنّها لفظة عامّيّة تعني «الثديّ، النّهود»، وفي معناها في تكملة المعاجم: 328/1 بزل: «بزّولة وجمعها بزازل وبزازيل: ثدي».

[فَقَالَتْ أُمُّ سَنْجَر]: ... [1] السِّتُّ مَا تَقْدِرُ تَجْلِسُ فِي قِدْرَةٍ، وَأَيَّمَا دَسْتٍ[2] يَسَعُهَا، وَمَتَى صَبِرِنَا حَتَّى يَنْجَهِزْ ذَلِكَ يَفُوتُ الفوتُ، وَيَفْرُطُ فِي الصَّبِيَّةِ الفَرْطُ[3]، لِحَلِّ نَفَسٍ يَنْزِلْ مَا يَطْلَعْ[4].

قَالَ:

فَلَطَمَ الْجُنْدِيُّ عَلَى مُخِّهِ وَوَجْهِهِ، وَنَتَفَ الشَّعْرَتَيْنِ الَّتِي طَلَعُوا فِي ذِقْنِهِ، وقَالَ لأُمِّ سَنْجَر: فَإِيشْ نَعْمَلْ؟

فَقَالَتْ: يَا خَوَنْد[5]، هَذِهِ مَا لَهَا فِي هَذِهِ السَّاعَةِ دَوَاء إِلاَّ مَنْ يُسْبِلُهَا[6] فِي وَسَطَ حَوْضِ الْحَمَّامِ أَرْبَع سَوَاعِي[7] زَمَانِيَّة.

فَصَاحَ الْجُنْدِيُّ عَلَى الْغُلاَمِ: شُدَّ الْخَيْل.

فَقَالَتْ أُمُّ سَنْجَر: أَعُوذُ بِاللَّه يَا خَوَنْد، إِيشْ كَانَتِ الْخِيلْ؟ مَا تَقْدِر السِّتُّ خَاتُون تَرْكَب لاَ خِيلْ، وَلاَ حَمِيرْ يهزُّوهَا، وَنَحْنُ مَا نُصَدِّقْ مَتَى يَسْكُنُ الْمَغْصُ، نْقُومْ نْثَوِّرُه وَتَنْتَهِي[8] فِي الطَّرِيقِ.

فَقَالَ الْجُنْدِيُّ: بِاللَّهِ يَا حَجَّة إِعْمَلِي الَّتِي تَعْرِفِيه، وَادْخُلْ بِهَا الْحَمَّامْ، واعْمَلْ مَعَهَا مَا يُخَلِّصُكِ مِنَ اللَّهِ، وَحَلاَوَتُكِ عِنْدِي أَرْمغان[9] كَبِيرْ.

---

1) نقص في الأصل، وأضفنا ما بين الحاصرتين ليستقيم السّياق.

2) في تكملة المعاجم: 350/4 دست: «دست: صحن»، والمقصود هنا وعاء، وزاد نقلا عن ابن بطّوطة: «أنّ الصّحون تسمّى بهذا الاسم في بعلبك».

3) في تكملة المعاجم: 47/8 فرط: «فرط فيها الفرط: ماتت».

4) في الأصل: «لحلّ نفس ما يزل ويزل ما يطلع».

5) في الأصل: «فقال يا ستّي».

6) في تكملة المعاجم: 28/6 سبل: «سبل وانسبل: أرخى وارتخى».

7) كذا في الأصل، لعلّها جمع «ساعة» في العامّيّة.

8) في الأصل: «تنهتي».

9) في معجم الألفاظ التّاريخيّة في العصر المملوكي: 14 رقم 23: «لفظ فارسيّ الأصل يعني الهديّة أو

قَالَ الْمُؤَلِّفُ:

فَنَهَضَتْ أُمُّ سَنْجر إِلَى الصَّبِيَّةِ وَقَالَتْ: بِسَلاَمَتِكِ يَا شَبَابْ مَلِيحِ، يَا حُرَّة، يَا مُعَدَّلَة[1]، يَا سِتَّ الأَقْمَارِ، وَيَا سِتِّ الْحَرَايِرِ[2] وَالْمُعَدَّلاَت، مَا فِيكِ[3] تَقُومِي إِلَى الْحَمَّامِ لَعَلَّ تَزُولُ[4] عَنْكِ هَذِهِ الآلاَمُ؟

قَالَ النَّاقِلُ:

فَفَتَحَتِ الصَّبِيَّةُ عَيْنَيْهَا[5] وَصَاحَتْ بِصَوْتٍ ضَعِيفٍ: وَالْكُمْ اِلْحَقُونِي بِمِلْحَفَةٍ.

فَأَتَوْا بِهَا إِلَى بَيْنِ يَدَيْهَا فَاتَّزَرَتْ وَالْتَفَّتْ وَتَكَمْكَمَتْ[6]، وصَاحَتْ عَلَى الْجَوَارِي، وَقَالَتْ لَهُمْ: اقْعُدُوا وَاجْعلُوا بَالْكُمْ مِنَ البَيْتِ. ثُمَّ إِنَّهَا اتَّكَتْ عَلَى يَدِ أُمِّ سَنْجر - جَعَلَهَا اللَّهُ مِنْ أَهْلِ سَقر - وَمَشَتْ قَلِيلْ قَلِيلْ، وَهْيَ تَئِنُّ، وَقَدْ تَعَرَّجَتْ وَتَأَوَّهَتْ وَلَحِقِهَا أَلْفُ شَيْب.

هَذَا، وَالْجُنْدِيُّ الْمَتْعُوسُ، صَاحِبُ السَّيْفِ وَالدَّبُوس، الَّذِي وَجْهُهُ عَبُوس، مَا نَفَعَهُ حِرْصُهُ عَلَيْهَا إِلاَّ نُحُوسْ، وَقَدْ جُعِلَ لَهُ قُرُونْ

الهبة»، وفي تكملة المعاجم: 118/11 يرمغان: «أرمغان: اليرمغن نسيج رفيع من الحرير، فارسيّة، ومعناه هديّة، ربّما سمّي به لأنه ممّا يُهدى، والمشهور على لسان العوامّ أرمغان»، وفي المعجم الجامع: 17: «أَرْمَغَان: الهديّة، هديّة المسافر، كانت شائعة في العهد العثماني، وما تزال في عامّيّة مدينة حلب».

1) في تكملة المعاجم: 158/7 عدل: «عَدْل: مستقيم، قويم، سويّ».

2) في تكملة المعاجم: 104/3 حرر: «امرأة حرَّة وهي المرأة العفيفة المحصَّنة، وهي السّيّدة الشّريفة وتجمع على أحرار وحرائر».

3) في الأصل: «فيكي».

4) في الأصل: «يزول».

5) في الأصل: «عينها».

6) في معجم متن اللّغة: 105/5 كمكم: «كمكم الشّيء: أخفاه وتغطّى به، وتكمكم في ثوب: تلفّف فيه، ولبس الكُمّة».

كَالْجَامُوسِ، وَهْيَ تُنَاكُ عَلَى قَرْنِهِ، لاَ قُصَّة وَلاَ فُلُوس، دُمُوعُهُ جَارِيَةٌ عَلَى وَجْهِهِ، وَهْوَ جَارِي خَلْفَهَا قَلِيلْ قَلِيلْ إِلَى أَسْفَلِ السُّلَمِ، فَصَاحَتِ الصَّبِيَّةُ عَلَيْهِ، وَقَالَتْ لَهُ: إِلَى أَيْنَ أَنْتَ خَلْفِي حَتَّى تَهْتِكَنِي بَيْنَ حَشْدٍ أَشِينكْ؟ اطْلَعْ أَنْتَ اقْعُدْ فِي بيتِكْ.

فَمَا قَدِرَ أَنْ يَخَالِفَهَا، وَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ يَا سِتّ خَاتُونْ.

ثُمَّ إِنَّهُ جلَسَ فِي البَيْتِ، وَغَطَّى الطَّعَامَ، وَهْوَ يَبْكِي وَيَقُولُ: اللَّه يُعَافِيكِ سِتْ خَاتُونْ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ يَا كَرِيم تَفُزِّي.

قَالَ:

وَرَاحَتِ الصَّبِيَّةُ مَعَ أُمِّ سَنْجر، وَمَا زَالُوا حَتَّى وَصَلُوا إِلَى القَاعَةِ الَّذِي فِيهَا الْجَمَاعَةُ، وَدَخَلَتِ الصَّبِيَّةُ عَلَيْهِمْ، وَكَشَفَتْ وَجْهَهَا، فَنظَرَتْ إِلَى أَكَابِرِ أَجْنَادِ الْحَارَةِ، وَرَأَتْ مَعْشُوقَهَا بَيْنَهُمْ، فَمَا تَغَيَّرَ لَوْنُهَا، بَلْ سَلَّمَتْ وَخَدَمَتْ[1]، فَقَامَ لَهَا كُلُّ مَنْ فِي الْمَجْلِسِ، فَجَلَسَتْ بِغَيْرِ احْتِشَامٍ، وَشَرِبَتْ، وَتَخَارَعَتْ[2]، ورَمَتْ رَوَائِدَ دَاخِلَهُ لأَنَّهَا كَانَتْ عَاقِلَةً لَبِيبَةً فَطِنَةً شَاعِرَةً، قَدْ قَرَتْ وَدَرَتْ، وَعَرَفَتِ الأَشْعَارَ، وَرَوَتِ الأَحَادِيثَ وَالأَسْمَارَ.

ثُمَّ إِنَّهَا انْطَبَعَتْ[3]، وَشَدَّتْ وَسَطَهَا، وَتَحَاشَتْ، وَرَقَصَتْ رَقْصَاتٍ نَوَادِرَ فَأَذْهَلَتِ القُلُوبَ، وَأَشْعَلَتِ الْخَوَاطِرَ، وَبَلْبَلَتِ العُقُولَ، وَحَيَّرَتِ

---

1) في تكملة المعاجم: 30/4 خدم: «يقال مثلاً: خدم برأسه: سلم بإشارة من رأسه. وسلّم وخدم بيده إلى الأرض خمس مرّات، سلّم وأظهر الطّاعة والخضوع بخفض يده إلى الأرض خمس مرّات».

2) في تكملة المعاجم: 62/4 خرع: «تخارع: تخالع».

3) في تكملة المعاجم: 16/7 طبع: «انطبع: كان ذا موهبة وقريحة، يقول الشّعر عفو الخاطر، وهي ضدّ تكلّف».

النَّوَاظِرَ. ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ جَلَسَتْ، وَمَسَكَتِ الدُّفَّ، وَنَقَرَتْ عَلَيْهِ سَبْعَ ضُرُوبٍ، ثُمَّ أَشَارَتْ تَصِفُ مَجْلِسَ الشَّرَابِ، وَتُغَنِّي[1]:

[من البسيط]

يَا مَجْلِســـاً ضَـــمَّ فِتْيَانـــاً غَطَارِفَةً
حَازُوا البَشَاشَـــةَ وَالإِنْعَـــامَ وَالكَرَمَا

وُجُوهُهُمْ فِيـــهِ[2] رَيْحَانٌ لِمَجْلِسِـــهِمْ
وَلَفْظُهُـــمْ لُؤْلُـــؤٌ فِي سِـــلْكِهِ نُظِمَا

هَذَا يُنَبِّـــهُ هَذَا بِالـــكَأْسِ[3] فِي لُطُفٍ
وَذَاكَ يَأْخُذُهَـــا مِـــنْ ذَاكَ مُبْتَسِـــمَا

قَالَ الْمُؤَلِّفُ:

ثُمَّ إِنَّهَا وَضَعَتِ الدُّفَّ وَأَخَذَتْ عُودْ مِنْ صَنْعَةِ الهُنُودِ، وَوَضَعَتْهُ فِي حِجْرِهَا كَأَنَّهُ مَوْلُودٌ، ثُمَّ إِنَّهَا أَصْلَحَتْ أَوْتَارَهُ، وَسَارَّتْهُ سار غَرِيبٍ، ثُمَّ ضَرَبَتْ بِهِ ضَرَائِبَ مُخْتَلِفَةِ الأَلْوَانِ، وَسَلَّكَتْهُ طَرَائِقَ وَأَلْحَانَ حَتَّى حَيَّرَتِ العُقُولَ، وَصَيَّرَتِ العَاقِلَ بَهْلُولَ، ثُمَّ عَادَتْ إِلَى الضَّرْبِ الأَوَّلِ، وَأَشَارَتْ تَقُولُ:

[من الطّويل]

إِذَا شِـــئْتُمْ أَنْ تَهجُرُونِـــي تَرَفَّقُـــوا
إِلَى أَنْ يَعُـــودَ القَلْبُ ثُـــمَّ تَحَكَّمُوا

1) الأبيات لأبي نواس، وهي في ديوانه (فاعور): 474.

2) كذا في الأصل وفي الدّيوان.

3) ي الدّيوان: «ما زال يثنيه دلّ الكأس».

وَشِـــدَّةُ أَشْـــوَاقِي إِلَيْكُـــمْ وَحَرُّهَا

يُخْبِـــرُ عَنِّـــي أَنَّ قَلْبِـــي جَهَنَّـــمُ

وَصَلْتُمْ، قَطَعْتُـــمْ، قَصْدُكُمْ تَقْتُلُونَنِي

يَحُـــلُّ لَكَـــمْ قَتْلِـــي، وَإِنِّـــيَ مُغْرَمُ

تَعَشَّـــقْتُكُمْ طِفْلاً، وَلَمْ أَدْرِ مَا الْهَوَى

فَـــلاَ تَقْتُلُونِـــي إِنَّنِـــي مُتَعَلِّـــمُ

وَمِـــنْ عَجَبِي أَنِّي أَرَى مَا يَسُـــوؤُنِي

وَأَسْـــمَعُ أَقْـــوَالاً، وَلاَ أَتَكَلَّـــمُ

قَطَعْتُمْ فُـــؤَادِي بِالْقَطِيعَـــةِ وَالْجفَا

فَيَـــا لَيْتَكُـــمْ دَاوَيْتُمْ مَـــا جَرَحْتُمُ

رَضِيتُـــمْ بِعَـــادِي وَذُلِّـــي وَغُرْبَتِي

فَيَا لَيْتَ شِـــعْرِي مَا بِذُلِّـــي رَضِيتُمُ؟

قَالَ الْمُؤَلِّفُ:

فَلَمَّا فَرَغَتْ مِنْ إِنْشَادِهَا رَقَصَتِ الْجَمَاعَةُ بِالبَاطَاتِ، وَطَرِبُوا مِنْ حُسْنِ النَّغَمَاتِ. ثُمَّ دَارَتْ عَلَيْهِمْ الكَاسَاتُ وَالطَّاسَاتُ، وَنَادَمَتْهُمْ السِّتُّ خَاتُون بِحُسْنِ الْمُنَادَمَاتِ. ثُمَّ إِنَّهَا جَسَّتْ أَوْتَارَ العُودِ، وَضَرَبَتْ بِهِ نَغَمَاتٍ وَأَلْحَانْ، وَحَرَّكَتْهُ أَنْدَابْ وَأَقْبَانْ، وَعَادَتْ إِلَى الضَّرْبِ الأَوَّلِ، وَغَنَّتْ تَقُولُ[1]:

---

1) نسبت الأبيات الأوّل والثّاني والرّابع إلى تاج الدّين التّميميّ الصّرخديّ في ذيل مرآة الزّمان: 3/155-156.

[من الكامل]

إِنْ كَانَ قَصْـــدِي غَيْركُمْ يَا سَـــادَتِي

لاَ نِلْـــتُ مِنْكُـــمْ بُغْيَتِـــي وَإِرَادَتِي

مَـــنْ ذَا الَّذِي حَازَ الْجَمَالَ سِـــوَاكُمُ

فَأُحِبُّـــهُ وَتَقُـــومُ فِيـــهِ قِيَامَتِـــي؟

هَيْهَـــات أَهْـــوَى غَيْرَكُـــمْ وَأَنَـــا

الَّذِي أَفْنَيْتُ فِيكُمْ مُهْجَتِي وَحُشَاشَتِي

تَاللَّـــهِ لاَ أَنْسَـــى صُحْبَـــةَ سَـــادَةٍ

أَحْسَـــانُهُمْ تَمْحُـــو قَبِيحَ إِسَـــاءَتِي

مَنْ يَشَـــا يَسْـــمَعْ حَالَ رَبَّاتِ الْهَوَى

يَأْتِـــي لأُسْـــمِعَهُ صَحِيـــحَ رِوَايَتِي

أَرْوِي مِنَ الشَّـــوْقِ الْمُبَـــرَّحِ وَالْهَوَى

عَـــنْ لَوْعَتِـــي وَتَوَلُّهِـــي وَكَآبَتِـــي

عَنْ قَـــرْحِ أَجْفَانِي وَفَيْـــضِ دُمُوعِهَا

عَنْ طُولِ حُزْنِـــي، وَعَنْ دَوَامِ نِيَاحَتِي

عَمَّـــا أُلاَقِي مِنْ عَذُولِـــي فِي الْهَوَى

يَرْجُو أُبْـــدِي لَكَ سَـــلْوَتِي وَمَلاَلَتِي

عَـــنْ لَيْلَةٍ جَـــاءَ الْحَبِيـــبُ يَزُورُنِي

فَجَـــــاءَ رَقِيبُـــــهُ لِزِيَارَتِـــي

فَـــإِنْ أَغْـــرَاكَ الشَّـــكُّ فَبِمَـــا قُلْتُهُ

وَرَوَيْتُـــهُ، فَانْظُـــرْ فُدِيتُـــكَ حَالَتِي

قَالَ الرَّاوِي:

فَطَرِبُوا الْجَمَاعَةَ طَرَباً عَظِيماً، زَائِداً عَنْ حَدِّ القِيَاسِ لَمَّا جُلِّيَتْ عَلَيْهِم الْمَلِيحَةُ وَالكَاسَاتُ، وَبَردَتْ مِنْهُمُ الْحَرَكَاتُ وَالْحَوَاسُّ، وَبَقِيَ كُلٌّ مِنْهُمْ فِي أَفْكَارٍ وَوَسْوَاسٍ، وَدَارَ بَيْنَهُمْ الكَاسُ وَالطَّاسُ، وَشَعْشَعَتِ الرُّؤُوسُ، وَحَمِيَتِ الأَنْفَاسُ، وَاحْمَرَّ وَجْهُ الْمَلِيحَةِ، وَقَدْ سَكِرَتْ وَتَمَايَلَتْ عَلَى الْجُلاَّسِ، وَبَقِي فِي خَاطِرِ كُلٍّ مِنْهم، مَنْ أَخَذَهَا وَعَنَّقَ وَبَاسَ، وَاخْتَلَى مَعَهَا فِي الْخَلْوَةِ، وَقَلَعَ اللِّبَاسَ[1].

هَذَا، وَهْيَ تَضْرِبُ بِالعُودِ حَتَّى أَطْرَبَتِ القُيَّامَ وَالقُعُودَ، وَغَيَّبَتْهُمْ مِنَ الطَّرَبِ عَنِ الوُجُودِ، وَصَارَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَنْ وَحْدِهِ[2] مَفْقُودٌ، وَهْيَ مَعَ ذَلِكَ تُنْشِدُ، تَقُولُ[3]:

[من الطّويل]

تُرَى، هَلْ عَلِمْتُمْ مَا لَقِيتُ مِنَ الوَجْدِ
لَقَدْ جَلَّ[4] مَا أُخْفِيهِ مِنْكُمْ وَمَا أُبْدِي

فِرَاقٌ وَوَجْدٌ وَاشْتِيَاقٌ وَغُرْبَةٌ[5]
تَجَمَّعَتِ[6] البَلْوَى عَلَى وَاحِدٍ فَرْدِ

رَعَا اللَّهُ أَيَّاماً تَقَضَّتْ بِقُرْبِكُمْ
كَأَنِّي بِهَا قَدْ كُنْتُ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ

---

1) في الأصل: «الباس».

2) كذا في الأصل، ولعلّ الصّواب: «وجوده».

3) الأبيات للبهاء زهير، وهي في ديوانه (المعارف): 72، وديوانه (صادر): 87.

4) في الأصل: «حل».

5) في الدّيوان: «لوعة».

6) وفيه: «تعدّدت».

وَكُنْتُ لَكُــمْ عَبْداً، وَلِلْعَبْــدِ حُرْمَةٌ
فَمَــا لَكُمُ ضَيَّعْتُــمُ حُرْمَــةَ العَبْدِ؟
وَمَعْشُــوقُ نَارَنْجٍ يُرِيــكَ احْمِرَارُهُ
خُدُودَ عَــذَارَى بِالعِتَــابِ تُضَرَّجُ
وَمَا بَــالُ كُتْبِــي لاَ يُــرَدُّ جَوَابُهَا؟
فَهَلْ أُكْرِمَــتْ أَنْ لاَ تُقَابَــلَ بِالرَّدِّ؟
فَأَيْــنَ حَــلاَوَاتُ الرَّسَــائِلِ بَيْنَنَا؟
وَأَيْــنَ أَمَــارَاتُ الْمَحَبَّــةِ وَالوُدِّ؟
وَمَا لِــيَ ذَنْــبٌ يَسْــتَحِقُّ عُقُوبَةً
وَيَا لَيْتَهَا كَانَتْ بِشَــيْءٍ سِوَى الصَّدِّ
وَيَا لَيْــتَ عِنْدِي كُلَّ يَوْمٍ رَسُــولُكُمْ
فَأُسْــكِنُهُ قَلْبِــي وَأُوطِي لَــهُ[1] خَدِّي
وَإِنِّــي لأَرْعَاكُــمُ فِــي[2] كُلِّ حَالَــةٍ
وَحَقُّكُــمُ أَنْتُــمْ أَعَزُّ الــوَرَى عِنْدِي
عَلَيْكُمْ سَــلاَمُ اللَّــهِ، وَالبُعْــدُ بَيْنَنَا
وَبِالرُّغْــمِ مِنِّي أَنْ أُسَــلِّمَ مِــنْ بُعْدِ

قَالَ:

فَدَخَلَتْ عَلَى الْحَاضِرِينَ الأَفْرَاحُ، وَزَالَتْ عَنْهُمُ الأَتْرَاحُ، وَعَمَّهُمْ السُّرُورُ، وَقَدْ سَكِرُوا مِنَ الرَّاحِ وَتَنَاوُلِ الأَقْدَاحِ، وَشُرْبِ

1) وفيه: «عيني وأفرشه».
2) كذا في الأصل، وفي الدّيوان: «على».

الْخُمُورِ. هَذَا، وَالْمَلِيحَةُ قَدْ أَعْجَبَهَا الْمَقَامُ لَمَّا رَأَتْ حُسْنَ مَا فِيهِ مِنَ الفَاكِهَةِ وَالْمُدَامِ، فَأَخَذَتِ العُودَ، وَضَرَبَتْ بِهِ طَرَائِقَ حِنِّيَهْ وَأَنْغَامْ[1] حَتَّى حَيَّرَتِ العُقُولَ وَالأَفْهَامَ، ثُمَّ أَشَارَتْ تُغَنِّي، وَتَقُولُ هَذِهِ الأَبْيَات[2]:

[من الكامل]

فِي مَجْلِسٍ جَعَلَ السُّرُورُ جَنَاحَهُ
سِتْراً لَهُ مِنْ سَائِرِ[3] الْحِدْثَانِ
لاَ تَسْمَعُ الأَسْمَاعُ فِي جَنَبَاتِهِ[4]
إِلاَّ نُطْقَ أَلْسِنَةِ[5] العِيدَانِ
أَوْ صَوْتُ تَصْفِيقِ [الْجَلِيسِ تَطَرُّباً][6]
وَبُكَاءُ خَابِيَةٍ، وَضِحْكُ قَنَانِي

قَالَ الْمُؤَلِّفُ:

ثُمَّ شَرِبَتْ وَنَزَلَتْ عِنْدَ مَعْشُوقِهَا فِي ثَلاَثَةِ أَقْدَاحٍ بِالقَدَحِ الكَبِيرِ، ثُمَّ زَحَفَتْ إِلَيْهِ، وَالعُودُ مَعَهَا، لاَ تَبْعُدُ عَنْهُ فِي القَاعِ وَالدُّخُولِ، وَشَرِبَتْ نُزُولَهَا قَدَحْ بِقَدَحٍ. ثُمَّ مَلأَ الْحَبِيبُ قَدَحْ، وَأَشَارَ إِلَيْهَا أَنْ تُغَنِّي لَهُ عَلَى القَدَحِ، فَابْتَدَأَتْ عَلَى العُودِ بِنَغْمَةٍ عَرَبِيَّةِ الشَّكْلِ، ثُمَّ

---

1) في الأصل: «أنغام».
2) الأبيات لأبي نواس، وهي في ديوانه (فاعور): 523.
3) في الدّيوان: «ناظر».
4) وفيه: «لا يطرق الأسماع في أرجائه».
5) وفيه: «ترنّم ألسن».
6) في الأصل: «بوقع نقرهم»، وأثبتنا ما في الدّيوان.

غَيَّرَتِ الشَّكْلَ وَالنَّغْمَةَ، وَلَعِبَتْ بِالعُودِ، وَتَحَاشَتْ بِهِ، وَسَلَكَتْ بِهِ طَرَائِقَ عِدَّةً، وَغَيَّرَتْ أَنْغَامَ عَرَبِيَّةً، وَحَرَكَاتٍ عَجِيبَةٍ، شَيْءٌ مِثْل السِّحْرِ مَا يَهْتَدِي[1] إِلَيْهِ الْجِنُّ، إِلَى أَنْ أَطْرَبَتْ الْجَمَادَ، وَأَدْهَشَتِ الْعُقُولَ، وَأَفْتَنَتِ العِبَادَ، وَحَيَّرَتِ النَّوَاظِرَ، وَخَبَّلَتِ الْخَوَطِرَ، وَصَارَ كُلُّ أَحَدٍ غَائِبٌ وَهْوَ حَاضِرٌ، ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى النَّغْمَةِ الأُولَى، مَا كَأَنَّهَا تَغَيَّرَتْ، وَأَنْشَدَتْ تَقُولُ[2]:

[من المتقارب]

رَأَيْتُ الْهِلاَلَ وَوَجْهَ الْحَبِيبِ
فَكَانَا هِلاَلَيْنِ عِنْدَ النَّظَرْ

فَلَمْ أَدْرِ أَيُّهُمَا كَامِلاً[3]:
هِلاَلُ السَّمَا أَمْ[4] هِلاَلُ البَشَرْ؟

فَلَوْلاَ التَّوَرُّدُ فِي الوجْنَتَيْنِ
وَمَا رَاعَنِي مِنْ سَوَادِ الشَّعَرْ

لَكُنْتُ أَظُنُّ الْهِلاَلَ الْحَبِيبَ
وَكُنْتُ أَظُنُّ الْحَبِيبَ القَمَرْ

---

1) في الأصل: «يهدي».

2) نسبت الأبيات الأربعة الأولى إلى الخبزأرزّي في: النّجوم الزّاهرة: 277/3، ومعجم الأدباء: 2747/6، ووفيات الأعيان: 378/5، وديوان الصّبابة (مخطوطة المكتبة الوطنيّة بباريس رقم 5915): ق 164 ب، والوافي بالوفيات: 36/27، ونهاية الأرب: 32/21، ونسبت إلى الخيزرانيّ (نحسبها تصحيف الخبز أرزّي) في تزيين الأسواق: 212/2، وهي بدون نسبة في المحبّ والمحبوب: 1/211ـ212 رقم 367، وعجز البيت الأوّل بدون نسبة في حادي الأظعان النّجديّة إلى الدّيار المصريّة: 27، والأبيات الأربعة له في: ديوانه: 186/2، وفي مستدرك ديوانه: 108، رقم 42.

3) في مصادر التّحقيق: «فلم أدر من حيرتي فيهما».

4) وفيها: «هلال الدّجى من... ».

فَهَــذَا يَغِيــبُ، وَذَا حَاضِــرٌ
وَمَا مَــنْ يَغِيــبُ كَمَنْ قَــدْ حَضَرْ

حَبِيبِــي مَلِيــحٌ بِوَجْــهٍ صَبِيــحٍ
وَلَــوْلاَهُ مَــا حَبَبْــتُ النَّظَــرْ

قَالَ:

فَشَرِبَ عَزِيزٌ القَدَحَ، وَقَدْ طَرِبَ طَرَباً شَدِيداً مَا عَلَيْهِ مِنْ مَزِيدٍ، ثُمَّ مَلأَ القَدَحَ ثَانِيَةً، وَأَشَارَ إِلَيْهَا أَنْ تُغَنِّي لَهُ عَلَيْهِ.

قَالَ: فَغَيَّرَتِ النَّغْمَةَ الأُولَى، ثُمَّ أَشَارَتْ إِلَيْهِ، وَأَنْشَدَتْ تَقُولُ:

[من الخفيف]

لِــي حَبِيــبٌ كَمَــا يُقَــالُ حَبِيبٌ
كَاتِــبٌ حَاسِــبٌ ظَرِيــفٌ أَدِيبُ

حَسَــنُ الْمُقْلَتَيْــنِ، عَــذْبُ الثَّنَايَا
تَحْــتَ أَصْدَاغِــهِ بَنَــانٌ عَجِيبُ

يَا سَادَة، سَرَتْ بَيْنَهُمْ الكَاسَاتُ وَالطَّاسَاتُ، وَعَمِلَتْ فِي رُؤُوسِهِمْ الْخَمْرُ وَالسُّكْرُ. ثُمَّ أُحْضِرَتْ مِجْمَرَةٌ قَدْ حُشِيَتْ نَرْجِساً وَآساً حَتَّى خَفِيَتْ نَارُهَا، وَكَانَ الدُّخَانُ يَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِهَا، فَأَخَذَتِ العُودَ، وَجَسَّتْ أَوْتَارَهُ، ثُمَّ إِنَّهَا أَشَارَتْ، وَجَعَلَتْ تَقُولُ[1]:

[من المتقارب]

أَحَــبُّ امْــرِئٍ حَبَّــتِ الأَنْفُــسِ
وَأَطْيَــبُ مَا شَمَّــهُ مِعْطَــسُ

---

1) نسب البيتان إلى المتنبي في بغية الطّلب: 679/2، وشرح ديوان المتنبّي للعكبري: 204/2 رقم 132، وهما في ديوانه (بشرح البرقوقي): 314/2.

وَنَشْـــرُ مِنَ الْمِسْـــكِ، لَكِنّهَـــا[1]
مَجَامِـــرُهُ الآسُ وَالنَّرْجِـــسُ

قَالَ:

فَتَعَجَّبَتِ الْجَمَاعَةُ مِنْ حُسْنِ نَظْمِهَا وَجَوْدَةِ فَهْمِهَا. ثُمَّ إِنَّ عَزِيز أَخَذَ تُرُنْجَةً مِنَ الْمَقَامِ، وَقَالَ: يَا سَيِّدَةَ الْمِلاَحِ، يَا مَنْ لَهَا وَجْهٌ كَوَجْهِ الصَّبَاحِ، أَسْمِعِينِي فِي هَذِهِ الأُتْرُنْجَةِ شَي مِنْ أَشْعَارِكِ الْحِسَانِ. فَأَنْشَدَتْ تَقُولُ:

[من السّريع]

وَأَحْـــوَرُ يَزْهُـــو عَلَى الْحُـــورِ
تَفْدِيـــهِ[2] نَفْسِـــي كُلَّ مَحْـــذُورِ
حَيَّـــا فَأَحْيَانِـــي بِأُتْرُنْجَـــةٍ
كَأَنَّهَـــا وَجْـــهُ مَهْجُـــورِ
فَخِلْتُهَـــا مِـــنْ طِيبِهَـــا مِسْكَـــةً
مَغْلُوكَـــةَ النَّشْـــرِ بِكَافُـــورِ

قَالَ صَاحِبُ الْحَدِيثِ:

فَأُعْجِبَتِ الْجَمَاعَـةُ مِـنْ ذَلِـكَ كُلَّ العَجَـبِ، وَاهْتَزُّوا مِـنَ الفَرَحِ وَالطَّرَبِ. ثُـمَّ إِنَّ عَزِيـزاً وَضَـعَ الأُتْرُنْجَةَ مِـنْ يَـدِهِ، وَأَخَـذَ نَارَنْجَـةً وَقَـالَ: إِيشْ قُلْـتِ فِـي هَـذِهِ يَا وَجْـهَ القَمَـرِ، وَصَاحِبَـةِ الْجِيـدِ الأَزْهَرِ وَالْخَـدِّ الأَحْوَرِ؟

---

1) في مصادر التّحقيق: «النّدّ لكنّما»».

2) في الأصل: «تفبه».

قَالَ:

فَعَادَتْ إِلَى ضَرْبِ العُودِ حَتَّى صَيَّرَتِ الْحَاضِرَ مَفْقُوداً، ثُمَّ إِنَّهَا أَنْشَدَتْ، وَجَعَلَتْ تَقُولُ[1]:

[من الكامل]

بَاكِرْ صَبُوحَكَ مِنْ سُـــلَافِ الْقَهْوَةِ[2]
[وَادْخُلْ بِسَمْعِكَ صَرَفَات بِـ] النَّغْمَةِ
وَانْظُرْ إِلَى النَّارَنْجِ فِـــي الطَّبَقِ الَّذِي
يَحْكِـــي[3] تَدَانِي وجْنَةٍ مِـــنْ وجْنَتِي
وَمِـــنَ العَجَائِـــبِ أَنْ[4] تُلَهَّـــبُ[5] بَيْنَنا
جَمَـــرَاتُ نَـــارٍ تُجْتَنَى مِـــنْ جَنَّتِي[6]

قَالَ:

ثُمَّ إِنَّهَا غَيَّرَتِ النَّغْمَةَ عَلَى العُودِ، وَسَلَكَتْ نَغَماً غَيْرَهَا، وَغَنَّتْ، وَجَعَلَتْ تَقُولُ[7]:

[من الرّجز]

كَأَنَّمَـــا النَّارَنْـــجُ لِلرُّبَّـــاتِ[8]
ثُـــدِيُّ أَبْكَـــارٍ مُخَـــدَّرَاتِ

---

1) الأبيات لابن حمديس الصّقلّي، وهي في ديوانه (صادر): 69 رقم 43.

2) في الأصل: «القهوتي».

3) في الأصل: «وادخل بسمعك صرفات النّغمتي»، ولا معنى له، وأثبتنا ما في الدّيوان.

4) في الدّيوان: «أبدى».

5) وفيه: «تضرم».

6) وفيه: «جنّة».

7) نسبت الأبيات إلى الثّعالبي في: من غاب عنه المطرب: 73، وهي في: ديوانه (خزانة التّراث): 34 رقم 34، وديوانه (الحلو، المورد، مج 6، عدد 1، 1977): 150 رقم 37.

8) في الأصل: «للزناتي»، وفي تكملة المعاجم: 64/5 ربّ: «المربّى والمربّب: عقيد الثّمار».

مُزَعْفَـــرَاتٍ وَمُعَصْفَـــرَاتِ

أَوْ أُكَـــرُ الكَيْمَخْـــتِ[1] مُذْهَبَـــاتِ

قَـــدْ ضُمِّخَـــتْ بِالعَنْبَـــرِ الفُتَـــاتِ

نَسِـــيمُهَا يَزِيـــدُ فِـــي الْحَيَـــاةِ

قَالَ:

ثُمَّ إِنَّهَا غَيَّرَتِ النَّغْمَةَ، وَأَنْشَأَتْ تَقُولُ[2]:

[من المتقارب]

أَلاَ فَاسْقِنِـــي[3] الـــرَّاحَ فِـــي جَنَّـــةٍ

طَرَائِـــفُ أَثْمَارِهَـــا[4] تُزْهِـــرُ

كَـــأَنَّ تَمَاثِيـــلَ نَارَنْجِنَـــا

إِذَا مَـــا تَأَمَّلَـــهُ الْمُبْصِـــرُ

دَبَابِيـــسُ مِـــنْ ذَهَـــبٍ، زَانَهَـــا

مَقَابِـــضُ كَيْمَخِهَـــا أَخْضَـــرُ[5]

قَالَ:

فَأَخَذَ الْجَمَاعَةَ الانْبِهَارُ، وَدَخَلَ عَلَيْهِمْ الفَرَحُ وَالاسْتِبْشَارُ مِنْ شُرْبِ الرَّاحِ وَضَرْبِ الأَوْتَارِ. ثُمَّ إِنَّ الصَّبِيَّةَ غَيَّرَتِ النَّغْمَةَ، وَانْدَفَعَتْ تُغَنِّي وَتُنْشِدُ، تَقُولُ:

---

1) في تكملة المعاجم: 181/9: «كيمخت، فترسيّة: نوع من الجلد».

2) الأبيات لابن وكيع التّنّيسيّ، وهي في ديوانه: 27 رقم 67.

3) في الدّيوان: «سقّني».

4) وفيه: «طرائف أزهارها».

5) في الدّيوان: «كيمختها».

[من مخلّع البسيط]

وَشَــادِنٍ أَبْصَــرْتُ فِــي كَفِّــهِ نَارَ
نْجَــةً أَذْكَــى مِــنَ العَنْبَــرِ
فَقُلْــتُ: يَا قَــوْمُ، تَعَالُــوا انْظُرُوا
بَــدْرَ الدُّجَى يَلْعَــبُ بِالْمُشْــتَرِي

ثُمَّ غَيَّرَتِ النَّغْمَةَ، وَجَعَلَتْ تَقُولُ:

[من السّريع]

مَــرَّ بِنَــا ظَبْــيٌ فِــي كَفِّــهِ نَارَ
نْجَــةً مِــنْ صُنْعَــةِ البَــارِي
كَأَنَّهَــا فِــي خَــدِّهِ جَمْــرَةٌ
مِــنْ فَــوْقِ مَــاءٍ لَيْــسَ بِالْجَارِي
فَظَلْــتُ فِــي فِكْــرٍ وَفِــي حَيْرَةٍ
كَيْــفَ اجْتِمَــاعُ الْمَــاءِ وَالنَّــارِ؟

قَالَ:

ثُمَّ إِنَّ عَزِيز مَدَّ يَدَهُ، وأَخَذَ مِنَ اللَّيْمُونِ الْمُخَتَّنِ وَاحِدَةً، وَقَالَ: هَلْ قُلْتِ[1] فِي هَذِهِ اللَّيْمُونَةِ شَيْ، فَأَسْمِعِينَا إِيَّاهُ؟

فَقَالَتْ: حُبّاً وَكَرَامَةً يَا نُورَ عَيْنِي، وَيَا ثَمْرَةَ فُؤَادِي.

ثُمَّ إِنَّهَا ضَرَبَتْ بِالعُودِ، وَقَدْ أَصْلَحَتْ أَوْتَارَهُ، وَأَنْشَدَتْ[2]، وَجَعَلَتْ تُغَنِّي، تَقُولُ:

---

1) في الأصل: «قلتي».
2) في الأصل: «أنشأت».

[من الرّجز]

خَتَــمَ الْمُخَتِّمُ قَبْــلَ يَسْــبِكْ تِبْرَهُ
حَتَّــى الثَّمَانِــي الرُّبَاعِي فِي الشَّجَرْ

مُحْمَــرَّةٌ كَالْجَمْرِ، تَلْفَــحُ كَالعَقِيقِ
يُطْفِيــهِ مِثْــلَ الأُكَــرْ

أَنْشَــدْتُ مَنْ أَهْدَاهُ لِي فِــي صُحْبَةٍ
مَقْرُونَــةٍ بِالعَيْشِ فِي وَقْتِ السَّــحَرْ

حَيِّي الْمُخَتِّــمَ وَاسْــقِنِي مَخْتُومَةً
فِي لَوْنِــهِ حَبَبٌ يَــا وَجْــهَ القَمَرْ

قَالَ:

فَقَالَتِ الْجَمَاعَةُ: أَحْسَنْتِ يَا نُزْهَةَ الزَّمَانِ، وَيَا فَرِيدَةَ العَصْرِ وَالأَوَانِ.

ثُمَّ إِنَّ عَزِيز أَخَذَ فِي يَدِهِ شَيْئاً مِنَ اللَّوْزِ، وَأَشَارَ إِلَيْهَا وَقَالَ: أَسْمِعِينَا فِيهِ شَيْئاً.

فَقَالَتْ: بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ.

ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ:

[من مخلّع البسيط]

أَهْــدَى لَنَــا أَطْيَــبَ الْهَدَايَــا
لَــوْزاً فَيَــا حُسْنَــهُ هَدِيَّــهْ

إِذَا دَقَقْنَــاهُ كَــانَ أَطْــرَى
دُهْنــاً مِــنَ العَيْشَــةِ الرَّضِيَّــهْ

نُكْهَتُـــــهُ رَوْنَـــــقٌ بَهِـــــيٌّ

فَـــكُلُّ نَفْـــسٍ لَـــهُ شَهِيَّـــــهْ[1]

قَالَ:

فَاسْتَحْسَنَ مَنْ حضَرَ كَلاَمَهَا. ثُمَّ إِنَّ عَزِيز أَخَذَ شَيْ مِنَ الْجوْزِ، وَقَالَ: أَسْمِعِينِي فِيهِ شَيْ.

فَقَالَتْ: حُبّاً وَكَرَامَةً يَا حَبِيبِي، يَا مَنْ هُوَ مِنَ الوَرَى نَصِيبِي.

ثُمَّ غَنَّتْ تَقُولُ[2]:

[من البسيط]

تَأَمَّـــلِ الْجوْزَ فِـــي أَطْبَاقِـــهِ لِتَرَى

رِوَاقَ[3] حُسْـــنٍ عَلَيْهِ غَيْـــرُ مَحْطُوطِ

كَأَنَّـــهُ أُكَرٌ مِـــنْ صَنْـــدَلٍ خُرِطَتْ

فِيهَـــا بَدَائِعُ مِـــنْ نَقْـــشٍ وَتَخْطِيطِ

قَالَ:

فَحَارُوا الْجَمَاعَةُ مِنْ حُسْنِ صَنْعَتِهَا، وَقُوَّةِ بَرَاعَتِهَا. ثُمَّ إِنَّ عَزِيز أَخَذَ بِيَدِهِ بُنْدُقَةً، وَقَالَ لَهَا: يَا سِتَّ الْمِلاَحِ وَوَجْهَ الصَّبَاحِ، مَا تَقُولِي فِي هَذِهِ البُنْدُقَةِ؟

فَقَالَتْ: كُل خَيْرٍ.

ثُمَّ إِنَّهَا أَنْشَدَتْ، وَجَعَلَتْ تَقُولُ:

---

1) كذا في الأصل، ولعلّ الصّواب: «شاهيه».

2) نسب البيتان إلى أبي الفرج بن هندو في نزهة الأنام في محاسن الشّام (سنشير إليه لاحقا بنزهة الأنام): 347.

3) في الأصل: «راووق».

[من السّريع]

إنَّ يُبْسَ البُنْدُقِ فَهْوَ الَّذِي
تُبْطِلُ السَّوْدَاءَ رُطُوبَاتُهُ
قُلُوبُهُ لِلنّاسِ مَفْتُوحَةٌ
تُنْبِيكَ بِالْخَيْرِ مَسَرَّاتُهُ
وَقِشْرُهُ لِلْمَضْغِ يُرْجَى كَمَا
يَسْتَوْقِفُ النَّاظِرَ دَوْحَاتُهُ
مُصَنْدَلُ الأَثْوَابِ يَا حَبَّذَا
مُصَنْدَلٌ نَعْتُهُ عَصَاتُهُ
قَدْ ذَكَّرَنِي بَاطِنُهُ يَاقَتِي
وَظَاهِرُهُ مِنْهُ مُشَاشَاتُهُ
سَمْرَاءَ كَالأَسْمَرِ مَعْشُوقَةٌ
مِعْطَفُهَا مِنْهُ وَطَعْنَاتُهُ
وَزَادَنِي تَصْحِيفُهُ بَيْدَقاً
تَعَدَّدَتْ بِالْمَشْيِ نَقْلاَتُهُ
لِلَّهِ مَنْ أَهْدَاهُ لِي فِي وَقْتِهِ
مِنْ قَبْلِ أَنْ تَذْهَبَ لَذَّاتُهُ

قَالَ:

فَرَمَى عَزِيزٌ البُنْدُقَةَ مِنْ يَدِهِ، وأَخَذَ مِنَ الفُسْتُقِ قَلِيلْ، وَقَالَ: مَا تَقُولِينَ فِيهِ؟

فَأَجَابَتْهُ فِي الْحَالِ، وَارْتَجَزَتْ، وَجَعَلَتْ تَقُولُ:

[من الكامل]

انْظُـــرْ لِفُسْـــتُقِنَا البَهِـــيِّ كَأَنَّـــهُ
لَمَّـــا اسْـــتَتَمَّ وَحَـــانَ مِنْـــهُ قِطَافُهُ
دُرٌّ يَـــرُوقُ النَّاظِرِيـــنَ لِحُسْنِـــهِ
ضُمَّـــتْ عَلَيْـــهِ صِيَانَـــةً أَصْدَافُـــهُ

قَالَ:

فَرَمَى عَزِيزٌ الفُسْتُقَ، وَأَخَذَ وَرْدَةً مِنْ طَبَقِ الفَاكِهَةِ، ثُمَّ شَمَّهَا، فَمَا أَمْهَلَتْهُ دُونَ أَنْ أَنْشَدَتْ، تَقُولُ:

[من السّريع]

صُنْتُ مَـــنْ أَهْـــوَاهُ عَلَى سُـــكْرِي
وَرَأَيْتُـــهُ قَـــدْ مَـــالَ فِـــي حِجْرِي
بِكَـــفٍّ وَرْدٍ أَحْمَـــرَ بَعْضُـــهُ
وَبَعْضُـــهُ أَبيَـــضُ كَالـــدُّرِّ
فَـــازْدَادَ رِيـــحُ الـــوَرْدِ فِـــي كَفِّهِ
كَمَـــا يَزِيـــدُ النَّـــدُّ فِـــي الْجَمْـــرِ

قَالَ:

فَلَمَّا سَمِعَ عَزِيزٌ هَذَا الإِنْشَادَ، قَبَّلَ الوَرْدَةَ الَّتِي فِي كَفِّهِ وَنَاوَلَهَا إِيَّاهَا، فَأَخَذَتْهَا مِنْهُ وَبَاسَتْهَا، وَوَضَعَتْهَا عَلَى رَأْسِهَا، وَأَنْشَدَتْ تَقُولُ:

[من البسيط]

وَمُضَعَّفِ الطَّــرْفِ، حَيَاتِي بِمِضْعَفِهِ
كَأَنَّهَــا قُطِفَتْ مِــنْ خَــدِّ نَهْدَيْهَا
حَيَّــا بِهَا فَأَعَــادَتْ رُوحَ نَاشِــقِهَا
كَأَنَّ غَبْقَــةً فِيــهِ أُودِعَــتْ فِيهَــا

قَالَ الْمُؤَلِّفُ:

ثُمَّ إِنَّ عَزِيز أَخَذَ بِيَدِهِ نَرْجِسةً، وَقَالَ: أَسْمِعِينَا فِيهِ.

فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ تَقُولُ[1]:

[من الخفيف]

وَتَــرَى النَّرْجِــسَ الذَّكِــيَّ إِذَا مَا
حَرَّكَتْــهُ الرِّيَــاحُ وَهْــوَ يَمِيــسُ
كَعَــذَارَى تَخَالُهُــنَّ سُكَــارَى
يَتَعَانَقْــنَ، وَالوُجُــوهُ شُمُــوسُ

قَالَ:

فَوَضَعَ النَّرْجِسَ، وَأَخَذَ بِيَدِهِ بَنَفْسَج، فَمَا أَمْهَلَتْهُ دُونَ أَنْ أَنْشَدَتْ تَقُولُ:

[من الكامل]

وَبَنَفْسَــجٍ غَــضِّ القِطَــافِ كَأَنَّهُ
مِــنْ خَالِصِ البِلَّــوْرِ، نَــوْعٌ أَزْرَقُ

1) البيتان لتميم الفاطمي، وهما في ديوانه: 252.

عُقِــدَتْ صَوَالِجُــهُ فَقَــامَ مُوَتَّراً
بَيْــنَ الكَــرات، وَبَعْضُــهُ مُتَمَنْطِقُ

فَاشْــرَبْ عَلَيْهِ، وَكُنْ بِهِ مُسْتَبْشِــراً
وَالــرَّوْضُ مُبْتَسِــمٌ، بِــهِ مُتَعَلِّــقُ

وَانْظُــرْ إِلَيْــهِ كَأَنَّــهُ قُــرْطٌ نَمَــا
أَوْ عَضَّــةٌ فِــي خَــدٍّ مَنْ يُتَعَشَّــقُ

قَالَ:

فَوَضَعَ البَنَفْسَجَ مِنْ يَدِهِ، وَأَخَذَ نَيْلُوفَر، وَقَالَ: هَلاَّ قُلْتِ فِي هَذَا؟ فَأَنْشَدَتْ تَقُولُ[1]:

[من الكامل]

يَرْتَــاحُ لِلنَّيْلُوفَــرِ القَلْــبُ[2] الَّذِي
لاَ يَسْــتَفِيقُ مِــنَ الغَــرَامِ[3] وَجَهْدِهِ

فَالــرَّوْضُ أَصْبَحَ فِــي الرَّوَائِحِ عَبْدَهُ
وَالنَّرْجِــسُ النِّيلِــيُّ[4] خَــادِمُ عَبْدِهِ[5]

يَا حُسْــنَهُ فِــي بِرْكَةٍ أَضْحَــتْ بِهِ[6]
مَحْشُــوَّةٍ مِسْــكاً يُشَــابُ بِنِــدِّهِ

1) نسبت ستّة من هذه الأبيات إلى أحمد بن علي أبي العبّاس الزماني في الوافي بالوفيات: 155/7، وجميعها في ديوان ابن الرّومي: 303/2_304 رقم 654.
2) سقطت هذه الكلمة في الأصل.
3) في الوافي: «السّقام».
4) في الأصل: «السّلين».
5) سقط هذا البيت في الوافي.
6) في الدّيوان: «قد أصبحت».

فَكَأَنَّــــهُ[1] فِيهَا وَقَــدْ لَحَــظَ الصَّبَا

وَرَمَـــى الْمَنَــامَ[2] بِبُعْــدِهِ وَبِصَـــدِّهِ

مَهْجُــورُ حُبٍّ[3] ظَــلَّ يَرْفَعُ رَأْسَــهُ

كَالْمُسْتَجِيـــرِ بِرَبِّـــهِ مِنْ صَـــدِّهِ

وَكَأَنَّــــهُ إِذْ غَـــابَ وَقْـــتَ[4] مَسَـــائِهِ

فِي الْمَاءِ، وَاحْتَجَبَـــتْ[5] نَضَارَةُ[6] قَدِّهِ

صَـــبٌّ يُهَـــدِّدُهُ الْحَبِيـــبُ بِهَجْرِهِ[7]

ظُلْمـــاً، فَغَرَّقَ نَفْسَـــهُ مِـــنْ وَجْدِهِ

قَالَ:

فَرَمَى النَّيْلُوفَرَ، وَأَخَذَ مِنَ الآسِ، فَأَشَارَتْ وَأَنْشَدَتْ تَقُولُ:

[من الرّمل]

كَأَنَّمَــــا الآسُ إِذَا مَــا بَـــدَا

مُرْتَجّـــاً عِنْـدَ هُبُــوبِ الرِّيَـــاحِ

حَكَـــى ثَلاَثاً[8] مِـــنْ حَبِيبِي سَـــوَاء

بَقَـــاؤُهُ فِـــي الْعُهُـــودِ الصِّحَـــاحِ

أَنْفَاسُـــهُ مِـــنْ طِيـــبِ أَنْفَاسِـــهِ

وَقَـــدُّهُ مِـــنْ غُصْنِـــهِ بِسَمَـــاحِ

---

1) في الدّيوان: «وكأنّه».

2) في الوافي: «الضّحى» بدل «الصّبا» و«المياه» بدل «المنام».

3) في الوافي: «مهجور صبٌّ».

4) في الأصل: «قليل».

5) في الدّيوان: «انحجبت».

6) في مصدري التّحقيق: «عند».

7) في الوافي: «تهدّده... ببعده».

8) بدون ضبط في الأصل.

وَقَـــدْ حَكَـــتْ أَوْرَاقُــــهُ ثَغْـــرَ مَنْ
إِثْـــرَ الحَيَـــا أَخْــــذ الـــرّواحِ
يَـــا لَيْـــتَ مَـــا أَشْبَهَـــهُ كُلَّـــهُ
مُعَانِقِـــي عِنْـــدَ الْمَسَـــا وَالصَّبَاحِ

قَالَ:

ثُمَّ تَنَادَمَتْ هِيَ وَمَحْبُوبُ قَلْبِهَا، وَشَرِبَتْ وَسَقَاهَا[1]، ثُمَّ نَاوَلَهَا شَيْ مِنَ اليَاسَمِينِ، فَأَخَذَتْهُ فِي يَدِهَا وَقَبَّلَتْهُ، وَأَنْشَدَتْ تَقُولُ:

[من السّريع]

وَيَاسَمِيـــــنٌ طَيِّـــــبٌ نَشْـــــرُهُ
أَهْـــدَاهُ لِـــي ظَبْـــيٌ[2] مِـــنَ الْحُورِ
مُسْتَظْـــرَفُ[3] النُّكْهَـــةِ، مَعْشُوقُهَـــا
كَأَنَّـــــهُ أَقْـــــرَاصُ كَافُـــورِ

قَالَ:

ثُمَّ إِنَّ عَزِيز دَفَعَ إِلَيْهَا تُفَّاحَةً وَنَرْجِسَةً وَبَنَفْسَجَةً جُمْلَةً وَاحِدَةً، فَقَبَّلَتْهُمْ ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ:

[من الكامل]

أَهْـــدَى الْحَبِيـــبُ إِلَيَّ خَيْـــرَ تَحِيَّةٍ
مِنْ خَيْـــرِ بَسَّـــامٍ، أَغَرَّ، بَشُـــوشِ

---

1) في الأصل: «أسقاها».
2) في الأصل: «ضبي».
3) في الأصل: «الحواري».

مِنْ نَرْجِسٍ، وَبَنَفْسَجٍ غَضٍّ، وَتُفَّاحٍ
كَوَشْيِ الْحُلَّةِ الْمَنْقُوشِ
جُمَلٌ كَمَا قَضَيْتَ مَواعِدَ عَاشِقٍ
مِنْ نَاصِحٍ فِي الْحُبِّ غَيْرِ غَشُوشِ
فَكَأَنَّهَا وَجْهُ الْحَبِيبِ إِذَا رَنَا
وَبِخَدِّهِ أَثَرٌ مِنَ التَّجْمِيشِ[1]

قَالَ:

هَذَا، وَالْجَمَاعَةُ قَدْ غَابُوا عَنِ الْحَضْرَةِ، وَقَدْ زَادَتْهُمُ الْمَلِيحَةُ سَكْرَةً، وَبَقِيَ كُلٌّ مِنْهُمْ فِي دُنْيَا[2] أُخْرَى. يَا سَادَة، وَلَمَّا سَكِرُوا، وَسَكِرَتِ الصَّبِيَّةُ مِنَ الْمُدَامِ، كَشَفَتْ سِتْرَ الاحْتِشَامِ، وَغَنَّتْ تَقُولُ:

عِنْدَنَا رَاحٌ وَعُودٌ، ثُمَّ مِزْمَارٌ وَمِزْهَرٌ ذُو حَيَاءٍ، وَغِنَاءٌ وَحَدِيثٌ وَتَوَقُّرُ
وَرَيَاحِينٌ بَيْنَ مُحْمَرٍّ وَمُصْفَرٍّ، وَأَبَارِيقُ كَأَعْنَاقِ نَبَاتِ الْمَاءِ يَقْطُرُ
وَغَزَالٌ ذُو دَلَالٍ، سَاحِرُ الْمُقْلَةِ أَحْوَرُ، فَأْتِنَا بِاللَّهِ حَتَّى يُعْطَى هَذَا الْمُوَتَّرُ
وَأَنَا أُعْطِيكَ ذَا الْمُقَبْقَبِ، يَعْنِي كُسِّي الْمُحَجَّبِ فَاسْفِقْهُ حَتَّى تُحْيِي شَهْوَاتِي ثُمَّ أَضْجِرُ

1) في الأصل: «التّحميش»، وفي تاج العروس (جمش): «الجَمْشُ: المُغَازَلَةُ والمُلاَعَبَةُ، وهُو ضَرْبٌ منهَا بقَرْصٍ ولَعِبٍ، كالتَّجْميشِ، وقدْ جَمَشَهُ وهُوَ يجْمُشُهَا، أي يقْرصُهَا ويُلاعبُهَا. وقيل للمُغَازلَةِ تجْميشٌ منَ الجَمْشِ - وهو الكَلاَمُ الخَفِيُّ - وهوَ أنْ يقُول لهَواهُ: هَيْ هَيْ. وقَال ابن الأعْرابيّ: رجُلٌ جمَّاشٌ، أي متَعَرِّضٌ للنِّساء، كأنَّهُ يطْلُبُ الرَّكَبَ الجميشَ، أي المحْلُوقَ».

2) في الأصل: «دنياة».

وَأَنَا أُفْشَخُو لَكَ يَا عِينِي، فَادْخُلْ   بِزُبِّكَ الأَعْوَرِ، ثُمَّ اسْكُبْ أَنْتَ فِيَا
مَاهُـــــو أَمْ مُدَّخَـــــرُ؟

قَالَ:

ثُمَّ إِنَّ الصَّبِيَّةَ بَاسَتِ العُودَ وَوَضَعَتْهُ بَيْنَ يَدَيْ الْجَمَاعَةِ، لأَنَّهُ مَا كَانَ لَهَا، وَمَدَّتْ يَدَهَا إِلَى أَطْوَاقِ حَبِيبِهَا، وَجَرْجَرَتْهُ إِلَى الْمَجْلِسِ، وَأَغْلَقَتِ البَابَ عَلَيْهِ.

قَالَ:

وَلَمْ نَعْلَمْ مَا جَرَى بَيْنَهُمَا، غَيْرَ أَنَّا كُنَّا نَسْمَعُ غُنْج غَرِيب، وَبُكَاء كَثِير، وَشَهِيق وَنَخِير، شَيْ لاَ تُدْرَكُ غَايَتُهُ، وَلاَ تُعْرَفُ نِهَايَتُهُ. بَلْ كُنْتُ أَنَا أَصْحَى مِنَ الْجَمَاعَةِ، فَلأَجْلِ ذَلِكَ حَفِظْتُ مَا جَرَى فِي الْمَقَامِ مِنَ الأَشْعَارِ وَالنَّوَادِرِ وَالأَخْبَارِ، فَسَمِعْتُهَا فِي خِلاَلِ الغُنْجِ، وَهْيَ تَبْكِي وَتُنْشِدُ هَذِهِ الأَبْيَات:

شُغْلُـــكْ كَـــذَا كْوَانِـــي   سِيـــدِي خُـــذُو طَيَّانِـــي
خُذْنِـــي لِعَنْـــدِكْ زَايِـــدْ
سُرْعَـــــهْ وَلاَ تِتْقَاعِـــــدْ
وَإِذَا فَرَغْـــتِ الوَاحِـــدْ   جَرَى العِيَارْ فِي الثَّانِي
أَعَجَبْتَنِـــي فِـــي أَشْيَاتِـــكْ
اللَّـــهْ يُدِيـــمْ أَوْقَاتِـــكْ
بِاللَّـــهِ عَلِيـــكْ، بِحْيَاتِـــكْ   قُـــمْ شَبِّقُـــهْ قَازَانِـــي
إِنْ قَرِيـــــت أكلّمُـــــهْ
وَفِـــي الْمَعَـــاشْ لَـــكْ هَمُّـــهْ

شِـدِّ القِيَـامْ فِـي اللَّحْمَـهْ وَاسْفَـقْ عَلِيـهْ يَـا جَانِـي
طُـولْ مَـا أَنْـتَ عِنْـدِي دَائِـمْ
أَيْـرَكْ مُوَتَّـرْ قَائِـمْ
حَلاَوْتُـهْ بِالدَّائِـمْ صَـارْ طَعْمَهَـا فِـي أَسْنَانِـي
حَمَّامِـكْ اليُـومْ مْخُلِّيَـهْ
آدْخُـلْ يَـا نُـورْ عِينَيَّـهْ
سَيَّـبْ عَلَـى الفَسْقِيَّـهْ وَازْفُـقْ عَلَـى الصَّدْرَانِـي
إِنْ كَـانْ تْرِيـدْ إِصْلاَحِـي
عَبِّـي مَقَـامْ أَفْرَاحِـي
عَضْعِـضْ خُـدُودْ تُفَّاحِـي وَاكْسِـرْ نُهُـودْ رُمَّانِـي
عَزِيـزْ يَـا ابْـنِ الْحُـرَّهْ
وَانَـا أَكْشِفُـهْ لِلصُّـرَّهْ
وَإِنْ خَـرَجْ لاَ بَـرَّهْ بِاللَّـهْ اجْعَلُـهْ جَوَافِـي

قَالَ:

وَجَاءَ وَقْتُ العِشَاءِ فَخَرَجُوا الإِثْنَيْنِ مِنَ الْمَجْلِسِ، وَالصَّبِيَّةُ قَدْ قَضَتْ مُرَادَهَا، وَأَشْفَتْ غَلِيلَ[1] فُؤَادِهَا، وَالْتَفَّتْ بِالْمِلْحَفَةِ، وَوَدَّعَتِ الْجَمَاعَةَ، وَخَرَجَتْ، وَمَا فِي القَاعَةِ أَحَدٌ يَعْقِلُ عَلَى أَحدٍ لِكَثْرَةِ مَا دَاخَلَهُمْ مِنَ الطِّيبَةِ.

وَرَاحَتِ الصَّبِيَّةُ مَلَمْلَمَةً فِي الْمِلْحَفَةِ، وَهْيَ شَبْعَانَةٌ سُكْر وَنَيْك وَطِيبَةً، فَطَلَعَتْ إِلَى البَيْتِ وَانْطَرَحَتْ فِيهِ مِثْل القَتِيلِ، وَأَلْقَتْ عَلَيْهَا

1) في الأصل: «غليلك».

أُمِّ سَنْجَر الْمَلاءَةَ وَاللِّحَافَ، وَقَالَتْ لِزَوْجِهَا الْمَخْمُولِ: لاَ تَقْرَبْهَا اللَّيْلَةَ، وَلاَ تَلْتَصِقْ بِهَا.

فَقَالَ: آفْرُشُوا لِي فَرْش.

فَفَرَشُوا لَهُ فَرْشاً وَحْدَهُ بَعْدَ مَا شَكَرَ العَجُوزَ عَلَى خِدْمَتِهَا لِلسِّتِّ خَاتُون، وَوَعَدَهَا[1] بِكُلِّ جَمِيلٍ، وَهْوَ لاَ تَسَعُهُ الدُّنْيَا مِنَ الفَرَحِ بِعَافِيَتِهَا.

قَالَ:

وَلَقَدْ حَكَا لِي الَّذِي أَخْبَرَنِي عَنْ هَذِهِ الْمَاجِرِيَّةِ أَنِّي اجْتَمَعْتُ بِالعَجُوزِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَشَكَرْتُهَا عَلَى فِعْلِهَا وَمُعَاوَنَتِهَا لِلصَّبِيَّةِ، فَقَالَتْ: وَاللَّهِ لاَ أَعْرِفُ لاَ حِيلَةً وَلاَ مَكِيدَةً، وَإِنَّمَا كَانَ الأَمْرُ مِنَ الصَّبِيَّةِ. وَهِيَ الَّتِي عَلَّمَتْنِي كَيْفَ أَعْمَلُ، وَعَلَّمَتْنِي ذَلِكَ كُلَّهُ، وَأَنَّنِي مَا أَطْلَعُ إِلاَّ فِي رِسَالَةٍ، أَوْ مُوَاعَدَةٍ، أَوْ كَلاَمٍ أَطْلَع أَقُولُهُ بَيْنَ الأَحْبَابِ لأَرْبَحَ الأَجْرَ وَالثَّوَابَ، وَيَهُون عَلَيَّ الْحِسَابُ.

---

1) في الأصل: «أوعدها».



الْمَاجِرِيّةُ الثّانِيَة عَشْرَةَ[1]

قَالَ الْمُؤَلِّفُ (عَفَا اللَّهُ عَنْهُ)[2]:

حَدَّثَنِي رَجُلٌ كَبِيرٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ، ثِقَةٌ، أَنَّ عَجُوز رَبْعيَّةً حَكَتْ[3] لَهُ مَاجِرِيَّةً صَحِيحَةً، جَرَتْ فِي رَبْعِهَا[4] الَّتِي هِيَ فِيهِ. وَكَانَ الرَّبْعُ فِي السُّوقِ الَّذِي هُوَ قَرِيبٌ مِنْ صِنَاعَةِ التَّمْرِ.

قَالَ:

ذَكَرَتْ لِي الرَّبْعِيَّةُ الْمَذْكُورَةُ أَنَّهُ كَانَ عِنْدَهَا مِنْ جُمْلَةِ سُكَّانِهَا أُخْتَيْنِ. وَكَانَتِ الكَبِيرَةُ فِي الْحَالِ الأَوَّلِ قَدْ عَمِلَتْ مَصَائِبَ، وَدَوَاهِيَ، وَوَقَائِعَ وَقَرَاقِعَ[5]، وَالأُخْتُ الصَّغِيرَةُ بِنْتُ بِكْرٌ.

قَالَ:

فَاتَّفَقَ أَنَّ الأُخْتَ الكَبِيرَةَ تَابَتْ[6] إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَسَأَلَهَا بَعْضُ النَّاسِ عَلَى الزَّوَاجِ وَالْحَلَالِ، فَقَالَتْ: مَا أَتَزَوَّجُ، وَمَا أُكْتَبُ لأَحَدٍ حَتَّى أُزَوِّجَ أُخْتِي البِنْتَ الصَّغِيرَةَ، وَأَسْتَرِيحَ مِنْ هَمِّهَا، قَبْلَ مَا أَدْخُلُ

---

1) في الأصل: «الثّانية عشر».

2) وبعده: «قال»، فأسقطناها.

3) في الأصل: «أحكت».

4) في تكملة المعاجم: 74/5 ربع: «حيّ في المدينة، حارة».

5) في تكملة المعاجم: 246/8 قرقع: «قرقع: أحدث ضجيجا وصخبا».

6) في الأصل: «أن تابت».

بِوَاحِدٍ يُحَجِّرُ عَلَيَّ. فَقُدِّرَ مِنَ الأَمْرِ أَنَّ البِنْتَ الصَّغِيرَةَ خَطَبَهَا إِنْسَانٌ زَيَّاتٌ، قَرِيبٌ مِنَ الرَّبْعِ، فَكَتَبَ كِتَابَهَا، وَأَدْخَلَتْهَا أُخْتُهَا عَلَيْهِ[1]، وَأَسْكَنَهَا فِي الرَّبْعِ الْمَذْكُورِ.

قَالَ:

وَكَتَبَتْ فِي بَعْضِ الحرْفَانِ، وَخَرَجَتْ سَكَنَتْ مَعَهُ عَلَى البَحْرِ، ...ـهال[2] الْمِقْيَاس بَعْدَمَا أَوْصَتْ صِهْرَهَا البَيَّاعَ عَلَى أُخْتِهَا، وَقَالَتْ لَهُ: هِيَ صَغِيرَةٌ، فَاجْعَلْ بَالَكَ مِنْهَا، وَطَوِّلْ رُوحَكَ عَلَيْهَا، وَإِيشْ مَا عَوَّدْتَهَا عَلَيْهِ تَعَوَّدَتْ.

قَالَتِ الرَّبْعِيَّةُ:

فَأَقَامُوا الأُخْتَيْنِ مُدَّةَ شَهْرِ زَمَانٍ، وَوَقَعَتِ البِنْتُ الصَّغِيرَةُ مَعَ بَعْضِ الْحرْفَانِ. وَكَانَ الْحرِّيفُ يْأَتِي إِلَيْهَا فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَمَا يَنْحَشِرُ إِلَّا عِنْدَهَا بِالنَّهَارِ جَمِيعِهِ لأَنَّ زَوْجَهَا الزَّيَّات يَنْزِلُ إِلَى الدُّكَّانِ مِنْ صَلاَةِ الصُّبْحِ، مَا يَطْلَعُ إِلَّا بَعْدَ عِشَاءِ الآخِرَةِ، وَقْتَ غُلُوقِ السُّوقِ.

قَالَ:

وَكَانَ الْحِرِّيفُ مُسْتَمِرٌّ عَلَى ذَلِكَ، وَأَنَا أَسْتُرُ عَلَيْهِمْ. فَاتَّفَقَ فِي يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ أَنَّ الْحِرِّيفَ طَلَعَ إِلَى الصَّبِيَّةِ، وَانْحَشَرَ عِنْدَهَا، وَأَنَا مَا عِنْدِي عِلْمٌ بِهِمْ. فَمَا لَحِقَ يَنْحَشِرُ عِنْدَهَا سَاعَةً إِلَّا وَالزَّوْجُ البَيَّاعُ طَالِعٌ إِلَى الرَّبْعِ، وَجَاءَ إِلَى البَيْتِ لِحَاجَةٍ عَرَضَتْ لَهُ، فَأَحَسَّتْ بِهِ البِنْتُ، فَقَامَتْ غَلَقَتِ البَابَ، وَبَقِيَ زَوْجُهَا وَاقِفٌ بِالبَابِ، فَقَالَ لَهَا: افْتَحِي.

---

1) في الأصل: «عليها».

2) مطموسة الأوّل في الأصل.

فَقَالَتْ لَهُ: أَنَا مَا أَفْتَحُ لَكَ، تَرْجَع تَقْتُلُنِي.

فَقَالَ: عَلَى إِيشْ أَقْتُلُكِ؟ افْتَحِي.

فَقَالَتْ: مَا أَفْتَحُ حَتَّ تَجِيءَ أُخْتِي.

فَلَمَّا غُلِبَ فِيهَا، قَالَ: يَا رَبْعِيَّة، صَيِّحِي لَهَا بِأُخْتِهَا حَتَّى تَنْظُرَ خَبَرَ هَذِهِ الفَاجِرَةِ.

فَقَالَتِ الرَّبْعِيَّةُ:

فَرُحْتُ إِلَى أُخْتِهَا، وَأَتَيْتُ بِهَا فِي الْحَالِ، بَعْدَ مَا أَعْلَمْتُهَا بِالأَمْرِ عَلَى جَلِيَّتِهِ. فَلَمَّا أَتَتْ، وَرَأَتْ صِهْرَهَا وَاقِفٌ، صَاحَتْ بِهِ: إِيَّاكَ ضَرَبْتَ أُخْتِي أَوْ أَرْجَفْتَهَا[1].

فَقَالَ: عَلَيْهِ الطَّلَاق، وَلاَ فَتَحت البَابَ.

فَقَالَتْ: تَمَهَّلْ، وَلاَ تَدْخُلْ خَلْفِي حَتَّى أُبْصِرَ خَبَرَهَا.

ثُمَّ دَقَّتْ عَلَيْهَا فَفَتَحَتْ لَهَا، وَرَدَّتْ البَابَ خَلْفَهَا، فَوَجَدَتِ العَشِيقَ، فَصَاحَتْ عَلَيْهَا: العشيق يَا مَهْبُولة، عَتَّرَكِ اللَّهُ، مَا فِيكِ نَجْعَة، هَذَا حَالنَا، وَعِنْدَكِ الكُل قِطْعَة نَتْفَة. شَقَفْت خلق عَشِيق، مَا قَدِرْتِ تخَبِّيهِ حَتَّى أَرْجَفْتِيهِ؟ وَلَكِنْ مَا كَانْ مَعَكِ أَبْزَارُهْ، بَسْ تَحرَّسْتِي بِالقُحُوبِيَّةِ[2] وَأَنْتِ جَوَّالَة. يَا طَالْ مَا خَبِّيْتُهُمْ عَشْرة عَشْرَة، وَسِتَّة سِتَّة، وَيَا طَالْ مَا نِمتْ لْيَالِي كَثِيرَة الزَّوْجِ وَالعَشِيق. فَإِيشْ مُصِيبَتِكِ حَتَّى أَفْلَتِّ الدّنْيَا؟

---

1) في تكملة المعاجم: 99/5 رجف: «رجّف: جعله يرجُف، أرعبه وأفزعه».

2) كذا في الأصل، وفي تكملة المعاجم: 188/8 قحب: «قحْبنَة: بغاء، دعارة».

ثُمَّ إِنَّهَا جَذَبَتِ الْحِرِّيفَ وَأَرْكَزَتْهُ[1] تَحتَ السَّرِيرِ، وأَرْخَتْ طَرَفَ الفِرَاشِ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَخَذَتْ قُطْرَمِيزَ[2] زَيْتٍ مَلآنٍ، كَسَرَتْهُ فِي صَدْرِ الإِيوَانِ، تَحتَ الرَّفِّ، وَبَدَّدَتْ جَمِيعَ مَا فِيهِ عَلَى البلاَطِ، وَصَاحَتْ عَلَيْهَا، وَشَتَمَتْهَا، وَقَالَتْ لَهَا: وَيْلَكِ يَا فَاجِرَة، اِفْتَحِي لِلرَّجُلِ البَابَ.

فَفَتَحَتْ لَهُ. فَلَمَّا دَخَلَ أَبُو طَنِين، وَرَأَى القُطْرَمِيزَ مَكْسُور وَالزَّيْتَ مُبَدَّد، لَمْ يَهتَمَّ لِذَلِكَ، وَقَالَ لَهَا: إِيشْ عَلَيْكِ[3]، فَرْغْ رُزِقْنَا مِنْهُ.

وَقَعَدَ يَلُمُّ القَزَانَ[4] وَالزَّيْتَ بِيَدِهِ. فَغَمَزَتْ أُخْتُهَا الْحِرِّيفَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ تَحتِ السَّرِيرِ وَيَرُوحَ إِلَى حَالِ سَبِيلِهِ لأَنَّ ظَهْرَ الزَّوْجِ كَانَ[5] إِلَى البَابِ الَّذِي لِلْبَيْتِ. فَأَخَذَ الْحِرِّيفُ سَرْمُوجَتَهُ[6] بِيَدِهِ وَخَرَجَ، وَقَدْ سَتَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَصَحَّتْ حِيلَةُ أُخْتِهَا، وَانْطَبّت[7] مَكِيدَتُهَا.

قَالَ:

وَذَكَرَتِ الرَّبْعِيَّةُ عَنْ هَذِهِ الأُخْتِ الكَبِيرَةِ أَنَّهَا تَزَوَّجَتْ بِمِصْرَ خَمْسِينَ زَوْج، وَكَانَ لَهَا عَنْ تَحْقِيقٍ خَمْسِينَ عَشِيق، أَعَاذَنَا اللَّهُ تَعَالَى، وَالْمُسْلِمِينَ، مِنْ ذَلِكَ.

---

1) في تكملة المعاجم: 206/5 ركز: «لبد، كمن».

2) في تكملة المعاجم: 310/8: «قطرميز: بوقال، قمقم، برنيّة، وهو وعاء ذو عنق قصير، عريض الفم».

3) في الأصل: «عليكي».

4) في تكملة المعاجم: 265/8 قزن: «(تركيّة) والجمع قزانات: مرجل، قدر كبير ودست، قصعة، جفنة».

5) في الأصل: «لأنّ كان ظهر الزّوج».

6) في تكملة المعاجم: 68/6: «سرموزة: نوع من الران، لفافة طماق، صندل، بابوج، وهي تلبس فوق الموق»، ويقال أيضا: «سرموجة»: 67/6، و«زرموزة»: 316/5.

7) كذا في الأصل، ولعلّ الصّواب: «نطلت».

الْمَاجِرِيّةُ الثّالِثَة عَشْرَة[1]

قَالَ صَاحِبُ الْحَدِيثِ عَفَا اللّٰهُ عَنْهُ[2]:

حَكَى لِي رَجُلٌ وَكِيلٌ - وَكَانَ كَثِيرَ الْحِرَافِ -، وَقَدْ قَرَأَ، وَدَارَ، وَحَفِظَ الأَسْمَارَ، وَرَوِيَ الأَخْبَارَ، وَأَنْشَدَ الأَشْعَارَ، وَقَدْ ذَكَرَ لِي أَشْيَاءَ مِنْ أَخْبَارِ الْحَمْقَى وَالمُغَفَّلِينَ، لاَ مِثْلَهَا وَلاَ نَظِيرَهَا[3]. وَذَلِكَ أَنَّهَا لِصَدِيقِهِ، وَعَلَى يَدِهِ سَوَّاهَا[4]، وَأَنَا أَنْقُلُهَا لَكَ بِصِحَّتِهَا.

فَسَأَلْتُهُ الْحَدِيثَ، فَقَالَ:

اِعْلَمْ أَنَّهُ كَانَ لِي صَدِيقٌ، وَهْوَ وَكِيلٌ مِثْلِي، وَأَكْثَرُ مِنِّي حِرَاف، وَيُرَجِّحُ عَلَى الدِّرْهَمِ قِنْطَاراً. وَكَانَ يَتَوَكَّلُ لأَحَدِ مَمَالِيكِ السُّلْطَانِ، الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بِيبَرْسَ البُنْدُقْدَارِي[5].

---

1) في الأصل: «الثّالثة عشر».

2) وبعده في الأصل: «قال»، فأسقطناها.

3) في الأصل: «مثلها ولا نظيرها».

4) في الأصل: «سوها».

5) الملك الظّاهر ركن الدّين بيبرس العلائي البُنْدُقْدارِي الصّالحي النّجمي، لقّب بـأبي الفتوح. سلطان مصر والشّام، ورابع سلاطين الدّولة المملوكيّة ومؤسّسها الحقيقيّ. بدأ مملوكاً يباع في أسواق بغداد والشّام، وانتهى به الأمر أحد أعظم السّلاطين في العصر الإسلامي الوسيط. لقّبه الملك الصّالح أيوب في دمشق بـ«ركن الدّين»، وبعد وصوله للحكم لقب نفسه بالملك الظّاهر. ولد بيبرس نحو عام 625 هـ، وحقّق خلال حياته العديد من الانتصارات ضدّ الصّليبيّين وخانات المغول ابتداءً من معركة المنصورة سنة 1250، ومعركة عين جالوت، وانتهاءً بمعركة الأبلستين ضد المغول سة 1277، وقد قضى أثناء حكمه على الحشّاشين، واستولى أيضا على إمارة أنطاكية الصّليبيّة.

قَالَ:

يَذْكُرُ صَدِيقِي، الوَكِيلُ الْمَذْكُورُ، أَنَّ أُسْتَاذَهُ طَلَعَ سَنَةً لِيَسْتَغِلَّ إِقْطَاعَهُ، فَوَقَعَتْ عَيْنُهُ عَلَى زَوْجَةِ البَدَوِيِّ الفَلاَّحِ، فَأَخَذَتْ بِمَجَامِعِ قَلْبِهِ[1]، وَسَلَبَتْ عَقْلَهُ وَلُبَّهُ لأَنَّهَا كَانَتْ مُبْدِعَةً بِالْحُسْنِ وَالْجَمَالِ، وَالبَهَاءِ وَالكَمَالِ. وَكَانَ الَّذِي حَكَى[2] لِي هَذِهِ الْمَاجرِيَّةَ كَثِيرَ الْحِرَافِ، وَلَهُ يَدٌ فِي الشَّيْطَنَةِ[3]. فَأَطْلَعَهُ الْجُنْدِيُّ عَلَى مَا فِي خَاطِرِهِ، وَأَوْضَحَ لَهُ هَوَاهُ وَبَلْوَاهُ، وَعِشْقَهُ لِلْبَدَوِيَّةِ، وَهِيَ قَدْ مَلَكَتْ قَلْبَهُ، وَاحْتَوَتْ عَلَى أَحْشَائِهِ وَلُبِّهِ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَتَحَيَّلَ لَهُ فِي أَمْرِهَا مِنْ كُلِّ مُمْكِنٍ.

قَالَ الوَكِيلُ: يَا خَوَنْد، هَؤُلاَءِ قَوْمٌ عَرَبٌ وَجَهَلَةٌ، وَمَتَى أَخَذْنَاهُمْ بِغَيْرِ حِيلَةٍ نَخْشَى عَلَى أَنْفُسِنَا مِنْهُمْ، وَلَكِنْ سَوْفَ أُرَتِّبُ حِيلَةً يَعْجِزُ عَنْهَا البَطَّالُ[4] وَكُلُّ مَاكِرٍ مُحْتَالٍ، وَتَبْلُغُ غَرَضَكَ وَالآمَالَ. فَاعْبُرْ بِنَا إِلَى القَاهِرَةِ، وَسَيِّرْ آطْلُبْهُ، وَيَدَبِّرُ اللَّهُ أَمْرَهُ.

قَالَ:

فَتَوَجَّهَ الْمَمْلُوكُ لِلسَّفَرِ، وَوَاعَدَ الفَلاَّحَ، زَوْجَ الْمَرْأَةِ، أَنْ يَعْبُرَ خَلْفَهُ القَاهِرَةَ. فَمَا كَانَتْ إِلاَّ أَيَّامٌ قَلاَئِلُ حَتَّى حَضَرَ البَدَوِيُّ وَصُحْبَتَهُ الضِّيَافَةَ، فَتَلاَقَى الْجُنْدِيّ أَحْسَنَ مُلْتَقَى، وَأَخْلَى لَهُ طَبَقَةً[5] مَلِيحَةً، وَرَتَّبَ لَهُ الأَطْعِمَةَ الَّتِي لاَ يَعْرِفُهَا البَدَوِيُّ، وَلاَ عُمْرُهُ رَآهَا، وَكَذَلِكَ مِنَ الْحَلْوَى، وَبَالَغَ لَهُ فِي الإِكْرَامِ وَالإِحْسَانِ.

---

1) في الأصل: «قلبها».

2) في الأصل: «احكى».

3) في تكملة المعاجم: 398/6 شيطن: «شيطنة: براعة، حذق، مهارة، نشاط، كياسة، خبث».

4) في تكملة المعاجم: 373/1 بطل: «البطالة: الهزل والمجون».

5) في تكملة المعاجم: 20/7 طبق: «طبقة: غرفة، قاعة، عمارة صغيرة».

وَسَيَّرَ، بِتَدْبِيرِ الوَكِيلِ، سلامه وَخَيْلَهُ أَحْضَرَ قَصِيفَةً[1] مِنْ بَنَاتِ التُّرْكِ، بَيَانُهَا[2] خَمْسِينَ دِرْهَماً، وَأَكْرَى لَهَا مَصَاغاً وَزَرْكَشاً[3] بِعِشْرِينَ دِرْهَمٍ أُخْرَى، وَتَبَاتُ عِنْدَ البَدَوِيِّ، وَأَنْ تُذْهِلَهُ بِغُنْجِهَا وَغُلْمَتِهَا، وَتَنْغتِمْ[4] عَلَيْهِ بِالتُّرْكِي وَالعَرَبِي، وَتَذَوِّقَه شَيْئاً لاَ عُمْرَهُ رَآهُ وَلاَ عَرَفَهُ، وَأَوْصَاهَا بِمَا تَفْعَلُ. ثُمَّ صَبرَ إِلَى اللَّيْلِ، وَبَعَثَ لَهُ شَمْعَةً مَعَ الوَكِيلِ، فَدَخَلَ عِنْدَهُ يُحَادِثُهُ، وَيَصِفُ لَهُ مَكَارِمَ أُسْتَاذِهِ، وَمَحَبَّتَهُ عِنْدَهُ.

قَالَ:

وَطَلَعَ الْجُنْدِيُّ بَعْدَ سَاعَةٍ، وَالقَصِيفَةُ مَعَهُ، وَقَالَ لِلْبَدَوِيِّ: آنسْتَنَا يَا أَمِير. هَذِهِ زَوْجَتِي اللَّيْلَةَ عِنْدَكَ ضِيَافَةً.

فَقَالَ البَدَوِيُّ: اللَّهْ الْحَدْ يَا خَوَنْد، حَاشَا اللَّهْ.

فَصَاحَ عَلَيْهِ الوَكِيلُ وَقَالَ: لاَ تَرُدَّ عَلَى الأَمِيرِ ضِيَافَتَهُ لَكَ، فَهَذِهِ عَادَةُ أُسْتَاذِكَ، مَا نَحَّى عَنْ فَلاَّحُهْ لاَ مَالْ وَلاَ عِيَالْ، وَعْيَالُهْ عِيَالِكْ، وَعِيَالِكْ عِيَالُهْ.

وَلَمْ يَزَلِ الوَكِيلُ بِالبَدَوِيِّ حَتَّى قَالَ: حُبّاً وَكَرَامَةً، اللَّهُ يُعِينُنِي عَلَى الوَفَاءِ.

وَسَلَّمُوهُ الصَّبِيَّةَ، وَتَرَكُوا عِنْدَهُ لَحم مَشْوِي وَإِوَز، وَدَجَاجاً، وَحَلاَوَةً، وَانْصَرَفُوا. فَلَمَّا خَلاَ لِلْبَدَوِيِّ الْمَكَانُ، لَمْ يَكُنْ لِلْقَصِيفَةِ

---

1) في تكملة المعاجم: 297/8 قصف: «قصّاف: داعر، فاجر، عاكف على الدّعارة والفجور»، والمقصود: «مومس» لأنّ «القصيفة» هي: «الماخور، بيت الدّعارة».

2) كذا في الأصل، ونرجّح أنّ الكلمة مرادف عاميّ للجذر، وهو المبلغ الّذي تتقاضاه العاهر لقاء بذلها نفسها للرّاغبين فيها.

3) كذا في الأصل، والمقصود: «حليًا».

4) كذا في الأصل، وقد تقدّم شرح الغتمي، ولعلّ المراد هنا: «ترطن».

شُغْلُ إِلاَّ أَنْ قَلَعَتْ مَقَانِعَهَا، وَأَرْخَتْ ظَفَائِرَهَا، وَظَهَرَتْ فِي كُوفِيَّةِ كَاسَةِ مَفْرِقٍ، وَزَوْجَيْنِ حَلَقٍ، وَطَوْقِ ذَهَبٍ، وَعَنْبَرَيْنِ، وَزَوْجِ أَسَاوِرَ، وَحَصِيرَيْنِ لُؤْلُؤٍ، وَزُنُودٍ، وَبَقِيَتْ فِي قَمِيصٍ مُشَهَّرٍ، مِنْ فَوْقِهِ حِينِي[1] أَزْرَقَ بِتَرْكِيبِهِ مِصرِيّ[2]، وَأَخَذَتْ شَمْعَةً، وَتَقَدَّمَتْ إِلَى البَدَوِيِّ، وَصَارَتْ تَتَجَلَّى عَلَيْهِ كَأَنَّهَا طَاوُوسٌ ذَكَرٌ. فَنَظَرَهَا البَدَوِيُّ فَبُهِتَ وَتَبَحْلَقَتْ عَيْنَيه، وَسَالَتْ رِيَالَتُهُ[3] عَلَى خَدَّيْهِ، فَنَاوَلَتْهُ يَداً أَطْرَى مِنَ الزَّبَدِ، مَقْمُوعٌ[4] زِنْجَارِيٌّ[5] عَلَى كَفٍّ أَبْيَضَ رَابِي.

قَالَ:

فَصَارَ يُقَبِّلُ كُفُوفَهَا مَعَ مَعَاصِمِهَا وَزُنُودِهَا، وَلُعَابُهُ سَائِلٌ عَلَى ذِقْنِهِ. وَلَمَّا عَلِمَتْ أَنَّهَا تَعَلَّقَتْ بِقَلْبِهِ قَامَتْ سَلَّتْ سَرَاوِيلَهَا، وَرَمَتْ[6] سِيقَانَهَا عَلَيْهِ، ثُمَّ تَعَلَّقَتْ بِحَلْقِهِ، وَأَرْخَتْ مِنَ الغُنْجِ بِالتُّرْكِي مَا حَيَّرَ عَقْلَهُ، وَأَذْهَلَ لُبَّهُ.

قَالَ:

يَا سَادَة، وَمَا قَوْلُكُمْ فِي بَدَوِيٍّ وَمَقْرُوحٍ، وَقَدْ وَجَدَ تَمْراً مَطْرُوحاً، أَيْنَ يُخَلِّيهِ وَيَرُوحُ؟ فَبَقِيَ كَأَنَّهُ مِنَ الحَمِيرِ، قَلْبُهُ عَلَى خَمْسَةٍ. وَلَمْ

---

1) كلمة غير منقّطة في الأصل.

2) كذا في الأصل، ولعلّ الصّواب: «بتركيبة مصريّة».

3) في تكملة المعاجم: 267/7 ريل: «ريالة: لعاب».

4) كذا في الأصل، وفي تكملة المعاجم: 383/8 قمع: «مقمع، والجمع مقامع: جزع منقوش، وهو ضرب من العقيق يعرف بخطوط متوازية، مستديرة، مختلفة الألوان، ينقش ويتّخذ حلية، والحجر في جملته بلون الظّفر».

5) أي في لون الزّنجار، وفي تكملة المعاجم: 365/5 زنجر: «زنجر (اختصار زنجار): صدأ الحديد، ولونه أخضر فاتح من الحديد الذي يتأكسد في الهواء».

6) في الأصل: «أرمت».

يَتَمَالَكُ أَنْ قَيَّمَ أَيْراً[1] مَا يَعْبُرُ فِي حَلْقِ زِيرٍ[2]. وَلِلْوَقْتِ قَلَبَهَا[3] وَرَكِبَهَا، وَجَعَلَ فِي صَدْرِهَا رُكَبَهَا، وَبَرَّقَهُ، وَنَدَبَهُ، وَخَنَقَهُ، وَحَكَّهُ، وَطَبَّقَهُ، وَسَلَّهُ، وَسَفَقَهُ.

هَذَا، وَالصَّبِيَّةُ كَأَنَّهَا قَدْ وَقَعَتْ بِلُقْيَةٍ: أَيْرٌ يَجِي أَرْبَعَ قَنَاطِير نَقْبُهُ، فَسَدَّ كُسَّهَا، وَعَلَى غُنْجِهَا وَلَذَّ لَهَا نَيْكُ الفَلَّاحِ، وَمَا احْتَاجَتْ مَعَ أَيْرِهِ إِصْلَاح، وَصَارَتْ تَتَغَنَّجُ وَتَقُولُ: بِاللّهِ يَا جَانِمْ[4]، سَكِّنُوا بِحَيَاتِكْ، مَكِّنُوا يا كِزِمْ، وَاللّهِ يَا جَانِمْ، وَاللّه أمدّي الدّم مِنِّي، أمحقْتُمْ يَا رُوحِي، وَاللّه السَّاعَة أَمُوتْ مِنْ عِشْقِي، خُذُهْ، خُذْ مِنِّي كُسِّي واعْطِينِي بِحَيَاتِكْ يَا زُبِّي.

هَذَا، مَعَ صِنَاعَةٍ وَوُلُوعٍ وَبَكَاءٍ بِالدُّمُوعِ.

قَالَ:

وَالبَدَوِيُّ قَدْ لَذَّ لَهُ ذَلِكَ الغُنْجُ الْمَوْصُوفُ، مَعَ ذَلِكَ الكُسِّ الأَبْيَضِ الْمَنْتُوفِ، فَسَحَقَ، وَزَلَّقَ، وَطَرَقَ، وَرَفقَ، وَلَزَّقَ، وَمَرَّقَ، وَصَحَّنَ، وَعَمَّقَ، وَالصَّبِيَّةُ قَدْ فَارَقَتْ نَفْسَهَا، وَفَشَخَتْ كُسَّهَا، وَلَمْ تَزَلْ حَتَّى خَمَدَ حِسُّهَا، وَذَبُلَتْ عُيُونُهَا، وَجَاءَتْهَا حُسَيْنَتُهَا. وَكَذَلِكَ البَدَوِيُّ سَكَبَ فِيهَا مَاءَ الأَجْرَة فِي آخِرِ جَرَّةٍ، وَبَاتَ مَعَهَا فِي لَيْلَةٍ مَا

---

1) في الأصل: «أير».

2) في تكملة المعاجم: 399/5 زير: «زِير، وجمعها زِيار، جرّة كبيرة ضيّقة الأسفل، ذات عروتين صغيرتين، تصغيرها زويرة أي جرّة صغيرة».

3) في الأصل: «اقلبها».

4) في موسوعة العامّيّة السّوريّة: 658/1: «جَانِمْ: يا عزيزي، من الفارسيّة (djânam، جان: روح بالفارسيّة)، م: ياء المتكلّم التّركيّة: من «جان»: الرّوح، الحياة، بعدها الميم التّركيّة، ضمير المتكلّم، أي: يا روحي».

رَأَى عُمْرَهُ مِثْلَهَا، وَلاَ خَالَفَتْ هِيَ أَمْرَهُ، وَمَا خَالَفَ هُوَ أَمْرَهَا[1]. وَمَا جَاءَ وَقْتُ السَّحَرِ إِلاَّ وَقَدْ عَمِلَ اثْنَا عَشَرَ، وَأَصْبَحَ يُرِيدُ السَّفَرَ، فَزَوَّدَهُ بِالْحَلاَوَةِ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ الْجُنْدِيُّ مُبَطَّنَةً[2] وَقُوَّةً[3] وَعِمَامَةً. كُلُّ هَذَا بِتَدْبِيرِ الأَمِيرِ سَلاَمَة.

قَالَ صَاحِبُ الْحَدِيثِ:

وَسَافَرَ البَدَوِيُّ، وَهْوَ لأَنْعَامِ الْجُنْدِيِّ شَاكِرٌ. وَأَقَامَ الْجُنْدِيُّ بَعْدَهُ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، وَسَافَرَ هُوَ وَالوَكِيلُ. فَلَمَّا قَرُبُوا مِنَ البَلَدِ تَلَقَّاهُمُ البَدَوِيُّ مِنْ بَلَدَيْنِ، وَقَالَ: حَلَّ وَاللَّهِ وَفَاءُ الدَّيْنِ.

ثُمَّ أَخْلَى لِلتُّرْكِيِّ دارَهُ، وَقَرَّبَ وَأَحْضَرَ الدَّجَاجَ وَالأَغْنَامَ. وَكَانَ قَدْ جَهَّزَهُمْ مِنْ عِدَّةِ أَيَّامٍ، وَأَنْزَلَ أُسْتَاذَهُ بِفَرْحَةٍ، وَقَالَ: عَلَى الرَّحْبِ وَالسَّعَةِ، وَاللَّه كَمَا قَرَّتْ عَيْنِي، وَاللَّيْلَةَ أُوفِي دَيْنِي.

ثُمَّ قَامَ وَدَخَلَ عَلَى زَوْجَتِهِ وَكَانَ اسْمُهَا مَيَاسَة -، وَقَالَ لَهَا: يَا مَيَاسَة، يَا مَلْعُونَةَ الأَبِ، مَا خَبَّيْتُكِ[4] إِلاَّ لِهَذَا اليَوْمِ.

وَقَالَ لَهَا: قُومِي إِلْبِسِي سَائِرَ حُلِيِّكِ[5]، وَاسْتَعِيرِي زَادَهْ، وَاعْمَلِي حَجُّولَكِ[6] وَمَزَادة، وَأَجْرَاسْكِي وَالقِلاَدَة، وَاسْتُرِينِي اللَّيْلَةَ مِنْ هَذَا الْجُنْدِيِّ، وَكُلَّمَا أَرَدْتِ لَكِ[7] عِنْدِي.

---

1) في الأصل: «هي أمره».
2) في تكملة المعاجم: 378/1 بطن: «مبطّنة: كساء مبطّن بالفرو».
3) في تكملة المعاجم: 429/8 قوي: «قوة: مساعدة، عون».
4) في الأصل: «خبيتكي».
5) في الأصل: «حليكي».
6) في الأصل: «لكي».
7) في الأصل: «أردتي لكي».

قَالَ:

فَنَهَضَتْ مَيَاسَة، فَأَوَّلُ مَا عَمِلَتْ وَأَصْلَحَتْ أَنَّهَا اغْتَسَلَتْ، وَتَنَشَّفَتْ، غَيَّرَتْ مَا عَلَيْهَا، وَأَصْلَحَتْ أُمُورَهَا، وَزَادَتْ فِي بَخُورِهَا، وَلَبِسَتْ كُلَّ مَا لَهَا، وَصَبِرَتْ إِلَى اللَّيْلِ.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ:

وَأَخَذَ البَدَوِيُّ بِيَدِهَا، وَأَحْضَرَهَا إِلَى عِنْدِ الْجُنْدِيِّ، وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ، وَقَبَّلَ الأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ.

قَالَ:

وَالبَدَوِيَّةُ قَدْ أَخْجَلَتِ الشَّمْسَ الْمُضِيئَةَ، وَهْيَ كَأَنَّهَا طَاوُوسٌ ذَكَرٌ. فَخَجِلَتْ وَجَلَسَتْ بَعْدَ مَا خَدمَتْ وَسَلَّمَتْ وَلِعَقْلِ الْجُنْدِيِّ سَلَبَتْ[1]، وَلِقَلْبِهِ اغْتَلَسَتْ[2]. وَقَالَ زَوْجُهَا: لَكَ الْمَعْذِرَةُ يَا خَوَنْد. هَا أَنَا قَدْ فَعَلْتُ غَايَةَ مَجْهُودِي، وَالوَكِيلُ مِنْ أَكْبَرِ شُهُودِي.

فَشَكَرَ الْجُنْدِيُّ لَهُ عَلَى حُسْنِ وَفَاهُ، وَأَعْطَاهُ البَدَوِيُّ قَفَاهُ، وَقَامَ الْجُنْدِيُّ غَلَقَ البَابَ وَرَاهُ، وَقَدْ زَالَ مَرَضُهُ، وَنَالَ مُنَاهُ. وَلِلْوَقْتِ ضَمَّهَا ضَمَّ الكَئِيبِ إِذَا فَازَ بِالْحَبِيبِ فِي غَيْبَةِ الرَّقِيبِ[3]، وَقَبَّلَ ثَغْرَهَا الْجَوْهَرِيَّ، وَرَشَفَ لَمَاهَا الكَوْثَرِيَّ.

قَالَ: وَقَالَ لَهَا: ما خذته قلبنا، فشّي وإلاّ زعتري[4].

---

1) في الأصل: «أسلبت».

2) في تكملة المعاجم: 423/7 غلس: «اغتلس: اختلس أي استلب الشّيء في نهزة ومخاتلة وتملّكه. ومغتلس: مختلس وهو من يمتلك الشّيء وبدون حقّ، واغتلس هذه تصحيف اختلس».

3) في الأصل: «الرّقيم».

4) كذا في الأصل، ولعلّه من الأمثال العامّيّة.

وَكَانَتِ البَدَوِيَّةُ مِنْ أَنْزَهِ الْمَبْنُوكَاتِ[1]، وَأَزْهَجِ وَأَغْلَمِ نِسَاءِ العَرَبِ وَأَغْنَجِهَا[2]، وَنَظَرَتْ شَابّ تُرْكِي مَلِيح، بِقَدٍّ رَجِيحٍ، فَوَقَعَتْ[3] مَحَبَّتُهُ فِي قَلْبِهَا، وَأَخْلَصَتْ لَهُ حُبَّهَا. وَلَمَّا أَخُذُوا مِنَ البَوْسِ وَالعِنَاقِ، وَالْجَسِّ[4] وَاللَّمْسِ وَالقَرْسِ[5] الكِفَايَةَ وَالنِّهَايَةَ، قَالَتْ: قُومْ اقْلِبْنِي عَلَى قَفَايَهْ، وَانْظُرْ إِلَى بَيَاضِ صُرَّتِي[6] مَعَ سَوَادِ عِينَيَّهْ الَّتِي كَأَنَّهُمْ عُيُونُ مَهَا وَحْشِيَّةٍ، وَهُمْ بِالكُحْلِ وَالغُنْجِ مَحْشِيَّةٍ، وَاحْنقْ عَلَى كُسِّي الْمُحَجَّبْ، جَعَلْتُكَ بَعْدَ أُمِّي وَأُخْتَيَّهْ، وَاجْبِدْ لِعَنْدِكْ سَاقَانِي، وَاثْنِي رُكْبَتَيَّهْ يَا مَجْعُولْ، بَغْدِينِي عَمِّيهْ يَا حِبَّانِي، وَادْنُ[7] مِنِّي، وانْظُرْ كُبْرْ فَشْخَةْ هَنِي، وَبَزِّقْهُ وَلاَ تَعْبُرْ بِهِ نَاشِفْ تِحْرَقْنِي وَأَعُودْ أَبْكِي. قُومْ ارْكَبْنِي وَسُوقْ وَدَاعِسْ، وَكُونْ فِي رْكُوبِكْ يَا حِبَّانِي فَارِسْ، وَأَتْبعِ الطَّعْنَه بِالطَّعْنه، وَسُلُّه وازْدِمْه وتانا وتمنعنا، وَلاَ تَحْرَقْنِي يَا للجبره يَا مَجْعُولْ، بَعْدَ الأَهْلِ وَالعَشِيرَةِ.

هَذَا، وَمَعَ كُلِّ كَلِمَةٍ شَرْقَةٌ وَشَهْقَةٌ. ثُمَّ نَامَتْ وَأَفْشَخَتْ تِلْكَ الْخِلْقَةُ. فَلَمَّا عَايَنَ التُّرْكِيُّ إِلَى فِعْلِهَا وَكِبرِ فَشْخِهَا، رَيَّقَهُ، وَخَنَقَهُ، وَحَكَّهُ، وَهْيَ تَتَخَاشَفُ[8]، وَقَصَدَ يَرْدِمُهُ، وَجَدَهُ كَأَنَّهُ مَغْرِبِيٌّ أَقْرَعٌ،

---

1) كذا في الأصل، ولعلّ الصّواب: «المنيوكات»، وفي تكملة المعاجم: 455/1 بنك: «بنك: أصل وسمت وطراز ونمط».

2) في الأصل: «أغنج».

3) في الأصل: «فوقع».

4) في الأصل: «الحسّ».

5) في تكملة المعاجم: 222/8 قرس: «قرس: تصحيف قرص».

6) في تكملة المعاجم: 434/6 صر: «الصّرّة: تحريف سرّة».

7) في الأصل: «ادنوا».

8) كذا في الأصل، ولعلّ الصّواب: «تتخاشف»، وفي تكملة المعاجم: 74/8 فشخ: «فشخ وتفشّخ: فرّق

نَاشِفٌ، فَبَقِيَ يَجْهَدُ أَنْ يُعَبِّرَ رَأْسَهُ مَعَ قُحْفِهِ[1] يَجِدْهُ أَصْلَبُ مِنْ كَفِّهِ، فَعَاوَدَ التَّبْزِيقَ، وَكَثَّرَ التَّزْلِيقَ إِلَى أَنْ تَسَهَّلَتِ الطَّرِيقُ، وَصَارَ يَطْعَنُ وَيَتَأَخَّرُ، وَالبَدَوِيَّةُ تَشْهَقُ وَتَشْخَرُ. فَلَمَّا أَنْ عَبَرَ بِشُرْبُوشِهِ[2] وَالطُّرْطُورِ، وَجَدَ فوجه[3] حَرَارَةً أَعْظَمَ مِنْ تَنُّورٍ، فَقَوِيَ تَزْنِيرُ صُلْبِهِ، وَحَمَلَ حَمْلَةً بِقُوَّةِ قَلْبِهِ، فَصَارَ يَصُرُّ فِي عُبُورِهِ صَرَّ الأَدِيمِ بِلَذَاذَةٍ وَلاَ لَذَاذَةِ نَعِيمِ إِلَى أَنْ أَطْبَقَ الشِّعرَةَ بِالشِّعْرَةِ، وَغَابَتْ جَمِيعُ تِلْكَ الْمَدْرَةِ[4]. وَالبَدَوِيَّةُ قَدْ تَزَايَدَ بُكَاؤُهَا وَغُنْجُهَا وَالشَّهِيقُ، وَعَلاَ حِسُّهَا حَتَّى سَمِعُوهُ مِنْ خَارِجِ الطَّرِيقِ.

قَالَ: وَصَارَتْ تَقُولُ: هَاتُهْ يَا حَبَّانِي، تفاح فَتْحِي، وَاسْفِقْ رَحِمِي مِنَ السَّاعَةِ إِلَى الصُّبْحِ، وَاسْمَعْ غُنْجِي، وَدْخُلِّي مِنْ فَتْحِي يَا طُولْ بُكَايْ وَنَدْبِي وَرَشْحِي.

وَهَذَا مَا جَرَى بَيْنَهُمَا وَدَارَ. وَالبَدَوِيُّ لَمَّا خَلَّى زَوْجَتَهُ، وَخَرَجَ مِنَ الدَّارِ، انْطَلَقَ فِي صُرْمِهِ النَّارُ، وَبَقِيَ عَقْلُهُ يَطِيشُ، وَهُوَاسُهُ يَزِيدُ، وَهُمْ فِي تِلْكَ النَّيْكِ اللَّذِيذِ، وَالسَّفْقِ الشَّدِيدِ. فَصَنَتَ البَدَوِيُّ،

بين ساقيه، مثل فرشخ»، وفيه: 102/4 خشف: «الخَشاف: شراب الزّبيب والمشمش والإجّاص».

1) في تكملة المعاجم: 188/8 قحف: «قُحف: جمجمة، رأس، رأس طاقية من الصّوف أو من اللّباد كان الفلاّحون بمصر يلبسونها، وهي مثل اللّبد في هذه الأيّام».

2) في تكملة المعاجم: 284/6 شربش: «الأصل: شُرْبُوش (ضبط الكلمة في «محيط المحيط»: سَرْبُوس) وتجمع على شرابيش وشرابش: قلنسوة عالية على شكل مثلّث يعتمر لها من غير عمامة، وهي العمرة المميّزة للأمراء. ولم تكن تلبس من قبل الفقهاء. وقد بطل استعمال الشربوش في الدّولة الجركسيّة».

3) كذا في الأصل بدون ضبط، وقد ضبطناها ترجيحا.

4) في تكملة المعاجم: 29/10 مدر: «مدرة وجمعها مدور: أكمة. هضبة، ربوة منعزلة صنعتها الطّبيعة أو يد الإنسان». ومن الأمثال فيه: «خذي يا سدرة ووِدّي يا مدرة» أو «هاتي يا سدرة وخذي يا مدرة»: كلّ ما يأتي به المزمار يأخذه الطّنبور، المال الحرام، أو المال الّذي تجنيه سريعا يذهب سريعا».

وَسَمِعَ غُنْجَهَا، وَتَسْفِيقَهُ عَلَيْهَا، وَرَهْجَهَا، فَصَارَ يَمْشِي وَيَقُولُ: إِنّك جال شِينْ، يَا مَا أَمَرِّ الدِّينْ. أَيْنَ أَرُوحُ وَأَيْنَ أَغْدِي، وَهَذِهِ الْمَصَائِبْ كُلَّهَا عَنْدِي؟

وَلَمْ يَزَلْ يُعَاوِدُ الْمَجِيءَ وَالرَّوَاحَ إِلَى أَنِ انْفَلَقَ الصَّبَاحُ. وَالتُّرْكِيُّ مَا فَارَقَ تِلْكَ اللَّيْلَةِ الصَّبِيَّةَ، وَلاَ نَزَلَ عَنْ تِلْكَ الْمُهْرَةِ العَرَبِيَّةِ. وَالبَدَوِيُّ مَا صَدَّقَ أَنْ يَنْقَضِيَ ذَلِكَ اللَّيْلُ الطَّوِيلُ، وَيَسْتَصْعِبُ قَضاءَ الدَّيْنِ، وَيَلْعَنُ الوَكِيلَ.

الْمَاجِرِيّة الرّابِعَة عَشْرَة[1]

قَالَ الْمُؤَلِّفُ (عَفَا اللَّهُ عَنْهُ)[2]:

وَمِنْ أَعْجَبِ مَا سَمِعْتُ، مِنْ دَوَاهِي النِّسَاءِ وَمَكْرِهِنَّ[3]، هَذِهِ الْمَاجِرِيَّةَ. وَذَلِكَ أَنَّ جُنْدِيّاً مُقَدَّمًا كَبِيراً[4] كَانَ لَهُ مَمْلُوكٌ صَغِيرٌ، كَأَنَّهُ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ[5]. وَكَانَ الْجُنْدِيُّ الْمَذْكُورُ مُعَاشِرٌ مُغَنِّيَةً[6]، وَتَابَتِ الْمُغَنِّيَةُ، وَتَزَوَّجَتْ بَعْضَ التُّجَّارِ الْمَيَاسِيرِ، وَانْصَلَحَ حَالُهَا مَعَهُ، وَتَابَتْ عَنِ الْفَسَادِ، إِلاَّ ذَلِكَ الْجُنْدِيَّ، أُسْتَاذَ ذَلِكَ الْمَمْلُوكِ، فَإِنَّهَا كَانَتْ تُوَاصِلُهُ فِي بَعْضِ الأَوْقَاتِ، وَتَجْلِسُ إِلَيْهِ فِي غَيْبَةِ زَوْجِهَا، الْخَمِيسَ وَالإِثْنَيْنِ.

قَالَ:

فَقُضِيَ مِنَ الأَمْرِ أَنَّ التُّرْكِيَّ شَرِبَ يُومْ مِنْ بَعْضِ الأَيَّامِ، فَافْتَكَرَ الصَّبِيَّةَ، زَوْجَةَ التَّاجِرِ الْمُشَارِ إِلَيْهِ، فَأَرْسَلَ مَمْلُوكَهُ الصَّغِيرَ إِلَيْهَا، وَقَالَ لَهُ: رُوح أَوَّلاً إِلَى دُكَّانِ التَّاجِرِ، فَإِنْ كَانَ فِي الدُّكَّانِ فَرُوحْ

---

1) في الأصل: «الرّابعة عشر».

2) قارن بما في نزهة الأبصار والأسماع، الباب السّابع (مخطوط باريس رقم 3072): ق 85ب وق 86أ وب.

3) في الأصل: «مكرهم».

4) في الأصل: «جندي مقدم كبير»، وفي نزهة الأبصار: «رجلا تركيّا».

5) في نزهة الأبصار: «فلقة قمر».

6) وفيه: «بعض نساء التّجّار».

إِلَيْهَا البَيْت، وَقُلْ لَهَا تَأْتِي إِلَيَّ عَاجِلْ[1]، وَإِنْ كَانَ دُكَّانُهُ مَقْفُولَة، فَزَوْجُهَا عِنْدَهَا، فَخَلِّ وَتَعَالَ.

قَالَ:

فَامْتَثَلَ الْمَمْلُوكُ أَمْرَ أُسْتَاذِهِ، وَرَاحَ إِلَى الدُّكَّانِ، فَوَجَدَ التَّاجِرَ فِي دُكَّانِهِ، وَهُوَ مَشْغُولٌ، فَعَرَّجَ إِلَى البَيْتِ حَتَّى دَخَلَ عَلَى زَوْجَةِ الرَّجُلِ. فَلَمَّا رَأَتْهُ قَامَتْ إِلَيْهِ، وَاعْتَنَقَتْهُ، وَضَمَّتْهُ بَيْنَ نُهُودِهَا، وَتَسَلَّمَتْ خَرَاطِيمَهُ، ثُمَّ قَبَضَتْ عَلَى زَبْرَتِهِ[2]، وَصَارَتْ تَغْمِزُهَا بِكَفِّهَا، وَشَهِقَتْ لَهُ شَهْقَةً، وَأَتْبَعَتِ الشَّهْقَةَ بِالشَّرْقَةِ، فَقَامَتْ زَبْرَةُ الْمَمْلُوكِ. ثُمَّ انْقَلَبَتْ عَلَى ظَهْرِهَا، وَأَخَذَتِ الْمَمْلُوكَ عَلَى صَدْرِهَا، وَمَلَصَتْ[3] سَرَاوِيلَهَا وَسَرَاوِيلَهُ، وَصَارَتْ تُعَلِّمُهُ[4]، وَتُولِجُهُ فِي رَحِمِهَا، وَتَرْفَعُ هِيَ مِنْ تَحْتِهِ، وَتَهُزُّ، وَتُغَرْبِلُ، وَتَضُمُّ، وَتُكَرْبِلُ.

قَالَ:

وَذَلِكَ مَمْلُوكٌ دُونَ البُلُوغِ، فَصَارَ يَرُوحُ وَيَجِي، وَلاَ يَعْرِفُ الإِنْزَالَ إِيشْ هُوَ يَكُونُ، وَلاَ الشَّهْوَةَ مَا هِيَ، وَإِنَّمَا يَفْعَلُ هَذَا عَبَثاً وَوَلَعاً[5]، وَجَاءَ هُوَ عَلَى دَفْقِهَا وَغَرَضِهَا لأَنَّهَا مَا مُرَادُهَا إِلاَّ التَّطْوِيل، وَأَخْرَجَهَا مِنْ عَقْلِهَا، وَغَيَّبَ عَنْهَا نُطْقَهَا. وَلَمْ تَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى

---

1) في نزهة الأبصار: «سيّدي يجي في هذا الوقت».

2) في تكملة المعاجم: 282/5 زبر: «زَبرة: ذكر الرّجل».

3) في نزخة الأبصار: «حلّت».

4) في تكملة المعاجم: 289/7 علم: «علّم: درّب».

5) في الأصل: «عبت وولع».

شَفَتْ مِنَ الْمَمْلُوكِ الغَلِيلَ، وَنَفَسٌ عَالِي، وَاخْتِلاَفُ أَصْوَاتٍ. وَلَمْ تَزَلْ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ[1].

فَاسْتَبْطَأَ الْجُنْدِيُّ مَمْلُوكَهُ، فَقَامَ فِي سُكْرِهِ[2]، وَأَتَى إِلَى بَيْتِ التَّاجِرِ، فَوَجَدَ البَابَ مَفْتُوحاً فَدَخَلَ فِي الدِّهْلِيزِ، وَتَنَحْنَحَ فَسَمِعَتِ الْمَرْأَةُ حِسَّ عَشِيقِهَا، فَنَهَضَتْ أَسْرَعَ مِنَ البَرْقِ، وَخَبَّتِ الْمَمْلُوكَ تَحْتَ السَّرِيرِ، وَخَرَجَتْ إِلَى مَعْشُوقِهَا، وَاسْتَقْبَلَتْهُ مِنَ البَابِ، وَحَمَلَتْهُ فَدَفَعَهَا وَدَمْدَمَ، وَقَالَ: أَيْنَ مَمْلُوكِي؟

فَقَالَتْ: مَا رَأَيْتُهُ يَا سُوِيدِي. هَاتِهِ السَّاعَةَ فِي كَبِيدِي[3]، وأَفْرِغْهُ فِي رَحِمِي.

وَحَمَلَتْهُ فِي حِضْنِهَا إِلَى أَنْ دَخَلَتِ البَيْتَ، وَمَا أَطْلَقَتْهُ دُونَ أَنْ أَرْكَبَتْهُ عَلَى صَدْرِهَا، بَعْدَ أَنْ أَصْلَحَتْ أَمْرَهَا، وَقَضَى شُغْلَهُ مِنْهَا. فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، وَإِذَا بِالتَّاجِرِ صَاحِبِ البَيْتِ جَاءَ لِحَاجَةٍ، فَأَحَسَّتْ بِهِ الْمَرْأَةُ فِي الدِّهْلِيزِ، وَصَاحَتْ عَلَى التُّرْكِيِّ، وَقَالَتْ لَهُ: أَدْرَكْنِي زَوْجِي، قُومْ السَّاعَةَ آخْرُجْ، وَأَشْهِرْ سَيْفَكَ[4]، وَإِذَا صَدَفَكَ لاَ تُكَلِّمْهُ، وَلاَ تَلْتَفِتْ إِلَيْهِ، بلْ آشْتُمْ وَدَمْدِمْ[5]، وَآهْمُرْ[6] عَلَيْهِ.

قَالَ:

---

1) في نزهة الأبصار: «ولم يزل على ذلك إلى نصف النّهار».

2) في الأصل: «سكر».

3) في نزهة الأبصار: «قم هاته في كبدي».

4) وبعده فيه: «وتكلّم بالتّركي».

5) في تكملة المعاجم: 401/4 دمدم: «دمدم: همهم، ودمدم الوحش: زمجر».

6) في تكملة المعاجم: 21/11 همر: «همر الكلب: أي أبدى نواجذه، وبعض العامّة تقول: همر، أي دمدم وصار شديدا».

فَقَامَ التُّرْكِيُّ، وَأَشْهَرَ سَيْفَهُ، وَخَرَجَ فَصَدَفَ زَوْجَ الْمَرْأَةِ، فَشَتَمَ وَهَمَرَ فَفَزِعَ الرَّجُلُ وَزَمَعَ، ثُمَّ دَخَلَ إِلَى البَيْتِ مُنْغَاضٌ، فَنَهَضَتْ إِلَيْهِ الفَاجِرَةُ، وَاسْتَقْبَلَتْهُ بِمَكْرِهَا وَدَهَائِهَا، وَقَالَتْ لَهُ: يَا رَجُل، أَتَدْرِي مَا بَالُ هَذَا الْجُنْدِيِّ؟

فَقَالَ التَّاجِرُ: مَا لَهُ وَمَا لِي؟ أَرَاهُ عِنْدَكِ[1]، وَصَدَفْتُهُ فِي الدِّهْلِيزِ، وَفِي يَدِهِ سَيْفٌ مَسْلُولٌ، وَهْوَ يَنْفُخُ وَيَشْتِمُ. فَمَا[2] حَالُهُ، وَمَا سَبَبُ هُجُومِهِ [عَلَى][3] بَيْتِي؟

فَقَالَتْ: يَا رَجُلْ، هَذَا جَارُنَا عِزُّ الدِّينِ بُكْتُمَّر، وَكَانَ مَمْلُوكُهُ أَذْنَبَ عِنْدَهُ ذَنْباً[4]، وَهْوَ سَكْرَانٌ فَسَلَّ سَيْفَهُ، وَقَامَ يَضْرِبُهُ، فَفَزِعَ وَهَربَ مِنْهُ، وَدَخَلَ إِلَى البَيْتِ، وَقَالَ لِي: يَا سِتِّي خَبِّينِي. فَرَحِمْتُهُ، وَخَبَّيْتُهُ تَحْتَ السَّرِيرِ. وَدَخَلَ أُسْتَاذُهُ وَرَاءَهُ، وَهَجَمَ عَلَيَّ، وَالسَّيْفُ فِي يَدِهِ، وَقَالَ: أَيْنَ مَمْلُوكِي؟ فَمَا جَاوَبْتُهُ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، فَفَتَّشَ عَلَيْهِ البَيْتَ فَأَعْمَاهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ السَّرِيرِ، فَمَا وَجَدَهُ، فَخَرَجَ مُنْغَاضْ، وَهْوَ يَشْتِمُ وَيُدَمْدِمُ الَّذِي مَا رَآهُ. فَهَذَا سَبَبُ دُخُولِهِ إِلَى عِنْدِي.

قَالَ: فَلَمَّا سَمِعَ التَّاجِرُ كَلَامَ زَوْجَتِهِ، انْطَلَى عَلَيْهِ الْمُحَالُ[5]، وَقَامَ إِلَيْهَا وَقَبَّلَ رَأْسَهَا، وَشَكَرَهَا عَلَى فِعْلِهَا، وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَا قَتَلَهُ عِنْدَنَا[6]. هَكَذَا تَكُونُ النِّسَاءُ الحَرَائِرُ المُعَدَّلَاتُ!

---

1) في الأصل: «عندكي».

2) في الأصل: «وما».

3) إضافة يقتضيها التّركيب.

4) في الأصل: «ذنب».

5) في نزهة الأبصار: «مكرها وخداعها».

6) في الأصل: «عندها»، والمثبت من نزهة الأبصار.

قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى إِلَى السَّرِيرِ، وَنَادَى: اخْرُجْ يَاوَلَدِي.

فَخَرَجَ الْمَمْلُوكُ مِنْ تَحْتِ السَّرِيرِ، وَمَلَّسَ[1] التَّاجِرُ عَلَى رَأْسِهِ، وَهَنَّاهُ بِالسَّلاَمَةِ، وَقَالَ لَهُ: يَا وَلَدِي، لاَ تُرَوِّحْ لَهُ هَذِهِ السَّاعَةَ، يَقْتُلُكَ فِي سُكْرِهِ[2]، وَاعْرِفْهَا لِزَوْجَتِي[3] فَإِنَّهَا كَانَتْ سَبَبَ خَلاَصِكَ مِنْ عَيْنِ الْمَوْتِ[4].

---

1) في تكملة المعاجم: 107/10 ملس: «ملّس على لحيته: داعب لحيته. وحين يراد أن يقال لأحدهم أنّ بإمكانه، أو ينبغي عليه، الرّحيل: ملّس على رأسك ورح، أو قم وملّس على رأسك».

2) في الأصل: «سكر».

3) في تكملة المعاجم: 181/7 عرف: «عرف: اعترف بالجميل، أقرّ بالفضل، يقال مثلا: اعرف لي هذه الفعلة».

4) أي من موت محقّق.



الْمَاجِرِيّةُ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ[1]

قَالَ الْمُؤَلِّفُ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ[2]:

حَدَّثَنِي بَعْضُ الرِّكِبْدَارِيَّةِ[3] بِمِصْرَ الْمَحْروسَةِ، يُقَالُ لَهُ مَسْعُود الْبُوزْ، قَالَ: حَكَى لِي صَدِيقٌ لِي يُقَالُ لَهُ أَحْمَدُ الرِّكِبْدَار بِمِصْرَ الْمَحْرُوسَةِ، قَالَ: حَكَى لِي صَدِيقٌ، يُقَالُ لَهُ أَحْمَدُ شُوَيْخ، مِهْتَارُ[4] شَمْسِ الدّينِ سنْقَرْ، فِي أَيَّامِ الْمَمْلَكَةِ النَّاصِرِيَّةِ، قَالَ إِنَّهُ كَانَ جُنْدِيّ خَطَائِيٌّ[5] قُحٌّ أَصِيلٌ، وَكَانَتْ لَهُ زَوْجَةٌ، لَهَا مِنَ الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ حَظٌّ وَافِرٌ. وَالْخَطَائِي عِنْدَهُ بَعْضُ تَغَفُّلٍ، وَهْوَ أَعْشَقُ خَلْقِ اللَّهِ فِي خَرَاطِيمِ زَوْجَتِهِ حَتَّى إِنَّهُ لاَ يُطِيقُ أَنَّهُ يُفَارِقُهَا لاَ لَيْلاً وَلاَ نَهَاراً[6].

وَكَانَتْ هِيَ تَكْرَهُهُ لِصِغَرِ أَيْرِهِ، وَتَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عَلَى هَذِهِ

---

1) في الأصل: «الخامسة عشر».

2) وبعده: «قال»، فأسقطناها.

3) في تكملة المعاجم: 202/5 ركب: «صاحب الرّكاب: مروّض الجياد، مثل ركِبْدَارْ وَرِكَابِي. وركَابْدار: صاحب الرّكاب، وقد كتِبت رِكِبْدَارْ». وفي المعجم الجامع: 102: «من «ركاب» العربيّة، و«دار» بمعنى الممسك والصّاحب، أي ممسك الرّكاب. وفي الاصطلاح يدلّ في العهد المملوكي على أحد حملة الغاشية (سرج من جلد مخزوز بالذّهب)، وكذلك على من يتولّى عدّة الخيل في الرّكابخانه».

4) في المعجم الجامع: 212: «من «مه» بمعنى الكبير، و«تر» أداة تفضيل في اللّغة الفارسيّة، أي الأكبر. مصطلح كان يطلق في العهد المملوكي على كبير كلّ طائفة من غلمان البيوت السّلطانيّة (المخازن السّلطانيّة) كمهتر الشرابخانه، ومهتر الركاب خانه، ومهتر الطشت خانه»، وفي تكملة المعاجم: 124/10 مهتر: «المهتر والمهتار: الأمير والوالي، والجمع مهاترة ومهتارية».

5) جاء في حواشي الشّرواني: 27: «خطائي، بتخفيف الطّاء، نسبة إلى خطاء، بلدة بالعجم».

6) في الأصل: «لا ليل ولا نهار».

الصُّورَةِ لأَنَّهُ كَانَ أَخذَهَا صَغِيرَةً، وَلاَ رَأَتْ عُمُرَهَا غَيْرَهُ. فَكَانَتْ تَحْمِلُ[1] ذَلِكَ عَلَى كُرْهٍ مِنْهَا. وَكَانَ لِزَوْجِهَا اصْطَبْلٌ تَحْتَ بَيْتِهَا، وَلَهُمْ عَلَيْهِ طَاقَةٌ[2] صَغِيرَةٌ، فَجَاءَتِ الصَّبِيَّةُ يَوْماً[3]، وَنَظَرَتْ مِنَ الطَّاقَةِ فَرَأَتِ الْحِصَانَ قَدْ أَدْلَى، وَهُوَ يُحَمْحِمُ، وَقَدْ أَلْصَقَ فَشْلَةَ[4] رَأْسِ أَيْرِهِ إِلَى تَحْتِ بَطْنِهِ، وَالْغُلاَمُ يَجُسُّهُ وَيَمَسُّهُ، فَضَحِكَتْ هِيَ مِنْ فَوْقٍ، وَكَرْكَرَتْ، وَشَهِقَتْ، وَقَالَتْ بِغُنْجٍ: يَا سَعَادَةَ الحِجْرَةِ[5] وَيَا بَخْتَهَا!

قَالَ:

فَسَمِعَ الغُلاَمُ ذَلِكَ، وَكَانَ اسْمُهُ زَعْتَر، فَعَلِمَ أَنَّهَا مِمَّنْ[6] تُحِبُّ الأَيْرَ الكَبِيرَ، وَكَانَ زَعْتَر مِمَّنْ حُظِيَ حَظّاً وَافِراً فِي ذَلِكَ. فَلَمَّا سَمِعَ كَلاَمَهَا، لَمْ يَكُنْ لَهُ دُوب إِلاَّ أَنَّهُ كَشَفَ ثَوْبَهُ، وَقَيَّمَ أَيْرَهُ، وَنَدَبَهُ، وَبَقِيَ يَقُولُ لِلْحِصَانِ: تَعَالَى قَايِسْنِي، بِسِتْرِهِ نَاطِحْنِي!

وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَتَغَافَلُ عَنِ التَّطَلُّعِ إِلَى فَوْق، وَالصَّبِيَّةُ وَاقِفَةٌ تَنْظُرُ. فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ غَابَ صَوَابُهَا، وَرَشَحَتْ حَتَّى بَلَّتْ سِيقَانَهَا لَمَّا عَايَنَتْ أَيرَ الغُلاَمِ، وَكَادَتْ تَرْمِي نَفْسَهَا،وَتَغَيَّرَتْ حَالَتُهَا، وَغَابَتْ عَنِ الوُجُودِ، وَصَارَ شَخْصُهَا مَفْقُودُ، وَقَالَتْ: هَكَذَا تَكُونُ النَّاسُ!

---

1) في تكملة المعاجم: 327/3 حمل: «حمل: احتمل».

2) في تكملة المعاجم: 95/7 طوق: «طاقة: مشكاة، كوّة في الحائط غير نافذة. والطّاقة عند المولّدين: نافذة في حائط المنزل ذات غلق، يفتح لدخول الضّوء والهواء عند الحاجة إليها، سمّيت به لانعطافها واستدارتها».

3) في الأصل: «يوم».

4) كذا في الأصل، والصّواب: «فيشلة»، وهو القضيب أو رأسه.

5) في تكملة المعاجم: 82/3 حجر: «الحِجْر والْحِجْرة: أنثى الخيل».

6) في الأصل: «من».

ثُمَّ دَخَلَتِ البَيْتَ، وَفِي قَلْبِهَا نَارٌ[1] لاَ تَطْفَى، وَلَهَبٌ[2] لاَ يَخْفَى[3]، وَغَرَفَتْ هِيَ ذَلِكَ اليَوْم لِلْمِهْتَارِ زَعْتَر زُبْدِي[4] بِهِ رَأْسُ الدَّسْتِ[5]، وَمِثْلُهَا لَهُ لَحم وَكَباب[6]، وَأَدْهَان، وَأَرْسَلَتْهَا لَهُ وَعَلَيْهَا رَغِيفَيْنِ، فَعَلِمَ الغُلاَمُ أَنَّهُ لاَقَ بِخَاطِرِهَا. هَذَا، وَالصَّبِيَّةُ صَارَتْ تُفَكِّرُ فِي اتِّصَالِهَا بِهِ، وَكَوْنِهِ لاَ يُفَارِقُهَا لَيْلاً وَلاَ نَهاراً[7]، فَقَصَّرَتْ عَنْ طَلَبِهِ، وَجَزَتْ عَنْ إِدْرَاكِ شَهْوَتِهَا، فَزَادَتْ بَلِيَّتُهَا، وَعَظُمَتْ مُصِيبَتُهَا.

وَكَانَ لَهَا دَايَةٌ عَجُوزٌ، كَبِيرَةٌ، طَاعِنَةٌ فِي السِّنِّ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهَا، وَأَحْضَرَتْهَا بَيْنَ يَدَيْهَا، ثُمَّ أَطْلَعَتْهَا عَلَى سِرِّهَا، وَأَوْضَحتْ لَهَا مَكْنُون أَمْرِهَا. فَافْتَكَرَتِ العَجُوزُ، وَوُفِّقَتْ فِي حِيَلِهَا وَمَكْرِهَا وَمَكِيدَتِهَا، فَانْفَتَحَ لَهَا بَابٌ، وَتَهَيَّأَتْ[8] لَهَا أَسْبَابٌ، وَقَالَتْ لَهَا: يَا بِنْتِي[9]، تَمَارَضِي حَتَّى يَتِمَّ لَنَا مَا نُرِيدُ، وَتَفُوزِي بِالعَرِيسِ الْجَدِيدِ، وَيَزُولُ عَنْكِ[10] الْهَمُّ وَالتَّنْكِيدُ.

قَالَ:

فَتَمَارَضَتِ الصَّبِيَّةُ، وَرَقَدَتْ فِي الفِرَاشِ مِنْ بُكْرَة إِلَى العَشِيَّةِ، فَخَرَجَ الْخَطَائِي مِنْ عَقْلِهِ، وَبَقِيَ كَأَنَّهُ مَجْنُونٌ لأَجْلِ عِشْقِهِ فِيهَا،

---

1) في الأصل: «نار».

2) في الأصل: «لهب».

3) كذا في الأصل، ولعلّ الصّواب: «يخبى أو يخبو».

4) في الأصل: «ربذ به»، وفي تكملة المعاجم: 281/5 ربد: «زبدي: إناء من الخزف الصّيني بلون الزّبد».

5) في تكملة المعاجم: 350/4 دست، ولكنّ معنى الجملة لا يستقيم، ولعلّ المقصود بالدّست هنا هو القدر.

6) في تكملة المعاجم: 19/9 كب: «كباب: لحم مشوي، والكباب، عند أهل المشرق، يطلق على اللّحم المشويّ على الجمر، والمشويّ في السّفّود».

7) في الأصل: «ليل ولا نهار».

8) في الأصل: «تهيّأ».

9) في الأصل: «ولدي».

10) في الأصل: «عنكي».

وَقُوَّةِ مَحَبَّتِهِ لَهَا، وَمَنَعَ العَشَاءَ تِلْكَ اللَّيْلَةِ. وَلَمَّا أَصْبَحَ اللَّهُ بِالصَّبَاحِ، وَأَضَاءَ بِنُورِهِ وَلاَحَ، حَضَرَتِ الدَّايَةُ، فَقَالَ لَهَا الْخَطَائِي: هَايْ حَجَّة، إِيشْ مَرضْ هَذَا خَاتُونْ، وَدَوَاهَا إِيشْ يَكُون؟ فَبِاللَّهِ إِنْتِ[1] دَاوِيهَا وَأَنَا، وَحَيَاتِي وَحَيَاةْ[2] رَاسِي، أُعْطِيكِ مَا طَلَبْتِ[3].

فَقَالَتِ الدَّايَةُ بِمَكْرٍ وَلَعْنة وَالْدِين[4]: يَا خُوند، هَذِهِ دَوَاهَا صَعْبٌ، لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ أَحَدٌ.

فَقَالَ الْخَطَائِي: هَايْ يَا دَايَة، إِنَّ لِلَّهِ عَلَيْهَا نِعْمَةٌ، وَمَعِي ذَهَبْ كَثِيرْ مِنْ عَهْدِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ[5]، وَمَهْمَا كَانَ دَوَاهَا دَاوَيْتُهَا بِهِ، وَلَوْ[6] أَنِّي أَبِيعُ أَقْطَاعِي[7] وَقُمَاشِي[8] وَخَيْلِي وَعُدَّتِي، وَأَبِيعُ خُبْزِي لِسِنِين لِقُدَّام، وَلاَ أُخَلِّي خَاتُون ضَعِيف.

فَقَالَتِ الدَّايَةُ: لاَ يَا خُونْدْ، دَوَاهَا مَا يُرِيدْ ذَهَبْ وَلاَ فِضَّة، إِلاَّ يَا خُونْدْ مَا يُمْكِن أَقُولُهْ.

---

1) في الأصل: «انتي».
2) في الأصل: «حيات».
3) في الأصل: «أعطيكي... طلبتي».
4) كذا في الأصل، ولم نوفّق في تحديد معناها.
5) الملك الصّالح نجم الدّين أيّوب بن الملك الكامل محمّد بن العادل أبي بكر بن أيّوب، لقّب بأبي الفتوح، ولد بالقاهرة 603 هـ، وتوفّي بالمنصورة 647 هـ، وهو سابع سلاطين بني أيوب بمصر. أنشأ المماليك البحريّة بمصر، ودخل في صراعات مع الملوك الأيّوبيّين في الشّام، وفي آخر سنة من حكمه تعرّضت مصر لحملة صليبيّة ضخمة عرفت بالحملة الصّليبيّة السّابعة بقيادة لويس التّاسع ملك فرنسا. توفّي الصّالح أيوب أثناء احتلال الفرنج لدمياط وخلفته أرملته شجرة الدّرّ الّتي تحمّلت بجسارة عبء الدّفاع عن مصر.
6) في الأصل: «لم».
7) في تكملة المعاجم: 318/8 قطع: «أقطع: أعطته ضريبة إقطاعيّة ؛ أقطع فلانا أخشابا: أذن له في قطعها».
8) في تكملة المعاجم: 381/8 قمش: «قماش: ملابس».

فَقَالَ: هَايْ قُولِيهْ، وَلاَ تَسْتَحِي مِنِّي فَأَنَا مَا أَنَا غَرِيبْ.

فَأَطْرَقَتْ العَجُوزُ الدَّهْرِيَّةُ[1] رَأْسَهَا إِلَى الأَرْضِ، وَحَرَّكَتْهَا بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ، فَأَلَحَّ عَلَيْهَا وَقَالَ: قُولِيهِ لِي فِي أُذُنِي.

فَجَاتْ بِهِ فِي خُلُوِّ مَكَانٍ[2]، وَقَالَتْ: يَا خُوند، اسْتَدْرِك فَرْطَكَ[3] فَإِنَّ السِّتّ خَاتُون كَانَتْ نَائِمَةً بِلاَ سَرَاوِيل، فَجَاءَ فَارْ صَغِير عَبَرْ فِي كُسِّهَا، وَلَهُ يُومِينْ، وَمَتَى قَعَدْ يُومْ آخَرْ أَكَلَ قَلْبَهَا، وَتَمُوت.

قَالَ:

فَلَمَّا سَمِعَ الْجُنْدِيُّ هَذَا الكَلاَمَ مِنَ الدَّايَةِ بَكَى، وَضَرَبَ بِعَمَامَتِهِ الأَرْضَ، وَقَالَ: بِاللَّه يَا دَايَة، مَا تَقْدِرِي تُدَاوِيهَا؟

فَقَالَتْ: دَوَاهَا مَا يهُونْ عَلِيكْ.

فَقَالَ: يَا دَايَة، قُولِيهِ لِي، مَا يُخْرُجْ هَذَا؟

قَالَت الْعَجُوزُ: مَا يُخْرُجْ هَذَا الفَارْ مِنْ كُسِّ امْرَأَتَكَ إِلاَّ مَنْ يَكُونُ زُبُّهُ كَبِيرْ، وَيَجُرُّ عَلَيْهِ كَثِيرْ، وَهَذَا بِحَمْدِ اللَّهِ مَا عِنْدَكَ مِنْهُ شَيْء!

قَالَ:

فَقَالَ الْجُنْدِيُّ: هَايْ دَايَة، نبنا[4] عِنْدَ اللَّهِ طَيِّبه، قَدْ قَرَّبَ اللَّهُ العَنَا، وَأَنَا أَعْرِفُ مَنْ فِيهِ هَذَا الوَصْفُ، وَمَا أَظُنُّهُ يَقُولْ لَنَا شَيْء لأَنَّ كَلاَمْنَا عِنْدَهُ مَسْمُوعْ، وَمَا يُخَالِفُ لَنَا قُولْ، وَنَزِيدْ فِي جَامِكِيَّتِهِ.

---

1) في تكملة المعاجم: 418/4 دهر: «دهري: أبيقوري، منغمس في اللّذّات».

2) في تكملة المعاجم: 196/4 خلو: «خُلُوّ: خلاء، خواء، فضاء».

3) في تكملة المعاجم: 47/8 فرط: «فرط فيها الفرْط: ماتت».

4) غير واضحة في الأصل.

فَقَالَتْ لَهُ الدَّايَةُ، وَقَدْ أَظْهَرَتْ الفَرَحَ: وَأَنْتَ يَا خُونِدْ إِذَا حَكَمْتَ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ، مَا يِقْدِرْ يخَالْفِكْ؟

قَالَ: هَايْ لاَ.

قَالَ:

فَعِنْدَ ذَلِكَ طَلَبَ الْخَطَائِي لِلْوَقْتِ الغُلاَمَ زَعْتَرْ، صَاحِبُ الوَلِيمَةِ وَالكَلاَمِ، فَحَضَرَ وَبَدَأَ بِالسَّلاَمِ، فَلاَطَفَهُ الْخَطَائِي بِلِينِ الكَلاَمِ: هَايْ هَايْ[1]، كَمْ لَكَ عِنْدَنَا جَامِكِيَّة مَكْسُورَة؟

فَقَالَ: يَا خُوند شَهْرِينْ.

فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُمْ، ثُمَّ سَلَّفَهُ شَهْر آخَرْ لِقُدَّام، وَقَالَ: هَايْ هَايْ، اسْمَعْ يَا مِهْتَارْ، أَنْت عِنْدَنَا مُوَقَّرْ وَمُحْتَرَمْ، وَفِي مَنْزِلَةِ الوَلَدِ، وَلَكَ عَلَيْنَا خَدَامَة[2]. وَالقَصْدُ أَنّ لِي إِلَيْكَ حَاجَة لاَ تَقُولْ لِي فِيهَا لاَ.

قَالَ:

فَلَمَّا سَمِعَ الغُلاَمُ هَذَا الكَلاَمَ، قَالَ: اللَّهْ اللَّهْ يَا خُونِدْ، أَنْتَ مَخْدُومِي، لَوْ أَمَرْتَنِي أُلْقِي نَفْسِي فِي البِيرْ لَفَعَلِتْ، وَمَا يكُونْ كَثِيرْ.

قَالَ الْخَطَائِي: حَاشَاكْ. بِيتِي ضَعِيفْ[3]، وَدَوَاهَا أَنْتَ لأَنَّكَ تَقْدِرُ عَلَيْهِ.

ثُمَّ عَرَّفَهُ القَضِيَّةَ، فَقَالَ الغُلاَمُ: يَا مَخْدُوم، أَنَا غُلاَمِكْ وَغُلاَمْهُمْ، إِيشْ أَقْدِرْ أَقُولْ؟ مَا أَقْدِرْ أَخَالِفْ مَرْسُومِكْ[4]!

---

1) وبعده في الأصل: «قسمُر»، وهي كلمة نعذّر علينا قراءتها، فأسقطناها.

2) في الأصل: «خدم»، والمثبت من تكملة المعاجم: 32/4 خدم: «خدامة: خدمة».

3) في تكملة المعاجم: 513/6 ضعف: «مرض، تمرّض، ومصدره عند العامّة ضُعْف».

4) في تكملة المعاجم: 140/5 ريم: «مرسوم، وتجمع على مراسيم ومراسم: أمر، أمر الأمير، وبخاصّة

قَالَ:

فَفَرِحَ الْخَطَائِي الْمَحْزُونُ، ثُمَّ أَخَذَهُ بِيَدِهِ، وَطَلَعَ بِهِ إِلَى عِنْدِ زَوْجَتِهِ، فَقَالَتِ الْعَجُوزُ: خَلِّيهْ يَجِي يَدْخُلِ البَشْخَانَهْ[1]، وَتَعْبُرْ خَاتُونْ عَنْهُ فَرْحَانَه، وَأَنْت يَا خُونْدْ، خُذْ قَوسْ، وَأَوْتِرْهُ[2] نُشَّابْ، وَٱقْعُدْ آرْصُدْ الفَارْ وَقِتْ يُخْرُجْ مِنِ الأَشْفَارْ، لاَ يُهْرُبْ وَيُخْرُجْ مِنَ الدَّارْ، وَانْتَظِرْهُ سَاعِةْ يُخْرُجْ أَرْمِيهْ، واَحْرِصْ عَلَى أَنَّكْ تِصِيبُهْ وَلاَ تُخْطِيهْ، وَقَدْ بَلَغْتَ مَا تَشْتَهِيهْ!

ثُمَّ زَعَقَتْ لِلْغُلاَمِ زَعْتَرْ، فَعَبَرَ البَشْخَانَهْ، وَعَبَرَتْ خَاتُونْ مَعَهُ سَكْرَانَه، وَفِي عِشْقِهِ غَرْقَانَة[3] حَيْرَانَة. وَلِلْوَقْتِ قَلَبْهَا، وَسَلَتَتْ[4] هِيَ سَرَاوِيلَهَا، وَعَرَضَتْ[5] عَلَيْهِ نَفْسَهَا وَسِيقَانَهَا، ثُمَّ تَعَلَّقَتْ فِي حَلْقِهِ، وَأَرْخَتْ عَلَيْهِ مِنَ الغُنْجِ بِالتُّرْكِي مَا جرَّ عَقْلَهُ، وَأَذْهَلَ لبَّهُ. ثُمَّ أَصْلَحَتْ أَمْرَهَا، وَكَشَفَتْ عَنْ حِرِهَا، فَبَانَ كُسٌّ مُقَبْقَبٌ[6]، أَبْيَضُ، كَافُورِي، عَرِيضُ الأَكْتَافِ، نَاشِفٌ، ضَيِّقُ الْمَزَمِّ[7]، فَوَثَبَ لَهُ زَعْتَرُ عَلَى القَدَمْ، وَقَيَّمَ لَهُ ذَلِكَ الأَيْرَ الْمُحْتَشِمْ، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ حَصَلَ لِخَاتُون ذَلِكَ الأَلَمْ.

أمر مكتوب».

1) في تكملة المعاجم: 348/1: «بشخانه، بالفارسيّة «بشه خانه»، وتجمع على بشاخين: كِلّة، ناموسيّة، وزخارف السّرير أو الغرفة لصيانة الحشايا والمخدّات، والسّرير ذو الكِلّة، أو الغرفة ذات الكِلّة».

2) في الأصل: «فرده».

3) في الأصل: «عرقانه».

4) في تكملة المعاجم: 116/6 سلت: «سلت الخيط: سلّه وسحبه».

5) في الأصل: «أعرضت».

6) في تكملة المعاجم: 174/8 قبب: «شيء مقبقب: ناعم سمين، كناية عن فرج المرأة».

7) في تكملة المعاجم: 345/5 زمم: «مزمّ: حصن، ثغر، وجمعه مزمّات»، والكلمة كناية عن امتناع الفرج.

وَلِلْوَقْتِ قَلَبَهَا[1]، وَرَكِبَهَا، وَجَعَلَ فِي صَدْرِهَا رُكَبَهَا، وَتَنَاوَلَ سِيقَانَهَا، وَرَدَّهُمْ إِلَى خَلْفِ آذَانِهَا. ثُمَّ نَدَبَهُ، وَخَنَقَهُ، وَرَيَّقَهُ، وَحَكَّهُ، وَشَيَّفَهُ، وَكَحلَهُ، وَزَرَّقَهُ، وَغَمَّقَهُ، ثُمَّ طَبَّقَهُ، وَسَفَقَهُ، وَرَصَعَهُ، وَلَصَّقَهُ، وَسَلَّهُ، وَصَفَقَهُ. هَذَا، وَالصَّبِيَّةُ قَدْ وَقَعَتْ يلقيه[2] أَيْرِه، يَجِي أَرْبَعَ قَنَاطِيرَ نَقِيَّة، فَسَدَّ كُسُّهَا، وَعَلاَ حِسُّهَا. وَقَدْ مَدَّ أَنْفَاسَهَا، وَعَلاَ غُنْجُهَا وَحِسُّهَا، وَقَدَّ أَنْقَاسَهَا، وَأَطَارَ مَرَضِهَا مِنْ أَرْوَاسِهَا.

وَصَارَتْ تُعْطِيهِ الشَّهِيقَ وَالنَّهِيقَ، وَالبُكَاءَ، وَالغُنْجَ الرَّقِيقَ، فَلَذَّ لَهُ ذَلِكَ الغُنْجُ الْمَوْصُوفُ، مَعَ ذَلِكَ الكُسِّ الأَبْيَضِ، الْمَوْضُوفِ[3] الْمَنْتُوفِ، فَسَحَقَ، وَزَلَّقَ، وَطَوَّلَ، وَعَمَّقَ، وَالصَّبِيَّةُ قَدْ فَارَقَتْ نَفْسَهَا، وَأَفْسَحَتْ كُسَّهَا، حَتَّى خَمَدَ حِسُّهَا، وَبِهِ ذَبُلَتْ[4] عَبْوَتُهَا، وَجَاءَتْهَا حُسَيْنَتُهَا. وَصَارَتْ تَغْنُجُ، وَتَرْفَعُ وَتَشْهَقُ، وَتَخْضَعُ، وَتُصَلِّعُ[5] ذَلِكَ الأَقْرَعَ[6]، وَزَعْتَر يَرْصَعُ، وَقَدْ أَشْفَى غَلِيلَ فُؤَادِهَا، وَوَصَلَ بِأَيْرِهِ إِلَى أُمِّ أَوْلاَدِهَا[7]، فَطَابَ لَهَا شُغْلُ الْمِهْتَارِ لَمَّا فَتَّشَ وَتَكَثَّرَ[8] فِي طَلَبِ الفَارْ، وَهَرِبَ، وَذَهَبَ العِرْقُ الْمُحْكَمُ[9] مِنْ

1) في الأصل: «اقلبها».
2) كذا في الأصل، وقد تعذّر علينا قراءتها.
3) كذا في الأصل، ولا يستقيم معناها مع السّياق ؛ انظر: تكملة المعاجم: 80/11 وضف.
4) في الأصل: «وبه وذبلت».
5) كذا في الأصل، وفي تكملة المعاجم: 464/6 صلع: «صلّع الأمر: بالغ في تكشيفه، وهو من كلام العامّة».
6) كناية عن الفرج.
7) في تكملة المعاجم: 184/1: «أمّ الأولاد: الرّحم».
8) في تكملة المعاجم: 37/9 كثر: «كثّر: جاوز الحدّ، غالى، وتكثّر: تفوّق على غيره، وفاقه، وفضله».
9) كذا في الأصل، ولعلّ المقصود، كما في تكملة المعاجم: 192/7 عرق: «عرق الموت: تطلق مجازا على أكبر كارثة».

رَحِمِهَا، وَذَهَبَ البُخَار

قَالَ الرَّاوِي لِهَذَا الْحَدِيثِ العَجِيبِ، وَالأَمْرِ الْمُطْرِبِ الغَرِيبِ:

وَهَذَا كُلُّهُ يَجْرِي بَيْنَ زَعْتَر وَخَاتُون، وَالْخَطَائِي الْمَحْزُونْ فِي انْتِظَارٍ وَغُبُونْ، وَقَدْ أَوْتَرَ قَوْسَهُ، وَعَبَّأَ جَعْبَتَهُ، وَأَخَذَ فَرْدَةَ يَاسِجْ[1]، وَقَعَدَ عَلَى رُكْبَتَيْهِ[2] يَنْظُرُ خُرُوجَ الفَارِ مِنْ رَحِمِ زَوْجَتِهِ. وَالصَّبِيَّةُ قَدْ لَذَّ لَهَا ذَلِكَ الأَيْرُ الكَبِيرُ، الَّذِي يُنَاطِي أُيُورَةَ الْحَمِيرِ، فَزَادَتْ هِيَ لَهُ فِي الشَّخِيرِ وَالنَّخِيرِ. وَالغُلاَمُ قَدْ سَدَّ، وَرَدَّ، وَجَدَّ، وَمَدَّ، وَجَرَّ عَلَيْهَا، وَطَوَّلَ الْهَزَّ. فَلِلَّهِ دَرُّ الْمُشَمِّرِ[3]! مَا كَانَ أَفْرَسَهُ مِنْ زَعْتَرْ! كَانَ يَحْمِلُ عَلَيْهَا، وَيَنَاجِزُ، وَيَطْعَنُ[4] طَعَنَاتٍ، وَلاَ طَعَنَاتِ عَنْتَرْ، فَأَبْرَأَ مَرَضَهَا، وَمَا قَصَّرَ.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ:

هَذَا، وَالعَجُوزُ الدَّايَةُ قَدْ أَخَذَتْ مَعَهَا فَارْ صَغِيرْ فِي عُلْبَة، وَأَوْصَتْهَا إِذَا فَرَغَ غَرَضُهَا، وَبَرِئَ مَرَضُهَا، تُطْلِقِ الفَارَ حَتَّى يَرْمِيهِ ذَلِكَ الْجَالِسُ بِوسْطِ الدَّارِ، الَّذِي قَدْ قَتَلَهُ الانْتِظَارُ. وَلَمْ يَزَلِ الغُلاَمُ يَنْجُرُهَا، وَيَنْحَتُهَا حَتَّى كَمَّلَ الوَاحِدَ، وَأَشْفَى غُلْمَتَهَا، مَعَ مُوَافَقَتِهَا لَهُ بِحُسَيْنَتِهَا. وَلَمْ يَكْفِهَا الوَاحِدُ حَتَّى قَعَدَ وَثَنَّى، ثُمَّ قَامَ وَجَرَّ فِي الثَّانِي وَطَوَّلَ، وَأَعْطَتْهُ مِنَ الغُنْجِ مَا لاَ سَمِعَهُ مِنْهَا فِي الأَوَّلِ.

وَلَمْ يَزَلْ يَجُرُّ، وَيَسُدُّ، وَيَرُدُّ، وَيَمُدُّ، وَيَجِدُّ حَتَّى أَشْفَى فُؤَادَهَا،

---

1) كذا في الأصل، ولعلّ المقصود أنّه وقف قريبا من الباب، ففي تكملة المعاجم: 39/8 فرد أنّ «فردة: مصراع باب، دفّة باب».

2) في الأصل: «ركبته».

3) غير واضحة في الأصل.

4) في الأصل: «يطن».

وَبَلَغَ مُرَادَهَا. وَكَانَتْ مَعَهُ فِي يَوْمٍ مَا رَأَتْهُ[1] طُولَ عُمْرِهَا. وَمَا خَالَفَ هُوَ أَمْرَهَا. وَلَمْ يَزَلْ يَجُرُّ فِي الثَّانِي إِلَى بَعْدِ العَصْرِ، وَرَاحَتْ رُوحُ الْخَطَائِي تَخْرُجُ انْتِظَاراً، وَطُولَ الْحَصْرِ. وَقَدْ جَابَ لَهَا حُسَيْنَتَهَا فِي الثَّانِي ثَلاَثَ دُفُوعٍ إِلَى أَنْ بَكَتْ مِنْهُ بِالدُّمُوعِ، وَغُشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْخُشُوعِ، وَغَابَتْ عَنْ رُشْدِهَا مِنَ الْهُمُومِ، وَأَشَارَتْ إِلَى الدَّايَةِ بِيَدِهَا، وَهْيَ مِنَ اللَّذَاذَةِ قَدْ غُشِيَ عَلَيْهَا، فَأَطْلَقَتِ الدَّايَةُ الفَارَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنَ الْخَطَائِي الْحِمَارِ، فَرَآهُ قَدْ أَخْطَأَهُ، وَمَا أَفَادَهُ الانْتِظَارُ، فَعَضَّ يَدَهُ غَيْظاً وَنَدَماً[2].

وَقَامَ الغُلاَمُ وَاقِفاً لَهُ عَلَى القَدَمْ، بَعْدَ مَا أَبْرَأَ خَاتُونْ مِنَ الأَلَمْ، وَخَرَجَ بَعْدَ مَا لِلْخَطَائِي خَدَمْ. وَصَارَتْ خَاتُون كُلَّمَا اشْتَاقَتْ لِذَلِكَ القَتَّالِ الصَّدَّامِ تَمَارَضَتْ فِي الكَلاَمِ، وَطَلَعَ زَعْتَر دَاوَاهَا. وَالسَّلاَمُ.

---

1) في الأصل: «أعطتها».

2) في الأصل: «غيض وندم».

الْمَاجِرِيَّةُ السَّادِسَةَ عَشْرَةَ[1]

قَالَ الْمُؤَلِّفُ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ:

مِنْ أَعْجَبِ مَا حُكِيَ لِي، وَسَمِعْتُهُ مِنْ حِيَلِ النِّسَاءِ الْمَاكِرَاتِ بِأَزْوَاجِهِمْ الْمَتَغَفِّلِينَ، هَذِهْ الْمَاجِرِيَّةَ، وَهْيَ نَظِيرَةُ هَذِهِ الْمَاجِرِيَّةِ الَّتِي[2] سَبَقَ ذِكْرُهَا. وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ إِنْسَانٌ مِنَ الْمَيَاسِيرِ الأَعْيَانِ، صَاحِبُ دُنْيَا وَدِينٍ، وَعِزٍّ وَتَمْكِينٍ، وَرِيَاسَةٍ وَإِمْكَانٍ، وَحُسْنٍ وَإِحْسَان. وَكَانَ عِنْدَهُ بَعْضُ تَغَفُّلٍ. وَلَهُ زَوْجَةٌ ذَاتُ حُسْنٍ رَائِقٍ، وَجَمَالٍ فَائِقٍ، وَقَدٍّ أَهْيَف، وَحُسْنِ أَطْرَافٍ، مَلِيحَةُ القَوَامِ، حَسَنَةُ الابْتِسَامِ، لَطِيفَةُ الأَنَامِلِ[3]، ظَرِيفَةُ الشَّمَائِلِ، ذَاتُ طَرْفٍ أَدْعَج، وَسَاقٍ مُدَمْلَج، وَجَبِينٍ زَاهِر، وَطَرْفٍ سَاحِر، وَعُيُونٍ مِرَاضٍ، وَأَشْفَارٍ غِلاَظٍ، وَكُسٌّ لَهُ أَرْكَانٌ، وَقُبَّةٌ، وَمَعَالِمٌ وَرُتْبَةٌ. وَكَانَ زَوْجُهَا لَهَا عَاشِق، وَبِهَا وَاثِق.

قَالَ:

وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ لَهَا حِرِّيفٌ كَيِّسٌ ظَرِيفٌ، وَكَانَتْ تُحِبُّهُ وَتَهْوَاهُ، وَتَتَمَنَّى كُلَّ سَاعَةٍ لُقْيَاه لأَنَّ أَيْرَهُ كَانَ دَوَاهَا، وَبِهِ كَانَتْ تَبْلُغُ مُنَاهَا.

---

1) في الأصل: «السّادسة عشر».

2) في الأصل: «الّذي».

3) في الأصل: «الأنام».

فَقُدِّرَ أَنَّهُ اجْتَمَعَ بِهَا يَوْماً[1] مِنَ الأَيَّامِ، وَقَالَ لَهَا بَعْدَ مَا نَاكَهَا وَحَيِّدْ عَلَى الرُّخَامْ: أَنْتِ[2] تُحِبِّينِي؟

قَالَتْ: أَيْ وَحَيَاة عَيْرِكْ[3] عَلَى كُسِّي، يَا عَزِيزْ عِينِي.

قَالَ: فَإِنْ كُنْتِ[4] صَادِقَة الدَّعْوَةِ، كَمَا زَعَمْتِ، فَدَعِينِي أَنِيكُكِ[5] قُدَّامَ زَوْجِكِ[6]، وَإِلاَّ مَا تَعُودِي تَرَيْنِي عِنْدَكِ[7] أَبداً مَا قَامَ قَائِمٌ وَقَعَدَ.

قَالَتْ: لِيشْ يَا سْوِيدِي، وإيشْ خَطَرْ لَكَ فِي هَذَا الفِعْلِ؟!

قَالَ: خَطَرْ لِي، وَلاَ بُدَّ مِنْ ذَلِكَ، وَالسَّلاَمُ عَلَيْكِ.

فَقَالَتْ: يَا حَبِيبِي، كَيْفَ أَعْمَلْ؟ وَزَوْجِي يَهُونْ عَلِيهْ؟

قَالَ: أَوْسِعِي الْحِيلَةَ، وَإِلاَّ أَنَا أُخَلِّيكِ[8]، وَأَمْضِي إِلَى حَالِ سَبِيلِي، وَلاَ تَرْجَعِي تَسْمَعِي لِي خَبَرْ، وَلاَ تَقَعِي لِي عَلَى حِلْيَةِ الأَثَرْ.

قَالَ:

فَلَمَّا سَمِعَتِ الصَّبِيَّةُ مِنْ عَشِيقِهَا هَذَا الكَلاَمِ، قَالَتْ: يُوهْ يَا سْوِيدِي! بِاللَّهِ، لَنْ تُخَلِّينِي يَا حَبِيبِي، وَشَعْرَةٌ مِنْ بَدَنِكَ عِنْدِي خَيْر مِنْ سِتُّمائةِ زَوْج، وَلَكِنْ آصْبُرْ عَلَيَّ قَلِيلاً[9] حَتَّى أُدَبِّرَ إِيشْ أَعْمَلْ.

فَقَالَ العَشِيقُ: هَا أَنَا صَابِرٌ.

---

1) في الأصل: «يوم».
2) في الأصل: «أنتي».
3) كناية عن الذّكر، والعير هو الحمار الوحشيّ.
4) في الأصل: «كنتي».
5) في الأصل: «أنيككي».
6) في الأصل: «زوجكي».
7) في الأصل: «عندكي».
8) في الأصل: «أخلّيكي»، وفي تكملة المعاجم: 192/4 خلو: «خلّى: ترك».
9) في الأصل: «عليّا قليل».

ثُمَّ إِنَّهُ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا، وَذَهَبَ إِلَى حَالِ سَبِيلِهِ. وَأَمَّا هِيَ فَإِنَّهَا وَقَعَتْ فِي بِحَارِ الأَفْكَارِ، وَغَاصَتْ فِي لُجَجِ الأَخْطَارِ، وَقَاسَتْ، وَقَطَعَتْ، وَفَتَحَتْ، وَغَلَقَتْ[1]، فَاسْتَدَّتْ[2] عَلَيْهَا الأَبْوَابُ، وَانْقَطَعَتْ عَنْهَا الأَسْبَابُ، فَضَاقَ صَدْرُهَا، وَعِيلَ صَبْرُهَا. فَبَيْنَمَا هِيَ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَتْ عَلَيْهَا دَايَةٌ لَهَا عَجُوزٌ، فَرَأَتْهَا عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ، فَقَالَتْ لَهَا: مَا بَالُكِ يَا بِنْتِي؟

فَأَعَادَتِ الصَّبِيَّةُ عَلَيْهَا الْحَدِيثَ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ، وَكَيْفَ طَلَبَ مِنْهَا عَشِيقُهَا أَنْ يَعْمَلَ[3] لَهَا قُدَّامَ زَوْجِهَا، وَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ، حَلَفَ مَا يَرْجَعْ يُصَادِقُنِي، وَلاَ يَطْلَعُ لِي.

قَالَ:

فَلَمَّا اسْتَوْعَبَتِ العَجُوزُ هَذَا الكَلاَمَ مِنَ الصَّبِيَّةِ، ضَحِكَتْ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهَا الكِبَارُ، الَّذِينَ كَأَنَّهُمْ أَنْيَابُ الكِلاَبِ، وَقَالَتْ: يَا بُنَيَّة، حُزْنُكِ[4] وَضِقَانُ صَدْرِكِ[5] لأَجْلِ هَذَا الْحَالِ لاَ غَيْرَ؟! هَذَا أَهْوَنُ شَيْءٍ يَكُون، فَتَمَارَضِي حَتَّى يَتِمَّ لَنَا مَا نُرِيدُ، وَتَصِلِي إِلَى هَذَا الأَمْرِ، وَتَبْلُغِيهِ.

ثُمَّ أَوْصَتْهَا بِمَا تَفْعَلُ بَعْدَ ذَلِكَ. فَلَمَّا سَمِعَتْ الصَّبِيَّةُ مِنَ العَجُوزِ هَذَا الكَلاَمَ وَالنَّثْرَ وَالنِّظَامَ، فَرِحَتْ فَرَحاً شَدِيداً مَا عَلَيْهِ مِنْ مَزِيدٍ. ثُمَّ

---

1) الأفعال الأربعة بمعنى: «فكّرت».

2) كذا في الأصل، وهي تحريف: «انسدّت».

3) في تكملة المعاجم: 311/7 عمل: «عمل: وطئ، نكح».

4) في الأصل: «حزنكي».

5) في الأصل: «صدركي».

إِنَّهَا غَلَّتْ قَلِيلَ تِبْنٍ وَمَاءٍ، وَشَرِبَتْ مَاءَهُ، وَغَسَلَتْ بِهِ وَجْهَهَا، فَعَادَ كَالزِّرْنِيخِ[1] الأَصْفَرِ، وَوَرِمَ بَطْنُهَا، وَابْيَضَّتْ شَفَتَاهَا، وَتَغَيَّرَتْ حَالَتُهَا. ثُمَّ عَمِلَتْ لَهَا وَرْساً[2] عَلَى أَصْدَاغِهَا، وَعَصَبَتْ رَأْسَهَا، وَرَقَدَتْ فِي الفِرَاشِ، فَكَأَنَّهَا كَانَتْ ضَعِيفَةً مِنْ مِائَةِ سَنَةٍ.

قَالَ:

فَأَتَى زَوْجُهَا آخِرَ النَّهَارِ فَوَجَدَ سِتَّنَا عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ، فَغَطَسَ قَلْبُهُ مَا طَلَعَ إِلَى شَطَّنَوْفْ[3]، ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَى عِنْدِهَا فِي الفِرَاشِ، وَلاَ زَالَ يُحَدِّثُهَا، وَهْيَ لاَ تَعْقِلُ عَلَى نَفْسِهَا، وَقَالَ: مَا بَالُكِ هَكَذَا؟

فَقَالَتْ لَهُ: يَا رَجُلْ بَامُوتْ، أُبَرِّي ذِمَّتِي.

فَقَالَ: يَا جَمِيلَ السِّتْر. لاَ بِاللَّهِ.

ثُمَّ ضَرَبَ بِعِمَامَتِهِ الأَرْضَ، وَجَلَسَ يَبْكِي، وَمَنَعَ العَشَاءَ تِلْكَ اللَّيْلَة، وَبَاتَ فِي أَنْحَسِ مَبِيتٍ. وَأَمَّا هِيَ فَإِنَّهَا مَا نَامَتْ اللَّيْلَ[4]، تَتَقَلَّبُ مِنْ جَنْبٍ إِلَى جَنْبٍ، وَتَبْكِي، وَتَئِنُّ، وَتَوَدِّعُ الدُّنْيَا. وَهْوَ، كُلَّمَا شَاهَدَ ذَلِكَ مِنْهَا، يَتَقَطَّعُ قَلْبُهُ فِي فُؤَادِهِ[5].

---

1) في تكملة المعاجم: 318/5 زرنيخ: «رهج أصفر، أصفر ملوكي»، وزاد في الحاشية، نقلا عن ابن البيطار: 160/2: «زرنيخ: هو ألوان كثيرة، فمنه الأصفر والأحمر والزّبرج والأغبر. وفي الأصفر والأحمر منه ذهبيّة في المنظر، وليست بذهبيّة على الحقيقة»، وفي شفاء الغليل: 168 أنّه «فارسيّ معرّب».

2) في الأصل: «ورس»، وفي تاج العروس (ورس): «الورس: نبات كالسّمسم يصبغ به، فإذا جفّ عند إدراكه تفتّقت خرائطه، تتّخذ منه الغمرة للوجه».

3) في معجم البلدان: 344/3: «بفتح أوّله، وتشديد ثانيه، وفتح النّون، وآخره فاء: بلد بمصر من نواحي كورة الغربيّة، عنده يفترق النّيل فرقتين: فرقة تمضي شرقيّا إلى تنّيس، وفرقة تمضي غربيّا إلى رشيد على فرسخين من القاهرة».

4) في الأصل: «الأيل».

5) كذا في الأصل، ولعلّ الصّواب: «في صدره».

قَالَ:

وَمَا زَالَتْ هِيَ وَإِيَّاهُ عَلَى ذَلِكَ الْحَالِ إِلَى أَنْ أَصْبَحَ الصَّبَاحُ، فَقَالَتْ لَهُ بِضَعِيفِ الكَلاَمِ: يَا رَجُلْ، اِلْحَقْنِي بِأُمِّ صَلاَح دَايَتِي.

فَقَامَ سَعْياً مُهْرِولاً إِلَى ببَيْتِ العَجُوزِ، الَّتِي لَيْسَتْ بِصَالِحَةٍ، [بَلْ][1] أُمّ فَسَادٍ، فَقَالَ لَهَا: قُومِي اِلْحَقِي بِنْتَكِ بحَالْ[2] تَمُوتْ لأَنَّهَا مَا بَاتِتِ البَارْحَة إلاَّ فِي أَشَرِّ مَبِيتْ، وَمَا كُنِتْ بَاقُولْ أَنَّهَا تَصِبَحْ.

قَالَ:

فَلَمَّا سَمِعَتْ عَجُوزُ[3] السُّوءِ هَذَا الكَلاَمَ، ضَرَبَتْ بِيَدٍ عَلَى يَدٍ، وَقَالَتْ: يُوهْ، لاَ بِاللَّه!

ثُمَّ إِنَّهَا اِتَّزَرَتْ، وَقَامَتْ أَتَتْ مَعَهُ وَهْيَ تُوَلْوِلُ. فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَيْهَا، وَدَخَلُوا عَلَيْهَا، وَرَأَتْهَا العَجُوزُ عَلَى غَيْرِ الاسْتِوَا، قَالَتْ لَهَا: سَلاَمْتِكْ، وَسَلاَمِة شَبَابِكْ يَا سِتّ الْمِلاَح.

ثُمَّ إِنَّهَا تَقَدَّمَتْ إِلَى عِنْدِهَا، وَجَسَّتْ مِفْصَلَهَا وَزِنْدَهَا، فَهَزَّتْ رَأْسَهَا وَقَالَتْ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَإِلاَّ بِاللَّهِ العَلِيِّ العَظِيمْ!

فَقَالَ الزَّوْجُ: مَا الْخَبَرْ؟

فَقَالَتْ بِخُبْثٍ: إِيشْ تَطْلُبْ أَنْحَسْ مِنْ هَذَا الْخَبَرْ؟ زَوْجَتُكَ عَلَى مَوْت.

قَالَ:

فَلَمَّا سَمِعَ مِنْهَا ذَلِكَ، نَتَفَ ذِقْنَهُ، وَلَطَمَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى خَمَدَ حِسُّهُ، وَقَالَ لَهَا: وَإِيشْ يَكُونْ هَذَا الْمَرَض الَّذِي بِهَا؟

---

1) إضافة يقتضيها التركيب.

2) في الأصل: «بحل»، بدون تنقيط.

3) في الأصل: «العجوز».

فَقَالَتْ لَهُ: يَا وَلَدِي، هَذَا الْمَرضُ، الَّذِي حدَثَ لِزَوْجَتِك، مَرضٌ خَطِيرٌ مَا يَنْجا مِنْهُ كُلُّ أَحدٍ. وَذَلِكَ أَنَّ بِهَا وَجَعُ رِيَّةٍ بِحَمْوِ كَبِدٍ، وَوَرَمِ طُحَالٍ، وَخَفقَان فِي القَلْب.

فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا أُمِّي، مَا لِهَذَا الْمَرضِ دَوَاء؟ قُولِيهِ لِي عَسَى أَنْ أَجِدَهُ فَأَشْتَرِيهِ، وَلَوْ أَنِّي أَبِيعُ مَا فَوْقِي وَتَحْتِي.

فَقَالَتِ العَجُوزُ: يَا وَلَدِي، هَذِهِ دَوَاهَا في أَهْوَنِ شَيْء يَكُون، إلاَّ [أَنِّي][1] مَا أَظُنُّهُ يُوجَدُ.

فَقَالَ: وَمَا هُوَ الَّذِي فِيهِ دَوَاء زَوْجَتِي؟

فَقَالَتْ: يَا وِلْدِي،دَوَاءُ زَوْجَتكَ فِي زِيرْ[2] أَحْمَر فُخَّار جِيرِي[3]، يَكُون بِثَمَانِيَةِ أُوذَان، لاَ يَزِيد وَلاَ يَنْقُص، وَتَمْلاهْ مَاءْ عَذْب، تَشْرَب مِنْهُ كُلَّمَا عَطِشَتْ، فَيَزُولُ عَنهَا هَذَا الْمَرضُ. وَأَي وَقْت كَانْ نَاقِصْ أُذْن مِنَ الثَّمَانِيَةِ، مَا يَنْفَعُهَا. وَهَذَا دَوَاهَا وَالسَّلاَم. وَإِنْ لَمْ تَلْحَقْهَا بِه مَاتَتْ، فَقُومْ مِنْ سَاعَتِكَ هَذِهِ، وآخْرُجْ طَوَّفْ عَلَيْه، عَسَى تَجِدُهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ الفَوَاخِرَةِ[4]. وَمَا أَظُنُّكَ تَجِدُهُ، إِلاَّ أَنْ يَكُونَ لِزَوْجَتِكَ عُمْرٌ طَوِيلٌ. وإِنْ طَلَبَ مِنْكَ - هُوَ الَّذِي عِنْدَهُ -، فَادْفَعْ لَهُ مَا يَطْلُبُهُ، وَخُذْهُ وَآتِي بِهِ إِلَيْهَا، وَإِلاَّ هِيَ تَمُوتْ.

فَقَالَ الرَّجُلُ: هَا أَنَا مَاضِي أُطَوِّفُ عَلَيْهِ جَمِيعَ الفَوَاخِيرِ، وَإِذَا وَجَدْتُهُ عِنْدَ أَحدٍ، وَطَلَبَ مِنِّي رُوحِي، وَهَبْتُهَا لَهُ.

---

1) إضافة يقتضيها التّركيب.

2) في تكملة المعاجم: 399/5 زير: «وجمعه زيار: جرّة كبيرة، ضيّقة الأسفل، ذات عروتين صغيرتين ؛ وزير طباشير: جرّة كبيرة جدّا، توضع عليها قلّة ذات درجات».

3) نسبة إلى الجير، وهو الكلس.

4) في تكملة المعاجم: 26/8 فخر: «فُخّاري وفاخراني: صانع الفخّار وبائعه».

ثُمَّ إِنَّهُ قَامَ مِنْ سَاعَتِهِ، وَخَرَجَ يُدَوِّرُ لَهَا عَلَى الَّذِي طَلَبَتْهُ.

قَالَ:

فَهَذَا جَرَى لاَ خُونَا طِينْ[1]. وَأَمَّا مَا كَانَ مِنَ العَشِيقِ، فَإِنَّهُ لَمَّا خَرَجَ مِنْ عِنْدِ الصَّبِيَّةِ، وَمضَى إِلَى حَالِ سَبِيلِهِ، وَدَخَلَتِ العَجُوزُ عَلَيْهَا، وَرَأَتْهَا تَبْكِي، [فَأَرَتْهَا][2] كَيفَ تَصْنَعُ، أَرْسَلَتِ الصَّبِيَّةُ تَقُولُ لِلْعَشِيقِ: «إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تُجَامِعَنِي قُدَّامَ زَوْجِي، فَافْعَلْ مَا أَقُولُهُ لَك، وَهْوَ أَنْ تَفْتَحَ لَهَا دُكَّانَ فَاخِرَانِي، وَتَمْضِي إِلَى الفَاخُورَةِ[3] وَتَأْمُرُهُمْ أَنْ يَعْمَلُونَ لَكَ زِيرْ أَحْمَرْ بِثَمَانِيَةِ أُوذَانْ، ثُمَّ تَضَعَهُ عِنْدَكَ فِي الدُّكَّانِ إِلَى أَنْ يَأْتِي إِلَيْكَ زَوْجِي، وَلاَ تَبِيعهُ إِلاَّ لَهُ». ثُمَّ عَلَّمْتَهُ[4] مَا يَفْعَلُ. وَكَانَ يعملُ بِمَشُورَةِ العَجُوزِ الصَّالِحَةِ أُمُّ صَلاَح.

قَالَ صَاحِبُ الْحَدِيثِ:

فَلَمَّا وَصَلَتِ الرِّسَالَةُ إِلَى العَشِيقِ، كَانَ لَهُ صَاحِبٌ فَاخِرَانِي، فَأَتَى إِلَيْهِ، وَقَالَ: يَا أَخِي، أَنَا فِي خِيرَتِكَ[5] أَنْ تُخَلِّينِي أَقْعُدُ فِي مَوضِعِكَ أَيَّاماً قلاَئِلَ أَبِيعُ لَكَ فِي الدُّكَّانِ، وَآمْضِ أَنْتَ اِسْتَرِيحْ لِقَلْبِكْ.

فَقَالَ لَهُ الفَاخِرَانِي: وَإِيشْ لَكَ فِي هَذَا مِنَ الْمَنْفَعَةِ؟

قَالَ: لاَ بُدَّ مِنْ ذَلِكَ لأَنَّ لِي فِيهِ أَرَبٌ.

---

1) في موسوعة العامّيّة السّوريّة: 1558/2: «طينة (صفة) السّكران، فهو لا يتماسك كما لا تتماسك الطّينة».

2) في الأصل: «فرثبتها»، وأثبتنا ما بين الحاصرتين ترجيحا.

3) في موسوعة العامّيّة السّوريّة: 1702/2: «فاخورة: محلّ صنع الفخّار».

4) كذا في الأصل، ولعلّ الصّواب: «أعلمته».

5) كذا في الأصل، ولم نعثر لها على شرح.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ:

فَقَامَ الفَاخِرَانِي، وَطَلَعَ العَشِيقُ جلَسَ فِي الدُّكَّانِ يَبِيعُ وَيشْتَرِي ذَلِكَ اليَوم وَثَانِي يَوْم، بَعْدَ أَنْ رَاحَ إِلَى الفَاخُورَةِ، وَاسْتَعْمَلَ زِيرْ بِثَمَانِيَةِ أُوذَانْ، كَمَا أَشَارَتْ. فَبَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ، وَالزِّيرُ إِلَى جَانبِهِ فِي الدُّكَّانِ، إِذْ أَقْبَلَ إِلَيْهِ زَوْجُ الصَّبِيَّةِ، فَوَجَدَ الزِّيرَ قَاعِدْ عَلَى كَيْلَجِهِ[1]، مغَطَّى، وَفوقَ الغَطَا كُوزْ أَحْمَرْ. فَسَلَّمَ الزَّوْجُ عَلَى العَشِيقِ، فَرَدَّ العَشِيقُ عَلَيْهِ السَّلاَمَ، فَقَالَ لَهُ الزَّوْجُ: يَا أَخِي، بَكَمْ تَبِيعُ هَذَا الزِّيرَ؟

فَقَالَ العَشِيقُ: أَنَا مَا أَبِيعُ هَـذَا الزِّيـرَ لاَ بِفِضَّـةٍ، وَلاَ بِفُلُـوسٍ، وَلاَ بِذَهَبٍ.

فَقَالَ الزَّوْجُ: وَإِلاَّ بِإِيشْ تَبيعُهْ؟

فَقَالَ العَشِيقُ: أَنَا مَا أَبِيعُهْ إِلاَّ لِمَنْ يُخَلِّينِي أُجَامِع زَوْجَتَهُ.

فَقَالَ الزَّوْجُ: يَا أَخِي، إِنَّ امْرَأَتِي ضَعِيفَة، عَلَى مَوْت، وَقَدْ وَصَفُوا لَهَا أَنْ تَشرَبَ فِي هَذَا الزِّيرِ. وَقَدْ خَرَجْتُ أُطُوفُ عَلَيْهِ جمِيعَ هَذِهِ الْمَدِينَةِ، فَمَا وَجَدْتُهُ إِلاَّ عِنْدَكَ، فَبِعْهُ لِي.

فَقَالَ العَشِيقُ: لاَ تُتْعِبْ سِرَّكَ، أَنَا مَا أَبِيعُهُ إِلاَّ بِمَا قُلْتُ لَكَ[2]. إِنْ خَطَـرَ لَكَ تَشْتَرِيـهْ عَلَى هَذَا الْحُكْـم وَالشَّـرْطِ، وَإِلاَّ فَامْضِ إِلَى حَـالِ سَبِيلِك.

---

1) كذا في الأصل، وفي تاج العروس (كلج): «كيْلَجَة، بِكَسْر الْكَاف وَفتح اللاَم، ومثلُه فِي «المصباح»، و«المعرّب»، و«شرح التّقريب»، وَزَاد فِي «شفاء الغليل» أنه يُقَال لَهَا أَيضاً: كيلَقَة وكيلكَة، والكُلّ صَحِيح: مِكْيال مَعْرُوف، وجمع كَيالجَةٌ، الهاءُ للعُجْمة، وكَيالِج».

2) في الأصل: «له».

فَقَالَ الزَّوْجُ: يَا أَخِي، اِتَّقِ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَدَعْ عَنْكَ هَذَا الكَلاَمَ، وَخُذْ فِي مَا يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَشَارِكْنِي فِي الأَجْرِ لأَنَّهُمْ قَالُوا مَا تْكُونْ نَجاة زَوجْتِكْ إِلاَّ فِي هَذَا الزِّيرْ، وَتكُونْ أَنْت سَبَبْ فِي حَيَاةِ نَفِسْ مُؤمِنْهْ.

فَقَالَ العَشِيقُ: الطَّوِيلْ آقْصُرْهْ. أَنْتَ قَابِلْ عَلَى الشَّرْطِ الَّذِي ذَكَرْتُهُ لَكْ، وَإِلاَّ فَامْضِ إِلَى أَيِّ مَكَانٍ تُرِيدُ.

فَقَالَ الزَوْجُ: لَوْ قَعَدَ هَذَا الزِّيرُ الْمَيْشُوم إِلَى أَنْ يَشِيبَ الغُرَابُ، مَا أَشْتَرِيهِ عَلَى هَذَا الشَّرْطِ.

فَقَالَ لَهُ العَشِيقُ: أَنْتَ أَوْ غَيْرِكْ مَلْزُومْ بِشِرَا. دَعْهُ يَقْعُدْ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ.

قَالَ:

يَا سَادَة، فَأيس الزَّوْجُ مِنْهُ، ثُمَّ انْصَرفَ، وَقَدْ صَعُبَ عَلَيْهِ هَذَا الكَلاَمُ الَّذِي سَمِعَهُ مِنْهُ، ثُمَّ أَتَى إِلَى زَوْجَتِهِ، فَوَجَدَهَا تَتَقَلَّبُ عَلَى جَمْرِ الغَضَا، فَدَخَلَ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ[1] لَهُ: هَلْ وَجَدْتَ شَيْ؟

فَقَالَ: يَا مَرَهْ، طُفْتُ عَلَيْهِ جَمِيعَ الْمَدِينَةِ، فَمَا وَجَدْتُ هَذَا الزِّيرَ إِلاَّ عِنْدَ وَاحِدٍ فَاسِقٍ، قَالَ مَا يَبِيعُهُ لاَ بِفِضَّةٍ، وَلاَ بِفُلُوسٍ، وَلاَ بِذَهَبٍ. فَقُلْتُ: بِأَيِّ شَيْءٍ تَبِيعُهُ؟ قَالْ مَا يَبِيعُهُ إِلاَّ لِمَنْ يُخَلِّيهِ يُجَامِعُ زَوْجَتَهُ. وَقَدْ غُلِبْتُ فِيهِ، وَمَا جِيتْ هُنَا إِلاَّ عَنْ غُلُوبِيَّة.

فَقَالَتِ لَهُ الْمَرْأَةُ وَهْيَ تَبْكِي: يَا رَجُلْ، هَذَا آخِرُ العَهْدِ مِنْكَ.

---

1) في الأصل: «فقال».

فَبَكَى زَوْجُهَا، وَقَالَ: كَيْفَ العَمَلْ يَا مَرَهْ؟

فَقَالَتْ لَهُ: يَا رَجُلْ، الْحَاجَة تُحْوِجْ أَكْثَرْ مِنْ هَذَا، وَمَا فِي الأَمِرْ إِلاَّ أَنَّكْ تطَاوِعْ الرَّجُلْ عَلَى مَا يُرِيد لأَجْلِ حَاجَتِنَا لاَ غَيْرَ، وَهْوَ أَنَّكَ تَقُولْ لَهُ، وَتَرَضَّعْ إِلَيْهِ، وَتَسْأَلُهُ، وَتَقُولْ زَوْجَتِي ضَعِيفَة، وَلاَ تَقْدِرْ عَلَى شَيْء، وَلاَ تَحْمِلِ مِنْ ذَلِكَ إِنْ كَانَ وَلاَ بُدَّ، فَعَسَى أَنْ يَقَعَ الشَّرْطُ بَيْنَكُمْ عَلَى أَنَّ الرَّجُلَ يُدْخِلُ الرُّوَيْسَةَ[1] فِي بَابِ كُسِّي، أَوْ قُطَيْعَةً مِنْهُ، وَنَاخُذْ يَا رَجُلْ نَحْنُ الزِّيرَ بَلاَشْ، لاَ فِضَّة وَلاَ فْلُوسْ، وَأَنْ تَفْعَلَ مَا أَقُولهُ لَكَ يَا رَجُلْ، وَإِلاَّ أَنَا بَامُوتْ بِلاَ مُحَالَة، وَتَطْلَعْ رُوحِي فِي هَذِهِ السَّاعَةِ.

فَلَمَّا سَمِعَ الزَّوْجُ مِنْهَا هَذَا الكَلاَمَ، قَالَ: لاَ بِاللَّهِ يَا مَرَهْ، لاَ تْخَلِّي رُوحَكِ تَطْلَعْ، وَلاَ يكُونْ إِلاَّ خِيرْ. هَا أَنَا مَاضِي إِلَيْهِ، وَأَقُولُ لَهُ الَّذِي قُلْتِيهِ.

ثُمَّ إِنَّهُ مَضَى مِنْ سَاعَتِهِ، وَوَقَفَ عَلَى الفَاخِرَانِي، وَقَالَ: يَا أَخِي، زَوْجَتِي ضَعِيفَة عَلَى مُوتْ، وَإِنْ كَانَ وَلاَ بُدَّ لَكَ مِنْ هَذَا الفِعْلِ، فَيَكُونُ قَلِيلْ مِنْ أَيرِكَ لأَجْلِ أَنَّكَ حلَفْتَ مَا تَبِيعَهُ بِفِضَّة، وَلاَ بِفْلُوسْ، وَلاَ بِذَهَبْ، وَأَيْضاً لأَجْلِ حَاجَتِنَا عِنْدَكْ.

قَالَ الِمُؤَلِّفُ:

فَلَمَّا سَمِعَ العَشِيقُ ذَلِكَ الكَلاَمَ مِنْهُ، طَاوَعَهُ عَلَى مَا يُرِيدُ، وَوَقَعَ الشَّرْطُ بَيْنَهُمْ أَنْ يَلِجَ[2] رَأْسُ أَيْرِهِ فِي أَشْفَارِ امْرَأَتِهِ. فَلَمَّا وَقَعَ التَّرَاضِي

1) أي رأس الذّكر، أو الكمرة.

2) كذا في الأصل، ولعلّ الصّواب: «يولج».

بَيْنَهُمْ، فَرِحَ الزَّوْجُ بِذَلِكَ فَرَحاً شَدِيداً، ثُمَّ عَادَ مُسرعاً مَسْرُوراً مِنْ وَقْتِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ، وَأَعْلَمَهَا بِذَلِكَ، فَفَرِحَتْ بِذَلِكَ، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ: يَا رَجُلْ، عَلَى مَاذَا عَوَّلْتَ تَفْعَل؟

قَالَ: عَلَى مَا وَقَعَ بَيْنَنَا مِنَ الْمُشَارَطَةِ.

فَقَالَتْ لَهُ: يَا رَجُلْ، أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَؤُلاَءِ أُنَاسٌ سُوقَة[1]، وَلاَ لَهُمْ عَهْدٌ وَلاَ مِيثَاقْ، وَتَخَافْ أَنْ يَغْدِرَ بِنَا إِذَا طَاوَعْنَاه عَلَى مَا يُرِيدُ.

فَقَالَ الزَّوْجُ: فَكَيْفَ يَكُونُ العَمَلْ؟

قَالَتْ: يَا رَجُلْ، مَا فِي الأَمْرِ إِلاَّ أَنَّكَ تَمْضِي إِلَيْهِ، وَتَرْبِطَ ذَلِكَ الْخيْطَ فِي أَيْرِهِ، مَحَلَّ وَقَعَ الشَّرْطُ بَيْنَكُمَا عَلَيْهِ، لِيَكُونَ ذَلِكَ عَلاَمَةً يَعْرِفُهَا.

قَالَ:

فَاسْتَصْوَبَ الْمُدَمَّغُ[2] رَأْيهَا، وَمَضَى إِلَى مَا انْتَدَبَتْهُ إِلَيْهِ. فَلَمَّا فَعَلَ مَا أَمَرَتْهُ بِهِ، أَخَذَ العَشِيقَ وَأَتَى بِهِ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: يَا رَجُلْ، تَعَالَى اجْلِسْ عِنْدَ رَأْسِي، وَضَعْ رَأْسِي فِي حِجْرِكَ، وَأْمُرِ الرَّجُلَ أَنْ يَدْخُلَ، وَيَشِيلْ الرِّجْلَيْنِ، وَيفْعَلْ مَا يَخُصّ بِهِ، وَمَا هُوَ مَنْدُوبٌ إِلَيْهِ، وَأَمْسِكْ أَنْتَ يَا رَجُلْ الْخيْطَ، وَاجْعَلْ نَظَرَكَ إِلَى أَيْرِهِ، وَاحْذَرْ أَنْ يُغَالِطَنَا وَيَزِيدَ عَنْ مَحَلِّ الرَّبْطِ، وَيَجْعَلْ نَظَرَكَ إِلَى أَيْرِهِ.

قَالَ:

---

1) في تكملة المعاجم: 195/6 سوق: «سوقي: رعاعي، من أبناء السّوق، عامّي، رديء».

2) في الموسوعة الكويتيّة المختصرة: 1469/3: «مْدَمّغْ: صفة تطلق على الغبيّ من النّاس، أصلها دمغة، وكأنّ ختما قد ختم على عقله». مسموعة في العراق والكويت.

وَخَرَجَ الزَّوْجُ لِلْعَشِيقِ، وَأَمَرَهُ بِالدُّخُولِ. وَأَمَّا هِيَ فَإِنَّهَا تَغَارَشَتْ[1]، وَبَكَتْ، وَتَغَنَّجَتْ، ثُمَّ وَضَعَتْ رَأْسَهَا فِي حِجْرِ زَوْجِهَا الأَبْلَمِ، وَتَفَلَّقَتْ، وَكَشَفَتْ ثَوْبَهَا، وَتَمَلَّقَتْ، وَأَفْشَخَتْ كُسَّهَا، وَتَقَلْقَلَتْ.

قَالَ:

فَلَمَّا رَأَى العَشِيقُ إِلَى فِعْلِهَا، مَعَ كِبَرِ كُسِّهَا، لَمْ يَتَمَالَكْ أَنْ دَخَلَ بَيْنَ سِيقَانِهَا، وَرَدَّهُمْ إِلَى خَلْفِ آذَانِهَا فَضَرَبَتْ رِجْلاَهَا[2] صَدْرَ زَوْجِهَا، ثُمَّ مَسَكَ الزَّوْجُ طَرَفَ الْخَيْطِ بِيَدِهِ، وَالطَّرَفُ الآخَرُ مَرْبُوطٌ فِي رَأْسِ أَيْرِ العَشِيقِ.

قَالَ:

فَلَمَّا قَرَّبَ العَشِيقُ أَيْرَهُ إِلَى كُسِّهَا، وَقَدْ تَزَنَّرَ تَزْنِيراً شَدِيداً، فَمِنْ شِدَّةِ انْتِصَابِهِ انْقَطَعَ الْخَيْطُ، وَذَلِكَ عِنْدَ تَقَرُّبِ أَيْرِهِ مِنْ كُسِّهَا، فَلَمْ يَتَمَالَكِ العَشِيقُ دُونَ أَنْ ضَرَبَهُ فِيهَا إِلَى حَدِّ الشِّعْرَةِ[3] اليَتِيمَةِ، فَشَهِقَتْ شَهْقَةً، وَأَتْبَعَتْهَا بِشَرْقَةٍ. فَلَمَّا عَايَنَ الزَّوْجُ ذَلِكَ تَحَيَّرَ، وَأَخَذَهُ الانْبِهَارُ، فَقَالَتْ لَهُ زَوْجَتُهُ، وَهْيَ فِي غَشَوَاتِهَا وَلَذَّاتِهَا: يَا رَجُلْ، لاَ تَخَافْ، نَحْنُ رَابْحِينْ غَيْر خَاسْرِينْ أَنْ كُنَّا أَخَذْنَا بِالرَّاسْ الزِّيرْ، نَاخُذْ بِالبَاقِي كِيزَانْ وَأَبَارِيقْ.

فَقَالَ: لاَ وَاللَّهِ، إِلاَّ كُلَّ مَا فِي الدُّكَّانْ!

فَقَالَ العَشِيقُ: لَكَ مَا تُرِيدُ، وَعَلَيَّ فَوْقَ الْمَزِيدِ.

---

1) نسبة إلى الغرشة، وهي الأركيلة، فلعلّ المقصود أنّها أحدثت صوتا شبيها بقرقرة الأركيلة.

2) في الأصل: «رجليها».

3) في موسوعة العامّيّة السّوريّة: 1335/2: «الشِّعرة: شعر العانة، والعانة، والقطعة من الشّعر، وفي «الصّحاح»: الشّعرة شعر الرّكب، للنّساء خاصّة، والعامّة تطلقه على شعر العانة مطلقا».

وَلَمْ يَزَلِ العَشِيقُ مَعَهَا فِي كَرٍّ وَفَرٍّ، وَأَخْذٍ، وَرَدٍّ، وَسَلٍّ، وَرَدْمٍ، إِلَى أَنْ جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَات. ثُمَّ جَبَدَ، وَمَدَّ، وَطَرَقَ، وَرَدَّ، وَجَبَدَهُ إِلَى رَأْسِ الأَيْرِ، وَدَخَلَ بِهِ، فَصَدَمَتْ رَأْسُهَا صَدْرَ زَوْجِهَا. وَلَمْ يَزَلْ رَأْسُهَا فِي حِجْرِ زَوْجِهَا نِصْفَ نَهَارٍ، وَهْيَ تَغْنُجُ، وَتَشْهَقُ، وَتَخْضَعُ، حَتَّى فَرَغَ العَشِيقُ، وَجَابَ لَهَا حُسَيْنَتَهَا بِتَحْقِيقٍ، وَقَامَ، وَانْصَرَفَ إِلَى حَالِ سَبِيلِهِ. وَتَبِعَهُ الزَّوْجُ، وأَخَذَ كُلَّ مَا فِي الدُّكَّانِ مِنَ الفَوَاخِيرِ، وأَتَى بِهَا إِلَيْهَا، وَقَالَ: نَحْنُ رَابِحِينْ، وَمَا نَحْنُ خَاسِرِينْ لأَنَّا أَخَذْنَا الزِّيرْ وَكُلَّ مَا فِي الدُّكَّانْ بَلاَشْ!

وَانْطَبَّتْ عَلَيْهِ الْحِيلَةُ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً.



الْمَاجِرِيّةُ السّابِعَةَ عَشْرَةَ[1]

قَالَ الْمُؤَلِّفُ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ:

كُنْتُ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ، سَنَةَ الفَنَاءِ[2] الكَبِيرِ، أَكْتُبُ عَلَى تِرْكَةِ بَيْتٍ كَبِيرٍ، مُتَّسِعِ الْحَالِ، أَجِي أَنَا وَصَيْرَفِي حَيَّ يَهُودِي، هَلَكَ الآخَرُ فِي آخِرِ الفَنَاءِ إِلَى لَعْنَةِ اللَّهِ. فَاجْتَمَعْتُ مَعَهُ يَوْماً عِنْدَ نصْرَانِيٍّ، كَانْ بِرْكَة قَرْمُوطْ[3]. وَكَانَ النَّصْرَانِيُّ قَدِ اشْتَرَى شَيْء مِنَ الْحلقَةِ، أَثَاثْ وَمَتَاعْ، فَرُحْنَا إِلَيْهِ نَقِبَضُ مِنْهُ الدَّرَاهِمَ. وَكَانَ ذَلِكَ الْيَوْم مُوَافِقٌ لِعِيدٍ مِنْ بَعْضِ أَعْيَادِهِمْ. فَأَكَلْنَا عِنْدَهُ شَيْء، وَقَعَدْنَا قَلِيلْ نَسْتَرِيحْ، فَتَبَاسَطْنَا فِي الكَلاَمِ، وَتَجَارَيْنَا حَدِيثَ الأَعْوَام، وَمَا جَرَى عَلَى الْمُغَفَّلِينَ مِنَ الْمَقَادِير وَالأَحْكَامِ، وَمَا قَاسُوا مِنَ الشَّدَائِدِ وَالآلاَمِ، وَمِنَ الفَضِيحَةِ وَالتَّهَتُّكِ بَيْنَ الأَنَامِ.

فَحَكَيْتُ[4] لَهُمْ أَنَا شَيْء مِنْ نَوَادِرِ الْحَمْقَى وَالْمُغَفَّلِينَ لابْنِ الْجَوْزِي[5]، فَقَالُوا الْجَمَاعَةُ: هَذَا جَرَى، وَكَانَ فِي ذَلِكَ الزَّمَان، وَنَحْنُ نَشْتَهِي نَسْمَعْ وَنُشَاهِدْ عِيَانْ مَا جَرَى فِي هَذَا الزَّمَانْ.

---

1) في الأصل: «السّابعة عشر».

2) كذا في الأصل، ولعلّ الصّواب: «الوباء».

3) في تكملة المعاجم: 251/8 قرمط: «قرموط: بوري، سمك صغير ذو شوارب»، والجملة بكاملها مختلّة التّركيب، غير واضحة المعنى.

4) في الأصل: «أحكيت».

5) ابن الجوزي: «يزل».

قَالَ أَحَدُ الْحَاضِرِينَ:

«نَعَمْ، جَرَى فِي هَذَا الزَّمَانِ، لِبَعْضِ الْمُتَغَفِّلِينَ الْمُحَارَفِينَ[1]، أَنَّهُ كَانَ لَهُ زَوْجَةٌ، وَلَهَا حِرِّيفٌ نَجَّارٌ، تَعْشَقُهُ وَتَهْوَاهُ، وَتَتَمَنَّى كُلَّ سَاعَةٍ لُقْيَاه، وَتُخَيِّرُهُ عَلَى زَوْجِهَا وَأُمِّهَا. فَاجْتَمَعَ مِنْ بَعْضِ الأَيَّامِ بِهَا، وَقَالَ لَهَا: تُحِبِّينِي؟

فَقَالَتْ: أَيْ وَاللَّهِ يَا نُورْ عِينِي، وَثَمْرَة فُؤَادِي، يَا مُنْتَهَى طَلَبِي، يَا غَايَة مُرَادِي، يَا عِشْقِي، يَا عِينِي، يَا سَمْعِي، يَا قَلْبِي، يَا لُبِّي، يَا رَبِّي.

فَقَالَ لَهَا: إِنْ كُنْتِ تُحُبِّينِي، دَعِينِي أُجَامِعْكِ قُدَّامَ زَوْجِكِ[2] الأَبْلَمِ الأَطْرَمِ[3] الْمدَمَّغْ.

فَقَالَتْ لَهُ: يَا حَبِيبِي، دَا سَهِلْ، وَأَهْوَنْ شَيْء طَلَبتْ. فَإِذَا أَرَدْتَ هَذَا الْحَال، اِلْبِسْ لِبَاسَ مَمْلُوكٍ غُتْمِي[4]، وَتَعَالَى بَعْدَ العِشَاءِ الآخِرَةِ حِينَ تَجِي حَشَائِشُ زَوْجِي فِي رَأْسِه، وَتَبْطُل حَوَاسُّه وَتَخْمُدْ. فَدُقَّ البَابْ بِجَعْزَة.

ثُمَّ إِنَّهَا رَتَّبَتْهُ فِي مَا يَعْمَلُ وَيَفْعَلُ، وَيَقُولُهُ، وَسَوْفَ نَذْكُرُهُ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى».

قَالَ الْمُؤَلِّفُ:

---

1) في الأصل: «المحافرين»، وهو تحريف، صوابه ما أثبتنا من تكملة المعاجم: 130/3حرف: «المحَارَف: مخدوع، مخاتَل، مغشوش».

2) في الأصل: «زوجكي».

3) كلمة لها عدّة معاني، وحسب السّياق الّذي تستخدم فيه. ومعناها اللّغوي أطرش، ولكن في اللّهجة الأردنيّة تعني لا يفقه شيئا ولا يفهم.

4) أي لا يفصح، لغتمة في لسانه.

ثُمَّ صَبْرَتِ العَاهِرَةُ الْمَنْيُوكَةُ[1] حَتَّى جَاءَ زَوْجُهَا آخِرَ النَّهَارِ، وَهُوَ مَصْطُولٌ سَكْرَان طِينَة، قَدْ مَدَغَ[2] فِي الْحَشِيشَةِ بِحُرْقَةٍ، فَاسْتَقْبَلَتْهُ وَقَالَتْ: يُوهْ يَا رَجُلْ، يَا وِيلِي، وإِيشْ جَابِكْ اللِّيلَة؟ مَا سَمِعْتِ الْمُنَادِيَة[3] السُّلْطَانِيَّة فِي هَذَا اليَوْم؟

فَقَالَ[4] بِصَطْلاَتْ وَحَشَائِشْ وَبَلْسَات[5]: لاَ وَاللَّهِ يَا مَرَهْ.

فَقَالَتْ: فُدِيتُكَ يَا رَجُلْ، الدُّنْيَا انْقَلَبَتْ، وَتَهَارَبَتِ الْخَلْقُ، وَخَرَجَتْ جَمِيعُ رِجَالِ الْمَدِينَةِ، وَأَنْتَ مَا خَرَجتْ، وَمَا عَنْدِكْ خَبَرْ!

فَقَالَ: يَامَرَهْ، وإِنشْ[6] نَادَوْا؟ وَمَا سَبَب خُرُوجِ الرِّجَال مِنَ الْمَدِينَة؟

فَقَالَتْ: يُوهْ يَا رَجُلْ، نَادَوْا مُنَادِيَة سُلْطَانِيَّة بَرَز مَرْسُوم السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ أَنْ لاَ يَقْعُدَ رَجُلٌ فِي بَيْتِهِ، وَلاَ يَنَامْ عِنْدَ زَوْجَتِهِ، إِلاَّ يُخْرُج اللَّيْلَة بَرَّا الْمَدِينَة لِهَمِّ السُّلْطَان يَاكُلْ عَلَى السِّمَاطِ، فَقَدْ جَاءَتْهُ الأَخْبَارُ بِفُتُوحِ القِلاَعِ. وَقَدْ رَسَمَ أَنَّ[7] مَنْ خَالَفَ الْمَرْسُومَ، وَبَاتَ فِي الْمَدِينَةِ، أَوْ فِي بَيْتِهِ، تَجِي مَمَالِيكْ يِنِيكُوه، وَبِحُضُورِهْ، إِنْ[8] كَانْ مَصْطُولْ، يِنِيكُوا امْرَأَتُهُ، وَأَنَا خَايْفَة عِلِيكْ وَعلَى رُوحِي يَا رَجُلْ! يَا وِيلِي، كَيْفَ أَعْمَلُ فِيكْ؟

1) في تكملة المعاجم: 344/10 نيك: «منيوكة: مومس».
2) كذا في الأصل، ولعلّها تحريف: «مضغ».
3) في تكملة المعاجم: 193/10 ندو: «منادي: الّذي ينادي، ومنادية: بيع بالمزاد العلني».
4) في الأصل: «قالت».
5) في تكملة المعاجم: 423/1 بلس: «مبلّس ومُبُولَس: به مسّ من الشّيطان».
6) كذا في الأصل، ولعلّها تحريف: «إيش».
7) في الأصل: «أي».
8) في الأصل: «وإن».

قَالَ:

فَلَمَّا سَمِعَ كَلاَمَهَا، وَرَأَى احْتِرَاقَهَا عَلَيْهِ، وَقَدْ شَدَّتْ عَلَيْهِ. وَذَا مُغَفَّل وَمَصْطُول، فَطَارَ السُّكْرُ مِنْ قَحْفِهِ[1]، وَقَالَ: يَا مَرَهْ، مَا فِيَّ خَطْوَة أَمْشِيهَا، وَلاَ أَحْتَرِك[2] مِنْ مَوْضِعِي، فَأَبْصِرِي إِيشْ تَعْمَلِي مَعِي!

فَقَالَتْ: آقْعُدْ، وَطِبْ نَفْساً، وَقَرَّ عَيْناً، فَمَا لِي صَبْرٌ عَلَى فَقْدِك، وَأَنَا أُخَبِّيكَ إِنْ جَاء أَحَد يُدَوِّر عَلَيْك.

فَقَعَدَ، وَهْوَ طَائِرُ العَقْلِ، إِلَى بَعْدَ العِشَاءِ الآخِرَةِ، وَأَرَادَ أَنْ يَنَامَ، وَإِذَا بالبَابِ يُطْرَقُ بِجعْزَةٍ وَخَبْطَةٍ، وَمَمْلُوكٌ عُتْمِي يَبَرْبِرُ، وَيَنْقَفِل، وَيَشْتُمْ، فَخَرَجَ الْمَصْطُولُ يَنْظُرُهُ مِنْ شقِّ البَابِ، فَدَخَلَ وَقَالَ: يَا مَرَهْ، مَمْلُوكُ السُّلْطَان جَاء، وَهْوَ وَاقِفْ عَلَى البَاب، فَخَبِّينِي لاَ يَدْخُلْ يَلْتَقِينِي فَيِنيكْنِي، وَيُصَبِّحْ[3] بِخُصْيَتِي!

وَبَقِيَ يَرْعُدُ مِنَ الْخَوْفِ، مِثْل السَّعْفَةِ فِي يَوْمِ رِيح عَاصِفٍ. هَذَا، وَالعَشِيقُ قَدْ قَلَبَ الْحارَةَ بِزَحْمِهِ وَدَقِّهِ، فَبَقِيَتْ الْمَرْأَةُ وَاقِفَةً تُوَلْوِلُ، وَتَقُولُ: كَيْفَ أُخَبِّيكَ يَا رجُلْ، وَمَا عِنْدِي مَوْضعْ، وَالمَمْلُوكْ إِذَا دَخَلَ البَيْت، يَدُورْ جَمِيعُه؟

فَقَالَ: يَا مَرَهْ، أَوْسِعِي الْحِيلَةَ، هَذَا وَقْتُ الْمُرُوَّة، خَبِّنِي وَالأَجْر عَلَى اللَّه!

---

1) في تكملة المعاجم: 188/8 قحف: «قحف: رأس، جمجمة».

2) كذا في الأصل، ونرجّح أنّها تحريف «أتحرّك».

3) كذا في الأصل، وفي تكملة المعاجم: 411/6 صبح: «صابح: هاجم».

فَقَالَتْ: فَكَّرتْ[1] لَكَ فِي شَيْءٍ. تَعَالَى آقْعُدْ، وَاتْعَرَّى مِنْ ثِيَابِكْ، وَاعْمَلْ السَّرَاجْ[2] عَلَى مُخِّكْ، وَدِيرْ وَجْهِكْ لِلْحَايِطْ، فَيَدْخُل الْمَمْلُوك يَظُنُّكْ مَنَارَة، فَيَدُورْ الْبَيْت جَمِيعُه مَا يُصِيبْ أَحداً، فَلَعَلَّهُ يَذْهَبُ وَيَدَعُنَا.

قَالَ:

فَمَا صَدَّقَ بِهَذِهِ الْحِيلَةِ، فَتَعَرَى لِلْوَقْتِ مِنْ ثِيَابِهِ، وَبَقِيَ عُرْيَانْ، وَدَارَ بِوَجْهِهِ لِلْحَايِطْ. وَكَانَ ذَلِكَ فِي زَمَانِ الشِّتَاءِ، إِلاَّ أَنَّ الْخَوْفَ وَاسِعْ.

قَالَ:

وَعَمِلَتْ هِيَ حلْقَةَ السِّرَاجِ عَلَى مُخِّهِ، وَكَانَ كَمَا خَرَجَ مِنَ الْحَمَّامِ، وَقَدْ حلَقَ رَأْسَهُ، وَسَاحِلُهُ مُنَجَّر، فَحَطَّ الكَعكَةَ عَلَى قَرْعَتِهِ، وَعَمِلَتْ الْحُقَّ النُّحَاسَ فَوْقَهَا، وَوَضَعَتِ السِّرَاجَ عَلَى الْحُقِّ، وَقَعَدَتْ أُمُّهَا فِي زَاوِيَةِ البَيْتِ. ثُمَّ إِنَّهَا نَهَضَتْ وَفَتَحتِ البَابَ، فَدَخَلَ العَشِيقُ، وَهيَ تُكْثِرُ لَهُ الغُنْجَ وَالشَّهِيقَ وَالشَّرقَاتِ وَالنَّهِيقَ. وَدَخَلَ النَّجَّارُ، وَهوَ يَنْغَتِمُ وَيُدَمْدِمُ. فَلَمَّا دَخَلَ البَيْتَ، قَالَ: هَايْ، وَلِكْ قَحبَة، أَيْنَ زَوْجُك؟

فَقَالَتْ بِرطَالَةِ[3] كَلاَم، وَحُسْنِ ابْتِسَام: يُوهْ يَا سِيدِي التُّرْكِي، لاَ تُرْجُفْنِي أَعُودْ أَبْكِي. زَوْجِي رَاحْ مِنْ أَذَانِ العَصْر، وَامْتَثَلْ مَرْسُومِ السُّلْطَان.

---

1) في الأصل: «أفكرت».

2) في الأصل: «السراح».

3) كذا في الأصل،وفي تكملة المعاجم: 158/5 رطل: «رطّل بالتّشديد: دغدغ، زغزغ».

فَقَالَ: تِكْذِبْ هَايْ قَحْبَة.

فَقَالَتْ: يَا سِيدِي، دَوَّر البيتْ إِنْ لَقِيتُه اَقْتُلْنِي وَنِيكُهْ.

فَقَالَ الْمَصْطُولُ زَوْجُهَا فِي نَفْسِهِ: «رُوحِي، لاَ سَتَرَ اللَّهُ عَلَيْك[1]، وَأَنَا وَاللَّهِ قَلِيل الادْمَان مِنْ وَقتْ كُنتْ فِي الكُتَّاب أَتبَادَلْ أَنَا وَالصِّغَارْ، مَا فَعَلْتُهُ. يَا لِيتُهْ يَنِيكْ امْرَأَتِي عوَضِي! اللَّهُمَّ أَعْمِي بَصَرَهُ عَنِّي!

فَقَالَ العَشيقُ، وَقَدْ صَاحَ عَلَى الْمَرْأَةِ: وَيْلَكْ يَا قَحْبَة، أَيَّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ: تْجِيبِي زَوْجَكِ[2] مِنْ مَوْضِعْ خَبِّتِيهْ حَتَّى أَنِيكُه وَأَخْصِيهْ، وَإِلاَّ أَنِيكُكِ عِوَضَهْ؟

فَقَالَ الزَّوْجُ: يَا اللَّهْ، نِيكْهَا، وَالأَجْرُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى!

فَقَالَ الْمَمْلُوك: أَنَا قَالُوا لِي الْجِيرَانْ أَنُّه مُخَبِّي عَنْدِكْ، مَا خَرَجْ لِمُهِمّ[3] السُّلْطَانْ.

فَقَالَتْ: يُوهْ يَا سِيدِي، يَا كِبْدِي، يَا حَبِيبِي، لاَ تُصَدِّقْ الْجِيرَانْ فَإِنَّهُمْ لَنَا أَعْدَاء.

فَجَبَدَ السَّيْفَ، فَقَالَ الزَّوْجُ: يَا جَاهْ مُحَمَّدْ!

أَمَّا هِيَ فَإِنَّهَا صَارَتْ تَبْكِي، وَتَشْهَقُ، وَتَغْنُجُ، وَزَعَقَ، وَتَقُولُ: يَا نَارِي يَا سِيدِي، لاَ بحَيَاتِكْ، لاَ تْفَزَّعْنِي بِعُوبَاتِكْ فَأَبْكِي وَحَقِّ خْصِيوَاتِكْ، يَا كِبْدِي، حُطِّ السِّيفْ بِحْيَاةِ زْبَيِّبكْ!

فَتَوَتَّرَ عَلَى العَشِيقِ أَيْرُهُ لَمَّا سَمعَ هَذَا الكَلاَمَ، وَقَالَ لَهَا: وَيْلكْ يَا مَيْشُومْ، أَقْلِعْ سَرَاوِيلكْ.

---

1) في الأصل: «عليكي».

2) في الأصل: «زوجكي».

3) في تكملة المعاجم: 21/11 هم: «مُهِمّ: فرح، عيد، وعرس خاصّة».

فَقَالَتْ: أَقْلَعُهُ، وَلاَ تَقْتُلْنِي.

قَالَ: أَقْلَعْ بِلاَ فِشَارْ[1].

فَمَلَصَتْهُ[2] مِنْ أَكْعَابِهَا، فَقَالَ: هَايْ، نَامْ عَلَى قَفَاكْ.

فَقَالَتْ: أَيْ وَاللَّهِ يَا سِيدِي التُّرْكِي.

فَقَالَ: اِرْفَعْ كُسَّكْ جَيِّدْ.

فَقَالَتْ: يَا خُونْدْ، أَطْبِقْ سَيفَكْ وَتَعَالَى، إِيشْ مَا اشْتَهِيتْ[3] أَفْعَلْ.

فَرَدَّ السَّيْفَ، ثُمَّ قَلَعَ قُمَاشَ الْجُنْدِيَّةِ، وَقَلَعَ أَخْفَافَهُ وَالسَّرَاوِيلَ، وَقَيَّمَ أَيْرَهُ، وَلاَ أَيرَ بَغْلٍ فِي رَحِمِ خواته[4]، وَدَخَلَ بَيْنَ سِيقَانِهَا، وَأَزَالَ مَا بِهَا، وَرَشَحَتْ أُمُّهَا، وَبَلَّتْ ثِيَابَهَا لَمَّا رَأَتِ النَّجَّارَ مَعَ بِنْتِهَا قَدْ هَيَّأَ أَسْبَابَهَا. وَلِلْوَقْتِ نَامَتْ، وَأَفْشَخَتْ[5] ذَلِكَ الرَّحِمَ الْهَايِلَ. فَلَمَّا عَايَنَ النَّجَّارُ إِلَى فِعْلِهَا، مَعْ فَشْخِهَا وَكِبِرِ كَشْفِهَا، مَسَكَهُ، وَنَدَبَهُ، وَخَنَقَهُ، وَرَيَّقَهُ، وَحَكَّهُ، وَزَلَّقَهُ، وَفَرَكَهُ، وَمَرَّقَهُ، وَرَقَّقَهُ، وَطَرَّقَهُ، وَشَيَّفَهُ، وَكَحَلَهُ، وَزَلَّقَهُ، وَغَمَّقَهُ، وَهْيَ مَعَ ذَلِكَ تَبْكِي، وَتَتَخَاشَفُ[6]، وَقَصَدَ رَدْمَهُ وَجَدَهُ أَقْرَعْ، نَاشِفْ، ثُمَّ سَفَقَهُ، وَصَارَ يَطْعَنُ وَيَتَأَخَّرُ، وَالْمَرْأَةُ تَشْهَقُ، وَتَشْخَرُ، وَتَبْكِي، وَتَقُولُ: يَا حُرْقَتِي، يَا رَهَجِي، أَبْكَيْتَنِي، وَزَادَ غُنْجِي، وأَنَا فِدَاكْ يَا زَوْجِي!

---

1) في تكملة المعاجم: 74/8 فشر: «فشر، فِشَار: هذر، كذب».

2) في الأصل: «ملصه».

3) في الأصل: «استهبت».

4) كذا في الأصل، ولم نعثر لها على شرح.

5) كذا في الأصل، وفي تكملة المعاجم: 74/8 فشخ: «فشخ: فرّق ما بين ساقيه، مثل فرشخ».

6) لم نعثر لها على شرح، ولعلّها بمغنى تضطرب وتختلج وتنقبض.

هَذَا، وَالزَّوْجُ يَقُولُ فِي قَلْبِهِ: «وَالِكْ، اتْغَنَّجِي قَوِي عَسَى يَلَذُّ لَهُ يَنْسَانِي»!

وَالْمَرْأَةُ قَدْ تَزَايَدَ بُكَاهَا وَغُنْجُهَا وَالشَّهِيقُ، وَعَلاَ حِسُّهَا حَتَّى سَمِعُوهُ مِنْ خَارِجِ الطَّرِيقِ، وَتَقُولُ: يَا حَبِيبِي أَعْطِينِي، هُوَ تُفَّاحْ مِسْكِي[1]، وَسَكِّنْ فِي رَحِمِي دَا اللَّذِيذْ التُّرْكِي، وَاسْمَعْ شَخِيرِي وَغُنْجِي لَمَّا أَبْكِي. أَعْطِينِي، هُوَ تُفَّاحْ إِيَارِي[2]، أُحِسُّهْ يَا أُمِّي احْرَقْنِي يَا نَارِي. أَعْطِينِي، هُو تُفَّاحْ شَامِي[3]، جُودِ عَلَى كُسِّي بْزِبَّكْ دَا اللَّذِيذْ الْحَامِي، وآمْعَكْ[4] بِزُبَّكْ قَوِي أَرْحَامِي. أَعْطِينِي، هُوَ تُفَّاحْ مخَضَّبْ[5]، وَلاَ تَنْزِلْ عَنِّي أَعُوذْ أَغْضَبْ. أَعْطِينِي، هُوَ يَا حَيَاتِي تُفَّاحْ دَامَانِي[6]، أُحِسُّه يَا حَبِيبِي، زُبُّكْ غَشَّانِي، وَبِقُوَّة سَفْقُهْ كْوَانِي. طَيِّبْ طَيِّبْ، يَا حَبِيبِي جَانِي، أَعْطِينِي يَا بَدْرِي، أَعْطِينِي يَا زُبِّي، أَعْطِينِي يَا عِينِي، أَعْطِينِي يَا نُورِي، أَعْطِينِي بِحَيَاتِكْ يَا عَيْرِي. هُوَ تُفَّاحْ فَتْحِي[7]، وَاسْفِقْ عَلَى رَحِمِي مِنَ السَّاعَهْ إِلَى الصُّبْحِ، وَآسْمَعْ غُنْجِي، مَعَ فَتْحِي، يَا طُولْ بُكَائِي وَرَشْحِي، أَعْطِينِي يَا سِيدِي، هُوَ بَانْ، نِيكْنِي مِنْ دَا الوَقْتْ

---

1) في تكملة المعاجم: 50/2 تفح: «تفاح مايي أو ما هي: الأترج، ويقول ابن البيطار (1: 211) حول أصل الكلمة إنّه منسوب إلى بلاد ماه لا منسوب إلى الماء (صحح هذه الكلمة في كتاب ابن العوام 1: 314) تفّاح مسكي (ألف ليلة 4: 249، وفي طبعة برسل 1: 147».

2) كذا في الأصل، ولم نعثر لها على شرح، ولعلّ المقصود، كما في المصدر السّابق، «تفّاح أيومي، أي طلحي، أو تفّاح أميري».

3) في نفس المصدر: «تفّاح شامي: نوع جيّد من التّفّاح، له رائحة عطرة جدًا».

4) في تكملة المعاجم: 85/10: «معك: فرك الغسيل»، وهو هنا كناية عن حركات الجماع، وخاصّة الدّفع والرّهز.

5) في تكملة المعاجم: 108/4 خصب: «مخضّب: ممرع».

6) في الأصل: «دعاني»، والمثبت من تكملة المعاجم: 50/2 تفح.

7) في الأصل: «فتح»، والمثبت من المصدر السّابق.

إِلَى الأَذَانْ. أَعْطِينِي، هُوَ يَاسَمِينْ، أَسْفِقْ عَلَى كُسِّي، وآضْربْهُ شَمَالْ وِيمِينْ. أَعْطِينِي، هُوَ جُلَّنَارْ، أَسْفِقْ عَلَى رَحِمِي إِلَى أَنْ يَطلَعِ النَّهَارْ، وَاسْحَقُوا سَحْقَ[1] الزَّعْفَرَانْ حَتَّى يُغْمَى عَلَيَّ مِنَ السَّحْق، وَأَبْقَى كَالوَلْهَانْ، لاَ أَعِي، وَلاَ أُفِيقْ، وَلاَ أَعْرِفْ كِيفِ الطَّرِيقْ، حَتَّى أَعْرَقْ وَأَفُورْ، وَأَغْلِي كَغَلْيَانِ القُدُورْ. يَا حَبِيبِي، أَشَفَارِي تَاكُلْنِي، حُكُّوا بِزُبِّكِ قَوِي، وَبخَصْوِكْ دَاوِينِي، يَا سِيدِي أَنْطَحْنِي بْرَاسُو، وَأَسْفِقْ عْلَى كُسِّي حَتَّى تَضِيقْ[2] أَنْفَاسُو[3]. يَا حِبِّي، مِتْ مِنْ عِشْقِكْ، أَعْطِينِي بِحَيَاتِكْ خَصْوِكْ، يَا حِبِّي جِيبُوا عَشْرَه حَتَّى أَبْقَى أَشْخَرْ.

وَالغِرُّ كَالبَقَرِ. هَذَا يَجْرِي بَيْنَهُمَا مِدْرَاراً، وَالزَّوْجُ بَقِيَ فِي قَلْبِهِ النَّارْ، وَيَقُولُ فِي خَاطِرِهِ: «وَالْكِي، لاَ تُبَطِّلِي الغُنْجِ وَلاَ سَاعَه، عَسَى يَشْتَغِلْ عَنِّي هَذِهِ السَّاعَة، وَلاَ تَقْطَعِي لَذَّتَهُ، وَخَلِّيهْ يَنِيكْ إِلَى أَنْ تَفْرَغَ شَهْوَتُهُ».

قَالَ:

وَلَمْ يَزَالُوا فِي نَيْكٍ وَلَيْكٍ، وَهَزٍّ وَلَزٍّ، وَجَبْدٍ وَمَدٍّ، وَعَفْقٍ وَسَفْقٍ، وَرَفْعٍ، وَدَفْعٍ، وَسَدٍّ وَمَدٍّ، وَأَخْذٍ وَرَدٍّ حَتَّى طَنَّتْ بِهِمَا الدَّارْ، وَلَذَّ لَهَا نَيْكُ النَّجَّارْ، وَأَنْشَدَتْ بَلاَلِيقْ[4] وَأَشْعَار، وَأَشَارَتْ إِلَى أُمِّهَا بِغُنْجٍ وَغَلَيَان عَلَى البَارِدِ وَالْحَارِ، وَأَنْشَدَتْ تَقُولُ:

---

1) في الأصل: «سحيق».

2) في الأصل: «نصق».

3) كذا في الأصل، ولعلّ الصّواب: «أنفاسي».

4) في تكملة المعاجم: 436/1 بلق: «بَلّيق، وتجمع على بلاليق: ضرب من الشّعر العامّي، يغلب عليه الهزل والمجون».

[بُلِّيق]

يَـــا أُمِّـــي شَـــبْ نَجَّـــارْ

بْطَرْفُـــوا وَقّدُو، أَخَذْ قَلْبِي بِمِنْشَـــارْ

بَعِجْبُـــوا، وَقَـــدْ وَادِ النَّجَّـــارْ

لوَعْـــدُهْ عَلَـــى قَـــدْ

خَلْقِـــي يَشُـــقْ السُّكُفَّـــهْ

يَـا مِـي، غَيَّبْ عَنِّي نُطْقِـي

بِيتِـي وَاقِـعْ، بْسَـهْمُو[1] ايشِـدُّو[2]

لَوْ نَظَـــرَتْ يَا مَيْ قُدُومُـــو، يِتْحَرِّبُوا

فِـــي قَلْبِـــي، مَـــا أَطِيـــقْ أَرُدُّو

وَإِنْ صَـــــارْ سَقِـــفْ

مِثْقَابُـــــو[3] الْمَلِيـــحْ يَـــا

مَـيْ مِـنْ ذَاقُـــو لاَ يُفْلِـــحْ

وحِيـــنْ يُرْيِنِـــي بْحُبُّـــو

هُـو يُنْقُـــر وَأَنَـــا أَمْسَـــحْ

وحِيـــنْ يَنْحَـــرْ فِـــيَّ،

فِـــي الصَّنْعَـــه يَنْصَـــحْ

وَلَمَّـــا يْجِـــي يِلْزِمْنِـــي،

---

1) كناية عن الذّكر.

2) في الأصل: «ايسدّو».

3) في تكملة المعاجم: 101/2 ثقب: «مثقب: آلة الثّقب، مقورة، والمثقاب: سلك غليظ من الشبه، يدخله صانع الأنابيب في الأنبوب»، وكلاهما كناية عن الذّكر.

يَاخُذْنِـــي لُعَنْـــدُو

يُخْفِـــي اللَّحَّامَـــاتْ[1]

عَنِّـــي طَاقْتُـــو وَجُهْـدُو

آنْشَـــرْلِـــي خُوَيِّـــطْ مُغْـــرَهْ[2]

جَـــابْ لأَخْتِـــي حُسَـــيْنَهْ

وَجَـا عَنِـذْ بَابُـه طَرَّقْـهْ سْنِينَـهْ

مْعَلَّـــمْ وَهْـــزّ لِـــي

وَجْـــدِي، صَنِعْتُـــهْ مْكِينَـــهْ

آنْشَـرْلِي شْبِيبِكْ بَيتِي نَقَّى شُغْلُو بِيدُو

وَخَاتِـــمْ مْثَمَّـــنْ مَا جَاحْـــدَهْ

جِبْتِيـهْ لِـي يَـا أُمِّي البِيـتْ،

وَأَدْرِي دِي الإِشَـــارَهْ

يعَـــدِّلْ لِنَايَـــاتِ[3] الـــدَّارْ

لاَ رُوحْ لَـــهُ جْكَـــارْ[4]

مَـــا أَنْـــتِ إِلاَّ عِشِـــقْتِي،

وَدَفِّتْنِـــي الْحَـــرَارَهْ

---

1) في تكملة المعاجم: 220/9 لحم: «لحمة: لحام، ولحمة ربط: وصل، ربط، اتّصال، حياكة»، وكلّها كنايات عن الفعل الجنسيّ.

2) في تكملة المعاجم: 88/10 مغر: «طين أحمر، وهو مغرة النّجّارين»، وهو هنا كناية عن الفعل الجنسيّ.

3) النّاي من الكنايات الجنسيّة القديمة عن الذّكر.

4) في تكملة المعاجم: 236/2 جكر: «جاكر: ألحّ، ضايق، ناقر».

كِيـــفْ أَبْقَـــى يَـــا أُمِّـــي
وَحْـــدِي، وَهُـــوَ يَبْقَـى وَحْـدُو
وَإِنِ لَـــمْ تْجِيبَـــهْ لْعَنْـــدِي،
رُحْـــتْ أَنَـــا لْعَنْـــدُو

قَالَ الرَّاوِي:

فَلَمَّا [سَمِعَتْ][1] أُمُّهَا هَذَا الكَلاَمْ، مَعَ النَّثْرِ وَالنِّظَامْ، وَاسْتَوْعَبَتْ هَذِهِ القَضِيَّةَ، وَقَعَتْ إِلَى الأَرْضِ مَغْشِيَّة. وَلَمَّا أَفَاقَتْ[2]، قَالَتْ: يَا بِنْتِي، مِنْ كَثْرَةِ مَا شَوَّقْتِينِي، قَدْ عَرِقَ جَبِينِي، وَرَشَحْتُ فِي سِيقَانِي مِنْ عُظْمِ مَا قَدْ دَهَانِي، وَقَدْ بَلَّتْ أَطْرَافَ ثِيَابِي، وَأَنْتِ[3] تَجْنِي التَّحْكِيكْ، وَالتَّزْوِيقْ، وَالتَّغْمِيقْ، وَالتَّطْرِيقْ، وَالتَّسْفِيقْ، لاَ سِيَّمَا إِنْ كَانْ صَدِيقْ تَغْطِيهْ النَّيك بِلَبَاقَة، وَفِي وَصْلِكْ رَاحَة.

قَالَ النَّاقِلُ:

وَمَا جَاءْ وِقْتْ السَّحَرْ إِلاَّ وَالعَشِيقْ عَلَى اِثْنَا عَشَرْ[4]، وَفَرَغَ النَّجَّارُ شُغْلَهُ[5]، وَقَامَ عَنْهَا، وَالْتَفَتَ بِعَيْنِهِ فَوَجَدَ الزَّوْجَ قَدْ حَمَلَ السِّرَاجْ، وَهْوَ قَاعِدْ مَعَ الْحِيطْ، عُرْيَانْ، مَحْلُوقِ الرَّاسِ، مْنَجَّرِ السَّاحِلْ[6]، وَالسِّرَاجُ عَلَى قَرْعَتِهِ، وَهْوَ لاَ يَحْتَرِكْ وَلاَ يَخْتَلِجْ، فَضَحِكَ عَلَيْهِ

1) ساقطة في الأصل.
2) وبعده في الأصل: «إلى الأرض»، ولا معنى لها في هذا السّياق، فأسقطناها.
3) في الأصل: «أنتي».
4) أي إثنا عشر فردا.
5) كذا في الأصل، ولعلّ الصّواب: «فرّغ، بالتّشديد»، كناية عن الإنزال.
6) كذا في الأصل، ونرجّح أنّها عبارة مجازيّة في علاقة بالحلق أيضا، لأنّ سحل معناه نجر ؛ انظر: تكملة المعاجم: 41/6 سحل.

حَتَّى شَبعَ. ثُمَّ إِنَّهُ انْغتَمَ وَقَالَ: هَايْ مَلْعُونهْ قَحْبَهْ، إِيشْ هُوَ هَذَا الَّذِي عَلَيْهِ السِّرَاجْ؟

قَالَتْ: يُوهْ يَا سِيدِي، هَذِهِ مْنَارَهْ[1] جاهْلِيَّهْ[2]، مِنْ عَهْدِ أَبِي وَأُمِّي.

فَقَالَ: تِكِذْبِي،هَذَا زَوْجكِ، وَأَنَا أَنِيكُهُ، ,وَأُصْبِحْ أَخْصِيهْ.

قَالَ:

يَا سَادَة، فَلَمَّا سَمِعَ الْمَصطُولُ ذَلِكَ، انْتَفَضَ وَهَزَّهُ، وَقَالَ فِي قَلْبِهِ: «وَالِكْ يَا مْعَرَّصْ[3]، أَنْتَ مَا شَبِعْتْ نِيكْ مِنَ العَشَا إِلَى هَذَا الوَقْتِ؟! وَالِكْ يَا أَوْسَخْ الزَّفْرَاتْ[4]، أَشْبِعِيهْ نَيْك عَسَى يْلْهُو عَنِّي بِالنَّيْك! وَاللَّهِ إِنْ دَرَى بِي لأُصْبِحْ أتخم رَقَبَتِك بِعَلْقَةِ[5]. لِيشْ خَلِّتِيهْ يِنْزِلْ عَنْكِ[6]؟!»

وَلَمْ يَزَلْ فِي قَلْبِهِ يَقِيسُ وَيَقْطَعْ، وَيَعْرَفْ لِزَوْجَتِهِ طَعَامْ حَارْ، سَاعَة حَامِضْ، وَالعَشِيقُ بَزِّقْ كَفُّه، وَنَخَلَهُ[7] وَاحْدَه عَنْقَهْ[8] مُزْعِجَة قَوِيَّة، تْجِي عَشْرَة أَرْطَالْ بِالعِرَاقِي.

فَقَالَ الزَّوْجُ بِلِسَانِهِ: طَنْ.

---

1) في تكملة المعاجم: 332/10 نور: «منارة: فانوس».

2) في تكملة المعاجم: 324/2 جهل: «جاهلي: ماكان في عهد الوثنيّة»، وهي هنا بمعنى عتيقة، قديمة.

3) في الأصل: «معرّض».

4) في تكملة المعاجم: 337/5 زفر: «زفرة: زفر، وسخ».

5) وبعد في الأصل: «الدى»، لم ندرك لها معنى، فأسقطناها، وفي تكملة المعاجم: 284/7 علق: «عَلْقة، والجمع علق: ضرب بالعصا، وأكل علْقَة: ضرب بالعصا».

6) في الأصل: «عنكي».

7) في الأصل، ولعلّ الصّواب: «نحله»، بمعنى أعطاه.

8) كذا في الأصل، والواضح من السّياق أنّها تفيد «ضربة على العنق».

وَطَوَّلَ فِيهَا، فَقَالَ العَشِيقُ: هَذِهِ الْمَنَارَة نُحَاسْهَا مَغْرِبي[1]؟

فَقَالَتِ الفَاجِرَةُ: يُوهْ يَا سِيدِي، وَاللَّهْ نُحَاسْ إِسْبَادْرِيهْ[2]».

فَقَالَ: هَايْ قَحْبَة، تِكْذِبْ، مَا هُوَ إِلاَّ نُحَاسْ مَغْرِبِي.

ثُمَّ شَالَ يَدَهُ، وَصَفَقَهُ ثَانِيَهْ أَقْوَى مِنَ الأُولَى، خَلَعْ رَقَبْتُهْ، وَطَنَّتْ لَهَا الدَّارْ، فَقَالَ الزَّوْجُ: طَنْ.

فَقَالَ: مَا أَقُولْ لَكِ[3] مَغْرِبي، تَقُولِي لأَ؟

قَالَتْ: وَحَيَاتِكْ، وَحَيَاة زُبَيِّبِكْ الغَلِيظْ مَا هُوَ إِلاَّ نُحَاسِ إِسْبَادْرِيهْ، وَهَا هِيَ بِينْ يْدِيكْ، جَرَّبْهَا كَيْفَ شِئْتَ.

فَشَالَ يَدَهُ وَأَعْطَاهُ وَاحْدَهْ أَقْوَى مِنَ الْجَمِيعْ، فَقَالَ الزَّوْجُ: طَنْ، طَنْ، طَنْ.

فَقَالَ العَشِيقُ[4]: هَايْ قَحْبَهْ، أَنَا أَقُولْ مَغْرِبِي، وَأَنْتِ[5] تَقُولِي إِسبَادْرِيهْ.

فَقَالَتْ: يَا سِيدِي، وَحَيَاة خَصُوكْ الْمدَلِّي إِسْبَادْرِيهْ، وَأَنَا أُرِيكْ حِسَّهَا.

ثُمَّ شَالَتْ يَدَهَا بحليه[6] وَاحِدَهْ طَيَّرَتِ الشَّرَارَ مِنْ عَيْنَيْهِ.

فَقَالَ الزَّوْجُ: طَنْ، طَنْ، طَنْ.

---

1) أي من النّوع الرّديء.

2) كذا في الأصل، وفي تكملة المعاجم: 124/1: «اسبيدريك: برنز، نحاس أحمر»، وفيه أيضا: 178/10 نحس: «اسبيداريج: فلز البرونز».

3) في الأصل: «لك».

4) في الأصل: «الزّوج».

5) في الأصل: «أنتي».

6) كذا في الأصل، ولم نعثر لها على شرح.

فَلاَ زَالَ هُوَ وَإِيَّاهَا يَتَبَادَلُوا عَلَى رَقَبَتِهِ يتكابرُوا[1]، وَيَصْفَعُوهْ مِنْ ذَاكَ الصَّفْعِ الْهَايِلْ حَتَّى أَنْزَلُوا الْمَاءَ الأَصْفَرَ[2] في عَيْنَيْهِ، وَالزَّوْج، كُلَّمَا صَفَعُوهُ، يَقُولُ هُوَ طَنْ طَنْ، وَيُطَوِّلْ فِي التَّطْنِينْ حَتَّى أَعْيَاهُ الأَمْرُ، فَقَالَ العَشِيقُ فِي الآخِرِ: صَدَقْتِ[3]، نُحَاسْ اِسْبَاذْرِيهْ!

ثُمَّ غَلَبَهُ الضَّحِكُ، فَقَامَ لَبِسَ أَخْفَافَهُ، وَنَزَلَ، وَمضَى إِلَى حَالِ سَبِيلِهِ، وَغَلَقَتِ الْمَهْتُوكَةُ[4] خَلْفَهُ البَابَ، وَجَاتْ لِزَوْجِهَا وَقَالَتْ: إِيشْ حِسِّكْ؟ مَا خَبِّيتِكْ، وَخَاطِرتْ بْنَفْسِي، وفْدِيتِكْ[5] بِزُنْبُورِي[6]وَكُسِّي! وإِيشْ حِسِّكْ في هَذِهِ الْحِيلَةِ الَّتِي عَمِلْتُهَا؟

فَقَالَ لَهَا الْمَدَمَّغْ: وَإِيشْ حِسَّكِ أَنْتِ[7] فِي قَوْلِي لَهُ؟ أَنَا أَظُنّ مَا هُو ذَكَاءْ وَشَطَارَهْ حَتَّى حَسِبْتِينِي مَنَارَة. وَاللَّهِ مَا رَأَيت أَبْلَمْ مِنْ مَمَالِيكْ السُّلْطَانْ، تَجُوزُ علِيهُمْ العِبَارَة: يَقِشْعُوا ابنِ آدَمْ، يِحِسْبُوهْ مْنَارة!

ثُمَّ شَكَرَ لَهَا إِحْسَانَهَا، وَكَيْفَ قَدْ فَدَتْهُ[8] بِشَيْلِ سِيقَانِهَا، وَقَالَ لَهَا: وَاللَّهِ أَنَا كُنْت حَلَفْت فِي قَلْبِي أَنَّ أَيَّ وَقِتْ بَطَّلْتِي الغُنْج سَاعَة

---

1) كذا في الأصل، وفي تكملة المعاجم: 22/9 كبر: «تكابر: تنازع، تخاصم».

2) في تكملة المعاجم: 135/10 موه: «ماء: سادّ، تكثّف في عدسة العين يمنع الإبصار (ويطلق العرب عليه اسم الماء لتراكم السّائل الكثيف في العين) (الجريدة الآسيوية 1847، 2، 160) واسم الماء النّازل (ابن البيطار 1: 162): الماء الأبيض النّازل في العين أي السّاد الأبيض (سانغ) عند الحصان (ابن العوام 2: 578)، والماء الأسود النّازل في العين عند الحصان (سانغ) (ابن العوام 2: 579)، والماء الأصفر النّازل في العين أي السّاد الأسود والأصفر».

3) في الأصل: «صدقتي».

4) في تكملة المعاجم: 4/11 هتك: «مهتوكة: قحبة، عاهرة».

5) في الأصل: «افديتك».

6) في اتكملة المعاجم: 362/5 زنبر: «زُنْبُور: البظر، البظر الطّويل».

7) في الأصل: «حسّكي أنتي».

8) في الأصل: «أفدته».

وَاحِدَة، أَوْ خَلِّيتِيهْ يِنْزِلْ عَنْ كُسِّكِ[1] حَتَّى يشفى، وَيَدْرَا بِي، كُنْت أَصْبح أتخِمْ رَقَبْتِكْ بِعَلْقَة.

فَقَالَتْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَا كُنِتْ تْخَالْفُهْ[2] لِعَرْضِكْ!

وَلَمَّا حكَى[3] هَذِهِ الْمَاجْرِيَّةَ، تَعَجَّبَ لَهَا الْحَاضِرُونَ، وَقَالُوا: لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الفَاسِقِينَ.

1) في الأصل: «كسّكي».

2) كذا في الأصل، ولعلّ الصّواب: «مخالفة».

3) في الأصل: «أحكى».

الْمَاجِرِيّةُ الثّامِنَةَ عَشْرَةَ[1]

قَالَ الْمُؤَلِّفُ، عَفَا اللَّهُ عَنْهُ: فَقَالَ اليَهُودِيُّ الصَّيْرَفِيُّ:

رَفِيقِي كَانَ رَجُلاً يَهُودِيّاً، وَكَانَ عِنْدَهُ بَعْضُ الغُفْلِ[2]، وَكَانَ اسْمُهُ أَبُو المُنَى، وَهْوَ مُتَزَوِّجُ بِامْرَأَةٍ حَسَنَةٍ مَلِيحَةٍ. وَكَانَ لَهَا أُمٌّ عَجُوزٌ، القِيَادَةُ فِي دِينِهَا جَائِزَةٌ، وَكُلُّ شِبْرِ قِيَادَةٍ عِنْدَهَا أَحَبُّ إِلَيْهَا مِنْ ذِرَاعِ أَطْلَسٍ.

فَقَالَتْ لَهَا بِنْتُهَا يَوْماً مِنَ الأَيَّامِ: يَا أُمِّي، أُرِيدُ أُطْعِمُ[3] زَوْجِي شَيْئاً. كَمَا تَقُولُ النِّسَاءُ يَطْعِمُوا أَزْوَاجَهُمْ فِي الدُّخُولِ وَالْخُرُوجِ، فَقَالَتْ العَجُوزُ لَهَا: أَنَا أَجِيبُ مَا يَنْصَلِحُ بِهِ زَوْجُكِ، وَهْوَ الَّذِي كُنْتُ أَعْمِلُهُ لأَبُوكِ.

فَخَرَجَتِ العَجُوزُ، وَأَحْضَرَتْ رَأْسَ حِمَارٍ بِكَمَالِهِ طَرِيّاً[4]، لِتَأْخُذَ مِنْ مُخِّهِ حَاجَتَهَا. فَلَمَّا رَجَعَتْ وَجَدَتْ صِهْرَهَا فِي البَيْتِ. وَكَانَ سُلَّمُ السَّطْحِ مِنْ بَرَّا البَابِ، فَطَلَعَتِ العَجُوزُ إِلَى السُّطُوحِ، وَرَمَتِ[5]

---

1) في الأصل: «الثّامنة عشر».

2) في تكملة المعاجم: 418/7 غفل: «غُفْلُ: أبله، أحمق، أخرق».

3) في تكملة المعاجم: 55/7 طعمك «مَطْعُوم: من شرب شراب المحبّة وهو شراب مزجه ساحر ذو قدرة على إحداث الحبّ».

4) في الأصل: «طريّ».

5) في الأصل: «أرمت».

الرَّأْسَ، ثُمَّ نَزَلَتْ عَبرَتِ البَيْتَ. فَسَمِعَ اليَهُودِيُّ حِسَّ الدَّكَّةِ وَالْخَبْطَةِ فِي السُّطُوحِ، فَنَهَضَ وَقَالَ: حِسْ خَبْطَه وَدَكَّهْ فَوْقَ السُّطُوحِ.

ثُمَّ إِنَّهُ طَلَعَ يَنْظُرُ مَا هِيَ الْخَبْطَةُ، فَطَارَ عَقْلُ حَمَاتِهِ مِنَ الْخَوْفِ، وَقَالَتْ لِبِنْتِهَا: يُوهْ يُوهْ.

وَصَارُوا يُوَلْوِلُوا، وَإِيشْ يَكُونُ حُجَّتُهُمْ إِذَا سَأَلَهُمْ. فَبَيْنَمَا هُمْ فِي مِثْلِ ذَلِكَ، وَالزَّوْجُ تَطَلَّعَ مِنْ طَاقَةٍ كَانَتْ فِي السَّطْحِ، تُشْرِفُ عَلَى البَيْتِ، وَقَالَ: يَا مَرَهْ.

فَقَالَتْ: لَبَّيْكَ يَا رَجُلْ.

فَقَالَ: أَتَدْرِي إِيشْ أَلْقَتْ لَنَا الْجَدَّايَةُ فِي السُّطُوحِ.

قَالَتْ: إِيشْ هُوَ يَا رَجُلْ؟

قَالَ: رَأْسُ حِمَارٍ صَحِيحٍ.

قَالَتْ أُمُّهَا: بِاللَّهِ عَلَيْكِ[1] يَا بُنَيَّة، لاَ تَزِيدِي عَلَى الرَّجُلِ شَيْ آخَرَ، فَهَذَا يَكْفِيهِ بِزَايِدْ.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ:

فَضَحِكَ كُلُّ مَنْ كَانَ حَاضِراً، وَتَعَجَّبْنَا غَايَةَ العَجَبِ لِكَثْرَةِ بَلُومِيَّةِ[2] هَذَا الْيَهُودِيِّ وَتَغَفُّلِهِ. وَلاَ تَظُنُّوا أَنَّ التَّغَفُّلَ عِنْدَ اليَهُودِ وَالْمُسْلِمِينَ وَحْدَهُمْ، فَإِنَّهُ حَكَى[3] لِيَ مَاجِرِيَّةً عَنْ بَعْضِ النَّصَارَى، جَرَتْ فِي جِسْرِ الأَفْرَمِ.

---

1) في الأصل:«عليكي».

2) في تكملة المعاجم: 437/1 بلم: «بلم وأبلم: بليد وأبله»، تستعمل للمذكّر والمؤنّث.

3) في الأصل: «أحكى».

فَقُلْنَا: هَاتِ أَسْمِعْنَا.

فَقَالَ: نَعَمْ.



الْمَاجِرِيّةُ التّاسِعَةَ عَشْرَةَ[1]

قَالَ الْمُؤَلِّفُ، عَفَا اللَّهُ عَنْهُ:

حَكَى لَنَا نَصْرَانِيٌّ كَاتِبٌ، قَالَ: حَكَى لِي أَسْعَدُ الكَاتِبُ، وَكَانَ صَدِيقِي، وَحَلَفَ لِي بِاللَّهِ الأَعْظَمِ وَالإِنْجِيلِ الْمُطَهَّرِ، أَنَّ إِنْسَاناً نَصْرَانِيّاً صَبَّاغاً، مُتَزَوِّجاً[2] بِامْرَأَةٍ نَصْرَانِيَّةٍ، وَهُوَ أَعْشَقُ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى فِيهَا، وَكَانَتْ هِيَ أَيْضاً تُحِبُّهُ.

فَاتَّفَقَ أَنَّهُ فِي بَعْضِ الأَيَّامِ سَيَّرَ إِلَيْهَا بَعْضَ الْحُرْفَانِ، وَهُوَ يَقُولُ لَهَا: أَوْسِعِي الْحِيلَةَ حَتَّى أَنَامَ عِنْدَكِ[3] اللَّيْلَةَ.

فَاعْتَذَرَتْ إِلَيْهِ، فَلَمْ يَقْبَلْ لَهَا عُذْراً، وَالْتَزَمَ بِيَمِينٍ إِنْ لَمْ يَأْتِ عِنْدَهَا تِلْكَ اللَّيْلَةِ، لاَ عَادَ يُصَادِقُهَا. فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ تَقُولُ: إِذَا كَانَ وَقْتُ العَشَاءِ، اِحْضَرْ وَصُحْبَتَكَ قَلِيلُ جِيرٍ، وَجِبْسٌ جَزَّازِي، وَفَانُوسُ خَشَبٍ، وَقَنْدِيلٌ، وَقَلِيلُ طُوبٍ.

ثُمَّ عَرَّفَتْهُ مَاذَا يَصْنَعُ، وَأَرْسَلَتْ هَذِهِ الرِّسَالَةِ مَعَ العَجُوزِ أُمِّهَا. فَامْتَثَلَ العَشِيقُ أَمْرَهَا. وَلَمْ يَكُنْ لِلإِمْرَأَةِ دُوب إِلاَّ أَنَّهَا عَبَرَتِ الْحَمَّامَ هِيَ وَأُمَّهَا، وَأَصْلَحَتْ حَالَهَا مِنْ دُلُوكٍ وَدِقَاقٍ وَتَغْسِيلٍ وَتَدْلِيكٍ

---

1) في الأصل: «التّاسعة عشر».

2) في الأصل: «إنسان نصراني صباغ متزوج».

3) في الأصل: «عندكي».

وَتَعْرِيكٍ وَتَفْرِيكٍ، ثُمَّ إِنَّهَا خَرَجَتْ تَنَشَّفَتْ، وَلَبِسَتْ ثِيَابَهَا، وَأَقْعَدَتِ القوحَ وَالقَالِبَ، ثُمَّ تَعَطَّرَتْ وَتَطَيَّبَتْ وَتَبَخَّرَتْ، وَسَدَّتْهُ بَعْدَ أَنْ مَسَحَتْهُ، وَنَشَّفَتْهُ، وَبَخَّرَتْهُ، وَسَوَّكَتْهُ، وَعَطَّرَتْهُ، وَخَطَبَتْهُ، وَزَوَّقَتْهُ، وَغَيَّرَتْ قُمَاشَهَا، وَجَاءَتْ إِلَى بَيْتِهَا.

وَلَمَّا كَانَ آخِرُ النَّهَارِ، حَضَرَ زَوْجُهَا الأَطْرَمُ[1]، وَكَانَ يَقُولُ بِالنَّتِيفَةِ[2]، وَعِنْدَهُ مَعَ ذَلِكَ بَعْضُ تَغَفُّلٍ. فَجَاءَ، وَدَخَلَ البَيْتَ، وَمَعَهُ فُوطَةٌ مَلآنَةٌ مِنْ حَوَاضِرِ السُّوقِ، وَمِنْدِيلُ مُكَسَّرَاتٍ. فَلَمَّا دَخَلَ البَيْتَ وَجَدَ زَوْجَتَهُ كَأَنَّهَا لُعْبَةُ فِضَّةٍ، وَدَخَلَتْ تِلْكَ الرَّوَائِحُ ثَقَبَتْ مُخَّهُ، فَانْحَلَّتْ أَعْضَاؤُهُ، وَسَالَتْ رِيَالَتُهُ، وَتَغَيَّرَتْ حَالَتُهُ، فَحَطَّ الفُوطَةَ وَالْمِنْدِيلَ بَيْنَ يَدَيْهَا. ثُمَّ إِنَّهُ تَقَدَّمَ وَأَخَذَ لَهُ بُوسَةً فِي وَسَطِ فَمِهَا، فَقَالَتْ لَهُ بِنَبْرَةٍ: إِيشْ جِبتْ لَنَا نَتَعَشَّى؟

فَأَخْرَجَ لَهَا مِنَ الفُوطَةِ جُبْناً وَمَوْزاً وَخِيَاراً وَزَيْتُوناً وَكُبَيْبَاتٍ وَنَقَانِقَ وَبَوَارِدَ، وَمَا يُنَاسِبُهُ، فَعَبَّسَتْ وَجْهَهَا، وَأَرْخَتْ زَلَالِيمَهَا[3]، وَتَشَرَّقَتْ بِرِيقِهَا وَقَالَتْ لَهُ: أَنَا عِنْدَكَ صَغِيرَةٌ رَايِحْ تُرْسِلْنِي الكُتَّابَ أَوِ الْمُعَلِّمَةَ حَتَّى تَجِيبْ لِي خُبْز وَجُبْنْ وَمُوزَاتْ؟ يَا لِيتْ بِتَعْرَفْ أَنِّي دَاخْلَهْ اليُومْ الْحَمَّامْ؟ مَا قَدِرتْ تَعْمَلْ لِي قَطِيعَة[4] لْحِيمَة آكُلْهَا؟

1) في موسوعة العاميّة السوريّة: «أطرم: الّذي يلتاث عليه الكلام، أو لا يحسن النّطق لحمق فيه، أو قلّة خبرة، أو مران عليه».

2) لم نعثر لهذه الصّيغة على شرح، وفي تكملة المعاجم: 167/10 نتف: «المنتوف اسم مفعول، المولع بنتف لحيته، ويكنى به عن المخنّث لأنّ ذاك من عاداته، وبعض العامّة يستعمل المنتوف للفقير لا خير عنده».

3) في تكملة المعاجم: 351/5 زلم: «زُلّومة، وجمعها زلاليم: فنطيسة الخنزير، خرطوم الفيل»، وانظر: موسوعة العاميّة السوريّة: 1113/2-1114.

4) في تكملة المعاجم: 321/8 قطع: «قطيعة: قطعة، يقال: قطيعة من الأرض».

فَسَاعَدَتْهَا أُمُّهَا، وَقَالَتْ: سُبْحَانَ اللَّه مَنْ أَرْمَى بِنْتِي عِنْدَكَ، وأَعْطَاهَا لِمَنْ لاَ يَسْتَاهِلْهَا.

وَذَا عَاشِقٌ، وَقَدْ رَأَى زَوْجَتَهُ بِهَذَا الزِّيِّ وَالقُمَاشِ وَالبخُورِ وَالطِّيبِ، وَقَدْ غَضِبَتْ عَلَيْهِ، فَخَرَجَ مِنْ عَقْلِهِ، وَأَشَارَ عَلَيْهِ عَقْلُهُ أَنِ آخْرُجْ وَجِبْ لَهَا مَا طَلَبَتْ عَسَى تُنْعِمُ عَلَيْكَ وَتُعْطِيكَ اللَّيْلَةَ وْحَيِّدْ. فَقَامَ يَجْرِي، وَنَزَلَ إِلَى البَحْرِ، وَغَسَلَ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، لأَنَّهُ كَانَ سَاكِن عَلَى الْجِسْرِ كَمَا قَدَّمْنَا. ثُمَّ إِنَّهُ سَحَقَ لَهُ حَشِيش، قَدْرَ ثَلاَثَةِ أَرْطَالٍ، وَبَلَعَهَا، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: «بَيْنَمَا أَعْمَلِ اللّحِيمَهْ، تَطْلَعْ حَشِيشْتِي، وَيَطِيبْ عَيْشِي، وَاللَّيلَةَ لِيلْتْهَا وَلِيلْتِي». وَطَلَعَ مِنَ البَحْرِ قُرَيْبَ الغُرُوبِ، وَوَصَلَ إِلَى السُّوقِ، وَدَوَّرَ وَاشْتَرَى اللَّحْمَ، وَأَعْطَاهُ لِلشَّرَائِحِي[1]، وَجلَسَ عِنْدَهُ يَنْتَظِرُ فُرُغَهَا.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ:

هَذَا جَرَى لأَبِي[2] تَحْزُونْ. وَأَمَّا مَا كَانَ مِنَ العَشِيقِ فَإِنَّهُ جاءَ إِلَى البَيْتِ، وَمَعَهُ الْجِيرُ وَالْجِبْسُ، كَمَا ذَكَرْتْ لَهُ، وَالفَانُوسُ، وَالقِنْدِيلُ، وَغِلْمَانُهُ، فَدَخلَ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَرُصُّوا بَابَ البَيْتِ بِالْحِجَارَةِ، وَيُلْبِسُوهُ بِقِشْرَةِ بَيَاضِ طِينٍ رَفِيعَةٍ، وَيُبَيِّضُوا البَابَ جَمِيعَهُ تَبْييض خَفَيف[3]. فَامْتَثَلَ الغِلْمَانُ أَمْرَهُ، وَرَصُّوا البَابَ بِالطُّوبِ، وَذَوَّبُوا الْجِبْسَ وَبَيَّضُوا الْحَائِطَ. وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَأْتُوا وَقْتَ التَّسْبِيحِ، وَيُزِيلُوا جَمِيعَ ذَلِكَ. وَأَمَّا

1) كذا في الأصل، وفي تكملة المعاجم: 286/6 شرح: «شرائحي: تاجر التّين الجافّ».

2) في الأصل: «أبو».

3) في الأصل: «تبييض خفيف».

هُوَ فَإِنَّهُ طَلَعَ إِلَى مَعْشُوقَتِهِ، وَوَقَدَ الفَانُوسَ، وأَرْخَاهُ مِنَ الطَّاقِ كَمَا أَمَرَتْهُ، فَصَارَ يُضِيءُ عَلَى الْحَائِطِ جَمِيعِهِ، وَأَنَارَ الزِّقَاقَ.

وَقَامَتِ الْمَرْأَةُ تَلَقَّتْهُ، وَاحْتَضَنَتْهُ، وَرَمَتْ[1] يَدَيْهَا فِي عُنُقِهِ، وَطَوَّقَتْ عَلَيْهِ، وَلَفَّتْ سِيقَانَهَا عَلَى وَسَطِهِ، وَزَقَّتْهُ سَبْعَة ثَمَانِ بَوْسَاتٍ، شَيْءٌ وَلاَ تَكْسِيرِ الْجَوْزِ عَلَى نَاعِمِ الرُّخَامِ، وَتَحَامَلَتْ هِيَ وَإِيَّاهُ إِلَى صَدْرِ الإِيوَانِ، فَانْضَجَعَتْ عَلَى قَفَاهَا، وَأَخَذَتْهُ عَلَى صَدْرِهَا بَعْدَ أَنْ أَصْلَحَتْ أَمْرَهَا، وَبَاحَتْ بِسِرِّهَا، وَشَهقَتْ وَشَرِقَتْ، وَخَفَضَتْ وَرَفَعَتْ، وَصَنَعَتْ لِلْقُحُوبِيَّةِ[2] أَبْوَاب، وَعَمِلَتْ بِحُبِّهِ تَوَالِيفَ وَأَنْدَاباً[3]، أَوَّلُهُمْ خَلْطُ العَسَلِ بِالزَّيْتِ، وَرَفَعَتْهُ إِلَى سَقْفِ البَيْتِ، وَآخِرُهُمْ قَالَتْ لَهُ: إِنْ كَانَ عِنْدَكَ خِبْرَة، خُذْهُ رَغِيفْ إِلاَّ كِسْرَة، خَذْهُ مُصْطَكَا بِالغُنْجِ وَالبُكَا، خُذْهُ زَبَادِي[4] وَحُطّهْ جَوَّا فُؤَادِي، خُذْهُ سَكَارِجْ[5] عَابِرْ وَخَارِجْ.

قَالَ:

وَمَا زَالَتْ تُعْطِيهِ مِنَ الغُنْجِ الرَّقِيقِ، وَالشَّهِيقِ وَالنَّهِيقِ، وَأُمُّهَا فِي الطَّاقِ وَعَيْنُهَا عَلَى الزُّقَاقِ، فَأَشَارَتْ إِلَى أُمِّهَا مِنْ تَحْتِ العَشِيقِ، وَغَنَّتْ بِلِّيقْ[6]، تَقُولُ:

---

1) في الأصل: «أرمت».

2) كذا في الأصل، وفي موسوعة العاميّة السّوريّة: 1838: «قحبنة: المصدر المشتقّ من قحبة: أي تصرّف البغيّ».

3) في تكملة المعاجم: 188/10 ندب: «ندبة: نداء، دعوة»، والجمع أنداب.

4) في تكملة المعاجم: 282/5 زبد: «زُبديّة: إناء من الخزف الصّيني».

5) في تكملة المعاجم: 107/6: «سُكرُوجة وسُكُرُّجة: صحفة، طاس، وجمعها سكاريج وسكارج».

6) في تكملة المعاجم: 436/4 بلق: «بلّيق وتجمع على بلاليق: ضرب من الشعر العامي يغلب عليه

يَا مَيْ تُرِيدِينِي حُرَّهْ وَاجِي لِمَنْ   مَا نَا بْنَيْهْ لِي عُذْرَهْ حَتَّى انْحَزِنْ

آخِـــي لِمَـــنْ أَيْقَـــى يَـــا مِيمْتِـــي

وَعَمِّتِي كَانِتْ مِثْلِي وَخَالَتِي؟

حَاشَـا وَكَلاَّ أَنِ أُنْكِـرْ صِنَاعَتِـي   وَانَـا صَبِيَّـةٌ كَالبَـدْرِ حُسْـنِي فَتَـنْ

وَإِذَا نَزَلْ كُسِّي الزَّبْرَهْ أَبْقَى لِمَنْ؟

أَبْكِي بِلاَ دَمْعَهْ تِجْرِي وَلاَ فَزَعْ

وَاسْتَعْمِلْ أَحَّا بِالعَامِدْ بِدُونْ وَجَعْ

وَأُغْشَى وَأَمُوتْ مِنْ دُونْ جَزَعْ

وَأَذْبَلْ وَتَاخِذْنِي الصَّفْرَا وَالتَّكَنْ   إِنْ لَـمْ أَرَ جُوَّا بَرَّا مَا اسْتَكَنْ

هَذَا الْحَيَا مَا هُو شُغْلِي وَلاَ أَعْرِفُهْ

وَلاَ ورِتُّهْ مِنِ أَهْلِي حَتَّى أَعْرِفُهْ

مَا أَعْرِفْ سِوَى كَحَّلْ عِينِي وَأَنْتِفُهْ

وَأُرْخِي عَلَيَّ ثُوبْ وَأُرْخِي البَدَنْ وَأَعْمَلْ خُطُوطِي وَالْحَمْرَه مَعَ العُكَنْ

مِنَ القَمَاطْ جِيتْ مِشْوَادَهْ أَهْوَى الشَّبَابْ

وَاكُلْ وَاشْرَبْ وَتْلَذَّذْ وَالْبَسْ ثِيَابْ

وَأَحِبْ مَالِي يُومْ رَقْدَهْ فُوقِ التُّرَابْ

عَنْدِي القُحُوبِيَّه فَخِرْ أَوْ أَغْلَى تَمَنْ   إِنْ لَـمْ أَرَ جُوَّا بَرَّا مَـا اسْتَكَـنْ

ربِّ اهْتَكِكْ يَـا حُـرْ أَيَـا مَـا فِيـكْ مَـدَاقْ

تْعِبْـتْ مِمَّـا أَغْـزِلْ كِتَّـانْ وَأَدْرِنْ مَشَـاقْ

الهزل والمجون».

وَالـزَّوْجِ قَـالْ يِحْبِسْـنِي فِـي الْحُجْـرَا

كَـمْ أَنْسَـجِنْ عَـنْ أَمْرِكُـمْ أَبْقَـى حُـرَّهْ وَمَـا أَنْغَبِـنْ

قَالَ:

وَلَمَّا فَرَغُوا مِنْ شُغْلِهِمْ، جَلَسُوا يَأْكُلُوا الْحَوَاضِرَ الَّذِي جَابَهَا الْحَزِينُ الصَّبَّاغُ، وَقَامُوا غَسَلُوا أَيْدِيهِمْ، وَجَلَسُوا يَتَهَارَشُوا وَيَتَضَاحَكُوا.

قَالَ:

هَذَا جَرَى لِهَؤُلاَءِ، وَذَلِكَ الْمِسْكِينُ الصَّبَّاغُ لَمْ يَزَلْ عِنْدَ الشَّرَايِحِي حَتَّى اسْتَوَتِ القِدْرَةُ[1]، وَذَلِكَ الوَقْتُ غُلُوقُ السُّوقِ. فَحَمَلَهَا عَلَى رَأْسِهِ، وَقَدْ طَلَعَتْ حَشَائِشُهُ، ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِلَى البَيْتِ وَهْوَ فَرْحَانٌ، فَوَصَلَ إِلَى الْجِسْرِ وَدَخَلَ الزِّقَاقَ، وَقَدْ طَوَّشَتْهُ[2] الْحَشِيشَةُ بَيْنَ يَمِينٍ وَشِمَالٍ. فَمَا هُوَ إِلاَّ أَنْ وَصَلَ إِلَى البَابِ فَوَجَدَهُ مَسْدُوداً، وَالْحَائِطُ بِطُولِهَا مُبَيَّضَة، وَكَنْسٌ وَرَشٌّ، وَقِنْدِيلٌ يَقِدُ.

فَلَمَّا عَايَنَ الصَّبَّاغُ ذَلِكَ بُهِتَ وَوَقَفَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَرَّا الزِّقَاقِ فَرَأَى بُيُوتَ جِيرَانِهِ فَعَرَفَهُمْ. ثُمَّ إِنَّهُ دَخَلَ الزِّقَاقَ ثَانِي مَرَّةٍ، فَلَمَّا رَأَى البَابَ وَالبَيَاضَ، وَالقِنْدِيلَ وَالضَّوْءَ يَلْمَعُ، فَحَارَ وَأَخَذَهُ الانْبِهَارُ، وَوَقَفَ تَحْتَ طَاقَةِ بَيْتِهِ، فَسَمِعَ حِسَّ الضَّحِكِ وَالكَرْكَرَةِ[3]، وَكَلاَمَ العَشِيقِ خَارِجاً مِنَ الطَّاقِ، فَتَحَيَّرَ فِي عَقْلِهِ، وَقَالَ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ

1) في تكملة المعاجم: 195/8 قدر: «قدرة: قدر، إناء يطبخ فيه».

2) في تكملة المعاجم: 90/7 طوش: «طوَّش، بالتّشديد: دوّخ».

3) في تكملة المعاجم: 69/9 كركر: «كركرة: دغدغة».

إِلاَّ بِاللَّه، قَدْ تِهْتُ، وَسَتَرَ اللَّهُ عَنْ بَيْتِي، وَانْضَرَبْتُ فِي رَأْسِي، ثُمَّ إِنَّهُ تَمَثَّلَ يَقُولُ[1]:

[من البسيط]

يَأْتِـي[2] عَلَـى الْمَـرْءِ فِـي أَيَّـامِ مِحْنَتِـهِ
حَتَّـى يَـرَى حَسَـناً مَـا لَيْـسَ بِحَسَـنِ

قَالَ:

وَصَارَ الصَّبَّاغُ يَمْشِي إِلَى رَأْسِ الزُّقَاقِ ثُمَّ يَعُودُ إِلَى عِنْدِ بَيْتِهِ. هَذَا، وَالعَشِيقُ فِي الطَّاقِ كُلَّمَا رَآهُ تَنَحْنَحَ وَبَصَقَ عَلَيْهِ، فَيَقُولُ الزَّوْجُ: «وَاللَّهِ، أَنَا مُرَاوِس، هَذَا صَاحِبُ البَيْتِ، وَأَظُنُّهُ أَسْتَادَار[3] كَبِير. وَيَرْجِعُ إِلَى رَأْسِ الزُّقَاقِ، وَيَعُود إِلَى البَيْتِ إِلَى أَنْ مَضَى أَكْثَرُ اللَّيْلِ، وَأَعْيَاهُ حَمْلُ القِدْرَةِ، وَتَعِبَ وَقَالَ فِي قَلْبِهِ: «وَاللَّهِ مَا بِي رُوحِي، مَا بِي إِلاَّ بَيَاتْهَا بِلاَ عَشَا، وَأَنَا قَدِ انْقَلَبَتْ رَأْسِي اللَّيْلَةَ، فَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ العَلِيِّ العَظِيمِ».

ثُمَّ إِنَّهُ رَجَعَ مِنَ الْجِسْرِ إِلَى جَانِبِ الْجِسْرِ، فَوَجَدَ مَرْكَب فِيهَا ثَلاَثِينَ رَأْسِ غَنَمٍ، وَجَوْبَان[4] نَائِم عَلَى ظَهْرِ الْمَرْكَبِ، فَقَالَ

---

1) نسب البيت، مع ثان، إلى الأمير يحيى بن علي باشا الأحسائي، في: سمط النّجوم العوالي: 553/4، وخلاصة الأثر: 476/4، وهو بدون نسبة في: حلية البشر: 262ـ417، وخلاصة الأثر: 70/2.

2) في الأصل: «يؤتى»، تصويبها من سمط النّجوم، وفي حلية البشر: «يقضى على المرء في أيّام دولته».

3) وتكتب أيضا أستدار، كما في المعجم الجامع: 17: «لفظ مركّب من «أستد» الأخذ، و«دار»، أي الصّاحب والمتولّي، لأنّه يتولّى قبض المال. وفي الاصطلاح يطلق على متولّي قبض المال السّلطاني وصرفه، وتمثيل أوامر السّلطان فيه. وصاحب هذا المنصب هو القائم على الشّؤون الخاصّة بالسّلطان، والمتحدّث في أمر البيوت السّلطانيّة، من مطابخ وشرابخانه وغلمان وحاشية، وله حديث مطلق وتصرّف تامّ في استدعاء ما تحتاجه البيوتات السّلطانيّة من نفقات وكسوة، وما يجري مجرى ذلك».

4) في تكملة المعاجم: 327/2: «جوبان: يجمع على جَوَابنة، في «حكم لقمان»، تحقيق فريتاج

لِلنُّوتِيِّ: يَا سَيِّدِي، أَشْتَهِي أَنْ تُبَيِّتَنِي عِنْدَكَ اللَّيْلَةَ، فَإِنِّي قَدْ تُهْتُ عَنْ بَيْتِي.

فَعَلِمَ النُّوتِيُّ أَنَّهُ مُدْمَغٌ، مَفْرُوغِ الْمُونَةِ، فَقَالَ لَهُ: اطْلَعْ نَامْ إِلَى جَانِبِ ذَلِكَ الْجُوبَانْ، صَاحِبِ هَذَا الغَنَمِ.

فَطَلَعَ الصَّبَّاغُ إِلَى الْمَرْكَبِ، وَهُوَ يَتَأَسَّفُ وَيَتَنَهَّدُ وَيَتَأَوَّهُ، ثُمَّ رَأَى الْجُوبَانَ نَائِمٍ يَشْخَرُ، وَعَلَيْهِ فَرْوَةٌ مَقْلُوبَةٌ، وَطُرْطُورٌ، وَبِشْتٌ[1] بِلاَ أَكْمَامٍ، فَمَا صَدَّقَ الصَّبَّاغُ أَنْ نَامَ بِجَانِبِ الْجُوبَانِ مِثْلَ القَتِيلِ، مَا تَحَرَّكً مِنَ التَّعَبِ وَالسَّهَرِ.

قَالَ:

فَصَبِرَ عَلَيْهِ النُّوتِيُّ حَتَّى نَامَ وَطَلَعَ غَطِيطُهُ، فَقَامَ إِلَيْهِ وَحَرَّكَهُ، فَوَجَدَهُ قَدْ غَرِقَ فِي النَّوْمِ، وَشَخَرَ مِثْلَ البَقَرِ، فَسَعَى إِلَى نَحْوِ القِدْرَةِ وَأَكَلَ كُلَّ مَا كَانَ فِيهَا، ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِ وَعَرَّاهُ مِنْ أَثْوَابِهِ، وَلَبَّسَهُ فَرْوَةَ الْجُوبَانِ وَبُشْتَهُ، وَأَلْبَسَهُ الطُّرْطُورَ، وَنَبَّهَهُ فِي السَّحَرِ، وَقَالَ لَهُ: قُمْ اِمْضِ[2] إِلَى حَالِ سَبِيلِكَ.

فَقَامَ الصَّبَّاغُ، وَجَاءَ إِلَى بَيْتِهِ بَعْدَ مَا أَتَتْ غِلْمَانُ العَشِيقِ وَكَشَفُوا البَيَاضَ، وَشَالُوا الطُّوبَ، وَنَزَلَ الكَاتِبُ وَفَتَحَ البَابَ وَرَاحَ إِلَى شُغْلِهِ، وَعَادَ الْحَالُ كَمَا كَانَ. وَأَتَى الصَّبَّاغُ، قَبْلَ أَنْ تَطْلَعَ الشَّمْسُ، فَطَرَقَ البَابَ، فَقَالَتْ زَوْجَتُهُ: مَنْ هَذَا؟

(ص6): قال أحد أمراء التركمان: أنا أكسرهم بالجوابنة الّذين معي، وكان عدّتهم سبعين ألف جوبان غير الخيّالة من التّركمان. وهي الكلمة التّركية جوبان أي راعي، غنّام».

1) في تكملة المعاجم: 346/1: «بِشْت أو بُشْت: بكسر الباء أو ضمّها، والجمع بُشوت: نسيج من صوف أسمر، أي بلون الصّوف الطّبيعي، يتّخذ منه لباس للفلاّحين والنّساء».

2) في الأصل: «امضي».

فَقَالَ: اِفْتَحِي يَا مَرَهْ.

فَقَالَتْ: وَمَنْ أَنْتَ حَتَّى أَفْتَحَ لَكَ؟

فَقَالَ لَهَا: أَنَا فُلاَنُ الصَّبَّاغُ زَوْجُكِ، وَأَنْتِ[1] زَوْجَتِي فُلاَنَة.

فَقَالَتْ: قِفْ حَتَّى أُوَرِّيكْ إِنْ كُنْتَ زَوْجِي أَمْ لاَ.

ثُمَّ إِنَّهَا نَزَلَتْ إِلَيْهِ بِالْمِرْآةِ، وَقَالَتْ: اُنْظُرْ وَجْهَكَ فِي هَذِهِ الْمِرْآةِ حَتَّى تَعْرِفَ إِنْ كُنْتَ زَوْجِي أَمْ لاَ.

لأَنَّهَا كَانَتْ رَأَتْهُ مِنَ الطَّاقِ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ، فَأَرَادَتْ أَنْ تَضْحَكَ إِلَيْهِ، فَنَزَلَتْ عَلَيْهِ بِالْمِرْآةِ.

قَالَ:

فَلَمَّا رَأَى الْمَصْطُولُ[2] رُوحَهُ عَلَى ذَلِكَ، وَعَلَيْهِ الطُّرْطُورُ وَالفَرْوَةُ الْمَقْلُوبَةُ، قَالَ: اللَّهُ أَكْبَر، مَا أَبْلَمَ[3] النُّوتِيَّ[4]، جَا يُنَبِّهْنِي فَنَبَّهَ[5] الْجُوبَانْ، وَتَرَكَنِي فِي الْمَرْكَبِ. وَاللَّهِ لأَرُوحَنَّ لَهُ وَأُقِيمَ مَعَهُ ضَرَّابَهْ[6]، وَأَقُولُ لَهُ لِيشْ تَرَكْتَنِي فِي الْمَرْكَبْ، ونَبَّهِتْ[7] الْجُوبَانْ حَتَّى إِنِّي رُحِتْ إِلَى بِيتِي فَطَرَدُونِي، وَقَالُوا لِي مَا أَنْتَ صَاحِبِ البِيتْ، فَنَظَرْتُ فِي الْمِرْآةِ فَوَجَدْتُ رُوحِي الْجُوبَانْ، فَخَجِلْتُ مِنْهُمْ، وَأُخَلِّيهْ يُنَبِّهْنِي مِنَ الْمَرْكَبْ، وآتِي إِلَى بَيْتِي.

---

1) في الأصل: «زوجكي وأنتي».

2) في تكملة المعاجم: 443/6 صطل: «مَصْطُول وجمعها مصاطيل: تصحيف مَسْطُول وهو الذي انتشى وسكر من تدخين الحشيشة، ثمّ أطلقت على الأبله، كما جاء في «محيط المحيط» (مادّة سطل)».

3) في تكملة المعاجم: 438/1 بلم: «أبلم: أبله».

4) وبعده في الأصل: «تنت نت».

5) في الأصل: «فأنبه».

6) كذا في الأصل، ولم نعثر لها على شرح، ونرجّح أنّها تعني: «مشاجرة».

7) في الأصل: «أنبهت».

ثُمَّ إِنَّهُ قَالَ لِزَوْجَتِهِ: مَا تْبَالِي يَا سِتِّي، لاَ تُوَاخِذِينَا بِمَا تَهَجَّمْنَا بِهِ عَلَيْكِ، لأَنَّ هَذَا كُلَّهُ مِنْ بُلُومِيَّةِ النُّوتِيِّ، لاَ غَيْرَ.

ثُمَّ إِنَّهُ مَضَى إِلَى البَحْرِ، وَأَقَامَ مَعَ النُّوتِيِّ ضِرَابَةً بِسَبَبِ ذَلِكَ. فَضَحِكَ عَلَيْهِ كُلُّ مَنْ كَانَ حَاضِراً فِي البَحْرِ، وَأَقَامُوا لَهُ زَفَّةً هَايِلَةً، مِنْ تَصْفِيقٍ، وَعِيَاطٍ[1]، وَضَرْبٍ عَلَى الدَّكَاكِينِ، شَيْ مَا حُكِيَ مِثْلُهُ لأَحَدٍ، وَصَارَ وَاحِدٌ يَقُولُ: «حَاشَاكْ لاَ يَعْتَرْ فِيكْ». وَآخَرُ يَقُولُ: «هَذِهِ الْمِرْأَةْ قَدْرُهْ». وَآخَرُ يَقُولُ: «مِسْكِينْ، الرَّجُلْ مَعْذُورْ، هَذَا بْزَايِدْ». وَآخَرُ يَقُولُ: «ما لا تقيل وحشْ».

وَلاَ زَالُوا عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ، وَهْوَ وَاقِفٌ عَلَى شَطِّ البَحْرِ، إِلَى جَانِبِ الْمَرْكَبِ، وَفَمُهُ مَفْتُوحٌ، وَالذُّبَابُ[2] يَعُشُّ[3] عَلَيْهِ، وَهْوَ لاَ يَعْرِفُ إِيشِ النَّاسِ بْتِقُولْ، بَلِ إِنَّهُ أَقْبَلَ عَلَى النُّوتِيِّ، وَقَالَ: مَا تَكَلَّمْنِي، خَلِّينِي أَرُوحْ. إِيشْ أَقُولْ لْبِيتِي؟ هُوَ أَنَا أَمْ لاَ؟

فَقَالَتِ النَّاسُ كُلُّهُمْ لَهُ: الرَّجُلْ يَاهْ[4].

فَصَرَخَ النُّوتِيُّ فِيهِ، وَقَعَّدَ[5] مِزَاجَهُ بِوَاحِدَةٍ فِي الرَّقَبَةِ، تْجِي عَشْرَةِ أَرْطَالْ، وَقَالَ لَهُ: اِسْتَفِيقْ.

فَقَالَتِ النَّاسُ: أَحْسَنِتْ، زِيدَهْ أُخْرَى.

فَوَلَّى هَارِباً، وَالنَّاسُ تَصْرَخُ وَرَاءَهُ، فَأَتَى إِلَى زَوْجَتِهِ، وَقَالَ: دَا أَهُوَ أَنَا، وَانَا مَا أَعْرِفْ.

---

1) في تكملة المعاجم: 362/7 عيط: «عياط: صراخ، صياح، صخب، زعيق».

2) في الأصل: «الدباب».

3) كذا في الأصل.

4) لم نعثر لها على شرح.

5) في الأصل: «أقعد».

قَالَ الْمُؤَلِّفُ، عَفَا اللَّهُ عَنْهُ:

فَتَضَاحَكْنَا كُلُّنَا مِنْ هَذِهِ الْماجَرِيَّةِ، وَقُلْنَا: هَذَا يَجْرِي فِي التَّغَفُّلِ فِي دَارِ الدُّنْيَا، فَاللَّهُ تَعَالَى يَكْفِينَا شَرَّ ذَلِكَ.

فَقَالَ الشَّيْخُ، أَبُو الكَاتِبِ، وَاسْمُهُ السَّدِيدُ، وَكَانَ يَوْمَئِذٍ رَاهِباً[1]: أَنَا أَنْقُلُ لَكُمْ ماجَرِيَّةً جَرَتْ وَسَمِعْتُهَا، فِي التَّغَفُّلِ، نَظِيرَ هَذِهِ الْماجَرِيَّةِ الَّذِي حَكَاهَا[2] وَلَدِي.

قَالَ صَاحِبُ الْحَدِيثِ، عَفَا اللَّهُ عَنْهُ، فَقُلْنَا: هَاتِ أَسْمِعْنَا.

فَقَالَ: حُبّاً وَكَرَامَةً وَعَزَازَةً.

---

1) في الأصل: «راهب»، وبعده: «فقال».

2) في الأصل: «احكاها».



الْمَاجِرِيّةُ العِشْرُونَ

قَالَ الْمُؤَلِّفُ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ الشَّيْخُ السَّدِيدُ:

مِنْ أَعْجَبَ مَا سَمِعْتُهُ يَا جَمَاعَة مِنْ حَدِيثِ التَّغَفُّلِ، حَكَى لِي إِنْسَانٌ أَنَّهُ كَانَ بِدِمِشْقَ رَجُلٌ سَامِرِيٌّ[1]، وَلَهُ زَوْجَةٌ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِهِ، جَمِيلَةُ الصُّورَةِ. وَكَانَتْ قَدْ عَشِقَتْ جَاراً لَهَا جُنْدِيّاً[2]، وَكَانَ زَوْجُهَا قَصَّاراً[3]. وَكَانَ الْجُنْدِيُّ، إِذَا عَلِمَ بِأَنَّ القَصَّارَ مَضَى إِلَى شُغْلِهِ، أَقْبَلَ إِلَيْهَا، وَقَعَدَ عِنْدَهَا إِلَى مَجِيءِ زَوْجِهَا.

فَلَبِثَ عَلَى ذَلِكَ مُدَّةً مِنَ الزَّمَانِ. ثُمَّ إِنَّ العَشِيقَ قَالَ لِزَوْجَةِ القَصَّارِ يَوْماً: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَحْتَالَ عَلَى زَوْجِكِ، فَإِنْ تَمَّتِ الْحِيلَةُ عَلَيْهِ اسْتَرَحْنَا مِنْهُ، فَهَلْ عِنْدَكِ[4] مَا عِنْدِي؟

فَقَالَتْ: نَعَمْ.

فَقَالَ لَهَا: قَدْ عَوَّلْتُ عَلَى أَنْ أَحْفِرَ سِرْدَاباً مِنْ بَيْتِي إِلَى بَيْتِكُمْ، وَأَظْهِرِي أَنْتِ لِزَوْجِكِ[5] أَنَّنِي أَنَا زَوْجُ أُخْتِكِ[6]، وَقُولِي لَهُ: اِعْلَمْ أَنَّ

---

1) نسبة إلى الطّائفة السّامريّة، وهي مجموعة عرقيّة دينيّة تنتسب إلى بني إسرائيل، وتختلف عن اليهود إذ يتّبعون الدّيانة السّامريّة، المناقضة لليهوديّة، رغم اعتمادها على التّوراة. لكنّهم يعتبرون أنّ توراتهم هي الأصحّ، وغير محرّفة، وأنّ ديانتهم هي ديانة بني إسرائيل الحقيقيّة.

2) في الأصل: «جندي».

3) قصر الثّوب: دقّه وبيّضه.

4) في الأصل: «عندكي».

5) في الأصل: «أنتي لزوجكي».

6) في الأصل: «أختكي».

أُخْتِي كَانَتْ غَائِبَةً مَعَ زَوْجِهَا، وَهْوَ رَجُلٌ جُنْدِيٌّ، وَقَدْ وَصَلَ أَمْس، وَأَسْكَنَهَا فِي جِوَارِنَا حَتَّى نَبْقَى نَجْتَمِعُ بِهَا كُلَّ قَلِيلٍ، فَامْضِ إِلَى زَوْجِهَا، وَخُذْ خَبَرَهُ، وَاعْرِضْ عَلَيْهِ الْحَوَائِجَ، وَإِنَّكَ لَتَرَى أُخْتِي، وَهْيَ أَشْبَهُ الْخَلْقِ بِي حَتَّى إِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَهَا لَتَظُنُّ أَنَّهَا أَنَا، وَلاَ فَرْقَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا، وَلاَ شَكَّ فِي ذَلِكَ.

ثُمَّ إِنَّ العَشِيقَ بَعْدَ ذَلِكَ أَحْكَمَ السِّرْدَابَ، وَأَوْصَلَهُ إِلَى بَيْتِ القَصَّارِ. فَلَمَّا كَانَ ثَانِي يَوْمٍ، قَالَتْ لِزَوْجِهَا الْمُغَفَّلِ مَا أَوْصَاهَا بِهِ عَشِيقُهَا الْخَبِيث، فَرَاحَ القَصَّارُ إِلَى بَيْتِ الْجُنْدِيِّ جَارِهِمْ، وَقَدْ أَوْصَتْهُ، وَقَالَتْ لَهُ: سَلِّمْ عَلَى زَوْجِ أُخْتِي، وَأَبْصِرْهَا أَيْضاً.

فَمَضَى القَصَّارُ، وَلَمْ يَعْلَمْ مَا يُرِيدُ يَجْرِي عَلَيْهِ، وَسَبِقَتْهُ زَوْجَتُهُ، مِنَ البَابِ الَّذِي عَلَى السِّرْدَابِ، إِلَى عَشِيقِهَا. وَطَلَعَ الزَّوْجُ، وَقَدْ حَلَّتْ إِلَى جَانِبِهِ، وَدَخَلَ القَصَّارُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَنَظَرَ إِلَى امْرَأَتِهِ وَأَشَارَ إِلَيْهَا بِالسَّلاَمِ، وَقَدْ تَحَيَّرَ فِي اتِّفَاقِ الشَّبَهِ. ثُمَّ إِنَّهُ شَكَّ فِي نَفْسِهِ، فَعَادَ مُسْرِعاً، فَسَبِقَتْهُ زُوجَتُهُ مِنَ السِّرْدَابِ إِلَى بَيْتِهَا، وَلَبِسَتْ أَثْوَابَهَا، وَقَعَدَتْ تَغْزِلُ عَلَى عَادَتِهَا.

فَدَخَلَ عَلَيْهَا مَرْعُوباً[1]، فَقَامَتْ إِلَيْهِ، وَقَالَتْ لَهُ: أَلَمْ أُقُلْ لَكَ رُوحْ إِلَى أُخْتِي، وَهْيَ أَشْبَهُ الْخَلْقِ بِي؟

فَقَالَ لَهَا: وَاللَّهِ يَا مَرَه، مَا شَكَكْتُ إِلاَّ أَنَّهَا أَنْت[2]، وَمَا فَرْقٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَك[3] إِلاَّ الْمَلْبُوسَ.

---

1) في تكملة المعاجم: 66/3 فزع: «فزعان: خائف، مذعور، مرعوب»، وفي 158/5 رعب: «رعب وأرعب: خوّف، أذعر، أرهب».

2) في الأصل: «أنتي».

3) في الأصل: «بينكي».

فَقَالَتْ: إِرْجِعْ يَا مَخْبُول، وَاطْمَئِنَّ، وَلاَ تَجْهَلْ فَيَسْتَقِلَّ الرَّجُل عَقْلَكَ.

فَصَدَّقَهَا القَصَّارُ، وَعَادَ دَخَلَ عَلَى الْجُنْدِيِّ، فَسَبِقَتْهُ عَلَى عَادَتِهَا. فَلَمَّا دَخَلَ وَرَآهَا إِلَى جَانِبِ الْجُنْدِيِّ، جَعَلَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا، وَيَتَفَكَّرُ، وَيَتَعَجَّبُ، وَيَمْسَحُ عَيْنَيْهِ، ثُمَّ سَلَّمَ عَلَيْهَا فَرَدَّتْ عَلَيْهِ السَّلاَمَ. فَلَمَّا تَكَلَّمَتْ حَارَ القَصَّارُ فِي أَمْرِهِ، وَاخْتَبَلَ فِي عَقْلِهِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ، الْمَرْأَةُ امْرَاتِي، وَالكَلاَمُ كَلاَمُ زَوْجَتِي. فَعَادَ مُسْرِعاً إِلَى بَيْتِهِ، فَسَبِقَتْهُ وَقَعَدَتْ عَلَى حَالِهَا تَغْزِلُ.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ:

فَلَمَّا رَآهَا اسْتَحى مِنْهَا، ثُمَّ عَادَ إِلَى مَنْزِلِ الْجُنْدِيِّ فَأَكَلَ مَعَهُ، وَشَرِبَ، وَظَلَّ[1] يَوْمَهُ وَلَيْلَتَهُ غَيْر مُرْتَابٍ وَلاَ مُشِكٍّ[2]، وَسَكِرَ هُوَ وَالْجُنْدِي سُكْراً عَظِيماً حَتَّى صَارَ لاَ يفِيقُ، وَلاَ يَعْرِفُ كَيْفَ الطَّرِيق، وَنَامَ فِي مَوْضِعِهِ.

قَالَ:

فَعَمَدَ الْجُنْدِيُّ، وَهْوَ نَائِمٌ - وَكَانَ القَصَّارُ لَهُ شَعْرٌ وَافِرٌ -، فَحَلَقَ بَعْضَهُ عَلَى هَيْئَةِ الأَتْرَاكِ، وَظَفَرَ البَاقِي دَبُّوقَة[3] عَلَى عَادَةِ أَهْلِ ذَلِكَ

---

1) في الأصل: «ضلّ».

2) كذا في الأصل، ولعلّ الصّواب: «متشكّك».

3) في شفاء الغليل: 153: «بفتح الدّال وتشديد الباء: عامّيّة مولّدة: الذّؤابة. وهي معرّبة، وفارسيّتها دنبوقة، بضمّ الدّال، وباء عربيّة، وهي الذّؤابة الملفوفة خلف القفا، والشّملة والعمامة، كما في كتب اللّغة الفارسيّة المعتمد عليها». وجاء في حواشي التّحقيق: «في قاموس الفارسيّة: «دنباله»، تعني ذيل، مثل الذّيل، كلّ شيء يشبه الذّيل في خلق الإنسان، وتستعمل بمعنى خلف وإثر وتابع، يراجع: د. عبد النّعيم محمّد حسنين: قاموس الفارسيّة: ص 262».

الزَّمَانِ، ثُمَّ لَبَّسَهُ قَبَاء[1]، وَشَرْبُوش[2]، وَخُفّ، وَقَلَّدَهُ بِسَيْفٍ، وَمَنْطَقَهُ قَوْساً وَنُشَّاباً، وَتَرَكَ فِي عُبِّهِ[3] تَوْقِيعاً[4] دِيوَانِيّاً إِلَى عَامِلِ بَعْلَبَك بِأَنْ يُجْرِي عَلَى رُسْتم التُّرْكِي فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَمَانِينَ دِرْهَم، وَفِي كُلِّ يَوْمٍ خَمْسَة أَرْطَال خُبْزٍ، وَمِثْلَهَا لَحم، وَمِكْوَلَيْنِ[5] شَعِير، وَأَنْ يَجْعَلَهُ مِنْ جُمْلَةِ مَمَالِيكِهِ. وَتَرَكَ[6] فِي جَيْبِهِ كِيس فِيهِ دَرَاهِم، ثُمَّ حَمَلَهُ، وَهْوَ سَكْرَان، وَطَرَحَهُ فِي بَعْضِ الْمَسَاجِدِ.

قَالَ:

فَلَمَّا أَفَاقَ جَاءَ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ زَوْجَتُهُ صَاحَتْ فِيهِ: إِلَى أَيْنَ أَنْتَ هَاجِم[7] إِلَى دَارِ سَعِيد القَصَّار، وَهْوَ رَجُلٌ مِنَ الْمَسْتُورِينَ[8]؟ فَأَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ: تَذْهَبُ بِسَلاَمٍ، أَوْ أَصِيحُ فَيَجْتَمِعُون النَّاسُ، فَتَرُوحْ طَبَقْ عَجِين، مِنَ الدَّارْ إِلَى النَّارْ؟

---

1) في المعجم العربي لأسماء الملابس: 378: «القباء، بفتح القاف والباء:كلمة فارسيّة معرّبة، وأصلها في الفارسيّة قباى، وهي تعني في الفارسيّة ثوب مفتوح من الأمام. ويجمع على أقبية. والقباء في مصر يرادف القفطان، وهو ثوب للرّجال ذو لفقين، يلبس فوق الثّياب، ويتمنطق عليه بحزام، ثمّ تلبس فوقه الجبّة».

2) في المعجم العربي لأسماء الملابس: 261-262: «الشّربوش، بفتح فسكون فضمّ: كلمة فارسيّة معرّبة، وأصلها في الفارسيّة: سربوس، مركّبة من سر، ومعناه رأس، ومن بوش، ومعناه غطاء، والمعنى الكلّي غطاء الرّأس. والشُّربُوش في العربيّة: قلنسوة أعجميّة، وتلبس بدل العمامة، وكانت شارة للأمراء، فلا يلبسها رجال العلم كالقضاة والكتّاب وغيرهم»، وانظر: الألفاظ الفارسيّة المعرّبة: 99، وفي تكملة المعاجم: 284/6 شربش: «تشربش: لبس القلنسوة المسمّاة شربوش»

3) في تكملة المعاجم: 131/7 عب: «العبّ، بضمّ العين وكسرها: ما يلي الرّدن من الثّوب في استعمال العامّة».

4) في تكملة المعاجم: 93/11 وقع: «وقّع لفلان أو به: خصّص، عيّن».

5) كذا في الأصل، ونرجّح أنّها تحريف لفظة «مكيالين».

6) في الأصل: «تركه».

7) في تكملة المعاجم (نقلا عن معجم الطّرائف): 5/11 هجم: «هجم عليه بيته، واختصارا هجم بيته»، اقتحمها.

8) في تكملة المعاجم: 34/6 ستر: «مستور: من لا يملك فوق حاجته».

قَالَ الْمُؤَلِّفُ، عَفَا اللَّهُ عَنْهُ:

فَلَمَّا سَمِعَ الْقَصَّارُ مِنْ زَوْجَتِهِ هَذَا الكَلاَمَ، عَمِلَ مَعَهُ الْحَالُ، وَتَوَهَّمَ أَنَّهُ تُرْكِيٌّ. ثُمَّ إِنَّهُ انْصَرَفَ عَنْهَا، وَمَدَّ يَدَهُ إِلَى عُبِّهِ فَوَجَدَ فِيهِ تَوْقِيعاً[1]، فَدَفَعَهُ إِلَى مَنْ قَرَأَهُ، فَلَمَّا عَرَفَ مَا فِيهِ مِنَ الْجَامِكِيَّةِ[2]، وَاللَّحْمِ، وَالْمُشَاهَرَةِ[3]، وَالْجِرَايَةِ[4]، وأَنَّ اسْمَهُ رُسْتُم التُّرْكِي، قَوِيَتْ نَفْسُهُ عَلَى الطَّمَعِ، وَلَمْ يَشُكَّ أَنَّهُ رُسْتُم التُّرْكِي. ثُمَّ قَالَ فِي نَفْسِهِ: «رُبَّمَا كَانَتْ زَوْجَتِي تَضْحَكُ عَلَيَّ، وَلَكِنْ رُحْ إِلَى شُرَكَائِكَ الْقَصَّارِينَ، فَإِنْ لَمْ يَعْرِفُونِي، فَأَنَا رُسْتُم التُّرْكِي، وَإِنْ عَرَفُونِي فَأَنَا سَعِيد القَصَّار».

فَلَمَّا رَأَوْهُ مِنْ بَعِيدٍ، قَالُوا إِنَّهُ مِنَ الأَتْرَاكِ الَّذِينَ كَانُوا يُقَصِّرُونَ لَهُمْ ثِيَابَهُمْ، وَيَضْرِبُوهُمْ، وَلاَ يُعْطُوهُمْ شَيْئاً[5]، وَشَكَوْهُمْ إِلَى صاحب دمشق، فَنَهَاهُمْ أَنْ يَعْمَلُوا لَهُمْ شَيْئاً، وَنَهَى الأَتْرَاكَ أَيْضاً عَنْهُمْ، وَرَسَمَ لِلْقَصَّارِينَ إِنْ عَادَ أَحَدٌ[6] مِنْهُمْ إِلَيْهِمْ - يَعْنِي مِنَ الأَتْرَاكِ -، يَضْرِبُوهُمْ بِالْحِجَارَةِ وَالْخَشَبِ.

قَالَ:

---

1) في الأصل: «توقيع».

2) في تكملة المعاجم: 127/2: «جامكيّة: بالفارسيّة جامكي، من جامة: ثوب، لباس ومعناها الأصلي المال المخصّص للملابس، جمعها جوامك وجماكي: عطاء، راتب، أجرة، وظيفة، وجوامك المدارس، رواتب المدرّسين، ويقال بمعنى أجرى له راتبا أو وظيفة: أعطاه جامكيّة، وعمل له جامكيّة، وأطلق له جامكيّة، ووضع له جامكيّة، وقرّر جامكيّة، ووصل جامكيّة».

3) في تكملة المعاجم: 370/6 شهر: «مشاهرة: مرتّب، أو راتب، يدفع في كلّ شهر، شهرا بعد شهر، ومشاهرة: مرتّب سنة».

4) في تكملة المعاجم: 199/2 جرى: «أجرى عليه: وفّر له حاجاته، زوّده بما يحتاج إليه، وأجرى عليه: جعل له راتبا ؛ يقال مثلا: أجرى عليّ من بيت المال كفايتي وزيادة».

5) في الأصل: «شي»، وكذا في باقي الحكاية.

6) في الأصل: «أحدا».

فَلَمَّا رَأَوْهُ[1]، ظَنُّوا أَنَّهُ تُرْكِيٌّ، فَتَبَادَرُوا إِلَيْهِ بِالْحِجَارَةِ وَالْخَشَبِ، فَهَرِبَ عَنْهُمْ، ثُمَّ قَالَ فِي نَفْسِهِ: «وَلاَ[2] أَنَا تُرْكِي، وَأَنَا مَا عِنْدِي خَبَرْ»! فَعَمَدَ إِلَى الدَّرَاهِمِ، الَّتِي فِي الكِيسِ، فَاشْتَرَى لَهُ زَاداً[3]، وَأَكْرَى[4] لَهُ دَابَّةً، وَسَارَ إِلَى أَرْضِ بَعْلَبَك، وَخَلاَ الْجُنْدِيُّ بِزَوْجَةِ القَصَّارِ. وَمَضَى القَصَّارُ إِلَى حَيْثُ أَلْقَتْ أُمُّ قَشْعَمٍ[5] رِحَالَهَا.

وَهَذَا مَا سَمِعْتُهُ، وَقَدْ نَقَلْتُهُ لَكُمْ».

قَالَ الْمُؤَلِّفُ، عَفَا اللَّهُ عَنْهُ:

فَأَخَذْنَا لِدَهْرِنَا عَجَباً، وَمِلْنَا تِيهاً وَطَرَباً، وَاسْتَعَذْنَا بِاللَّهِ العَظِيمِ مِنْ هَذَا البَلاَءِ الْجَسِيمِ، ثُمَّ قَبَضْنَا مِنْهُ الدَّرَاهِمَ، وَأَوْصَلْنَاهَا إِلَى أَرْبَابِهَا، وَهَذَا مَا انْتَهَى إِلَيْنَا مِنْهُمْ، وَالسَّلاَمُ.

---

1) في الأصل: «رآه».

2) كذا في الأصل.

3) في الأصل: «زاد».

4) في تكملة المعاجم: 9/75 كرو: «أكرى: أجّر».

5) في موسوعة أمثال العرب: 6/ 521 : «أمّ قشعم: هي المنيّة، والدّاهية، والحرب، والنّسر، والعنكبوت، والضّبع، والدّنيا، واللّبوة»، انظر في ذلك: ثمار القلوب: 260، والدّرّة الفاخرة: 485، والمرصّع: 245، والمزهر: 1/517، والمخصّص: 13/187، واللّسان وتاج العروس (قشعم).

الْمَاجِرِيَّةُ الْحَادِيَةُ وَالعِشْرُونَ

قَالَ الْمُؤَلِّفُ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ:

سَافَرْتُ، سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلاَثِينَ وَسَبْعمائَة، صُحْبَةَ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّد بنِ قَلاَوُونَ[1]، رَحِمَهُ اللَّهُ، صَوْبَ صَعِيدِ مِصْرَ. وَكَانَتْ تِلْكَ السَّفْرَةُ آخِرَ سَفَرَاتِهِ. فَحَلَّ رِكَابُهُ الشَّرِيفُ عَلَى سَاحِلِ البَحْرِ بِالْجُنْدِيَّةِ، وَهِيَ البَهْنَسَا[2]. فَطَلَعْتُ النَّهَارَ، وَطُفْتُ سُوقَهَا وَحَارَاتِهَا، فَرَأَيْتُ جُنْدِي شَيْخ وَاقِفْ يَشْتَرِي فَاكِهَةً. وَكَانَ مِنْ مَمَالِيكِ الأَمِيرِ عَلَمِ الدِّينِ سَنْجَر الحَمِقْدَارِ[3]، وَمتَعَاتِهِ[4]، وَكُنْتُ أَعْرِفُهُ، وَبَيْنِي وَبَيْنَهُ صُحْبَةٌ، وَعِشْرَةٌ قَدِيمَةٌ، وَصَدَاقَةٌ، وَخَلْطَةٌ، وَعِشْرَةٌ. وَكَانَ يَخْدِمُ يَوْمَئِذٍ مُتَوَلِّي الْبَهْنَسَا، الأَمِيرَ بَهَاءَ الدِّينِ قَرَاقُوشَ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَتَوَلَّى القَاهِرَةَ الْمَحْرُوسَةَ.

قَالَ:

فَلَمَّا رَأَيْتُهُ وَرَآنِي، سَلَّمَ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ، ثُمَّ عَزَمَ عَلَيَّ، وَحَلَفَ بِالطَّلاَقِ وَالعِتَاقِ لاَ يَرْجِعُ إِلَى مَنْزِلِهِ إِلاَّ وَأَنَا مَعَهُ، وَلاَ

---

1) في الأصل: «يزل».

2) في الأصل: «البهنسة»، سيرد شرحها في الماجرية التّالية.

3) الحمقدار: حامل الدّبّوس.

4) في تكملة المعاجم: 15/10 متع: من استعمالات متاع منسوبا إلى الضّمائر للدّلالة على الملكيّة: «متاعي، متاعك، متاعنا، متاعهم ومتاعئيهم، أي: أي: ملكي... ملكهم، ملكنا، ملكهم، أملاكهم».

يَتَكَلَّفُ، وَأَنَّ عِنْدَهُ شَيْخَيْنِ آخَرَيْنِ فِي عَزِيمَةٍ[1]، وَأَكُونُ أَنَا ثَالِثُ الْقَوْمِ. فَرُحْتُ مَعَهُ، وَدَخَلْتُ مَنْزِلَهُ، فَوَجَدْتُ الشَّيْخَيْنِ، الوَاحِدُ مِنْهُمْ مُقَدِّمُ السُّعَاةِ[2] الَّذِي لِمُتَوَلِّي البَهْنَسَا، وَالشَّيْخُ الآخَرُ مُتَعَمِّمٌ فَقِيهٌ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِمَا فَرَدُّوا عَلَيَّ السَّلاَمَ، فَجَلَسْتُ إِلَى جَانِبِهِمْ. فَقَدَّمَ الرَّجُلُ الطَّعَامَ فَأَكَلْنَا، وَانْتَقَلْنَا إِلَى مَجْلِسِ الشَّرَابِ فَتَنَادَمْنَا، وَطَابَ مَقَامُنَا.

قَالَ:

يَا سَادَة، هَذَا وَنُدَمَائِي ثَلاَث شُيُوخٍ: الْجُنْدِي صَاحِبُ الدَّعْوَةِ، وَالْمُقَدَّمُ[3]، وَالفَقِيهُ. فَشَرِبْنَا، وَتَنَادَمْنَا، ثُمَّ خُضْنَا فِي الكَلاَمِ، وَشَرَعْنَا نَدْخُلُ مِنْ حَدِيثٍ فِي حَدِيثٍ. فَدَخَلْنَا فِي حِيلَ النِّسَاءِ، وَمَا فِيهِمْ مِنَ الإِحْسَانِ وَالإِسَاءَةِ، وَمَكْرِهِنَّ، وَسُرْعَةِ اسْتِحْضَارِهِنَّ الْحِيلَةَ وَالْمَكِيدَةَ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّفٍ. فَشَرَعْتُ أُحَدِّثُهُمْ عَنْهُمْ بِبَعْضِ مَا عَايَنْتُهُ، وَبَعْضِ مَا سَمِعْتُهُ، فَحَرَّكَ الشَّيْخُ الْمَقَدَّمُ رَأْسَهُ، وَمَسَكَ لِحْيَتَهُ وَهَزَّهَا، وَعَضَّ طَرَفَهَا وَتَنَهَّدَ، فَسَأَلْنَاهُ عَنِ السَّبَبِ، فَقَالَ: مَا هَذَا وَقْتُهُ.

فَقَالَ الشَّيْخُ الْجُنْدِيُّ، صَاحِبُ الدَّعْوَةِ: يَا جَمَاعَة دَعُوهُ، فَأَنَا أَحْكِي لَكُمْ مَاجْرِيَّةً فِي حِيلِ النِّسَاءِ، جَرَتْ بِحُضُورِي لأُسْتَاذِي، وَهِيَ مَاجْرِيَّةٌ شَاهَدْتُهَا، وَأَنْقُلُهَا لَكُمْ بِصِحَّتِهَا كَمَا عَايَنْتُهَا.

---

1) في تكملة المعاجم: 208/7 عزم: «عزُومة وعزيمة: مأدبة، وليمو، دعوة إلى الطّعام أو إلى فرح».
2) كذا في الأصل بدون تنقيط ولا ضبط، فلم نوفّق في قراءتها، لعلّ صوابها مع أثبتنا ترجيحا.
3) في تكملة لمعاجم: 202/8 قدم: «مقدّم: كبير الخدم عند العظماء، قهرمان ، استادار».

فَقُلْنَا: هَاتِ، أَسْمِعْنَا.

فَقَالَ الشَّيْخُ صَاحِبُ الدَّعْوَةِ:

«يَا جَمَاعَة، مِنْ غَرِيبِ مَا جَرَى لأُسْتَاذِي، الأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ قَدِيدَارْ[1]، مُتَوَلِّي القَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ، فِي الدَّوْلَةِ النَّاصِرِيَّةِ، وَكَانَ كَثِيرَ الاصْطِنَاعِ فِي الْحُكْمِ، وَلَهُ حِكَايَاتٌ مَشْهُورَةٌ، وَحُكُومَاتٌ مَذْكُورَةٌ. وَكُنْتُ أَنَا أَخْدِمُ عِنْدَهُ. فَمِنْ جُمْلَةِ حِكَايَاتِهِ أَنَّهُ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَعِشْرِينَ وَسَبْعمائَةٍ سَمِعَ بِامْرَأَةٍ جَمِيلَةٍ، بِنْتِ أَمِيرٍ كَبِيرٍ، وَكَانَ لَهَا اسْمٌ وَسُمْعَةٌ فِي الْجَمَالِ وَالبَهَاءِ وَالكَمَالِ، وَقَدْ مَاتَ زَوْجُهَا، وَسَكَنْتْ بِدَارٍ فِي البَاطِلِيَّةِ[2]، بِالقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ، وَطَلَبَهَا الأَمِيرُ قَدِيدَار لِنَفْسِهِ - وَكَانَ سَمِعَ عَنْهَا شَيْئاً -، فَامْتَنَعَتْ. فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا، فَرَدَّتْ رَسُولَهُ بِأَقْبَحِ رَدٍّ.

فَبَقِيَ فِي خَاطِرِهِ مِنْهَا، وَوَصَّى عَلَيْهَا عُيُوناً[3]، عَسَى تَقَعُ بِزَلَّةٍ فَيَأْخُذُهَا بِهَا. وَبَعْدَ قَلِيلٍ جَاءَهُ بَعْضُ أَهْلِ الْحَارَةِ، الَّتِي هِيَ سَاكِنَةٌ فِيهَا، وَأَخْبَرَهُ أَنَّ شَابّاً نَصْرَانِيّاً[4]، ابْن كَاتِبِ الفَاخُوزِي، وَأَنَّهُ يَدْخُلُ إِلَيْهَا فِي بَعْضِ اللَّيَالِي، وَيَبَاتُ عِنْدَهَا إِلَى الصَّبَاحِ.

1) انظر: البداية والنّهاية، والنّجوم الزّاهرة: «يزل».

2) جاء بخصوص هذه المحلّة في الرّوضة البهيّة الزّاهرة في خطط المعزّيّة القاهرة: 42: «كان المعزّ، لمّا قسّم العطاء في النّاس، جاءت طائفة فسألت عطاء، قيل لها فرغ ما كان حاضرا، ولم يبق شيء. فقالوا: رحنا نحن في الباطل. فسمّوا «الباطليّة»، وعرفت الحارة بهم، واستمرّ عليهم هذا الاسم»، وجاء في حواشي التّحقيق: «ويدلّ على موضع هذه الحارة اليوم شارع الباطنيّة، وحارة الباطنيّة، شرقي الجامع الأزهر».

3) في الأصل: «عيون».

4) في الأصل: «شاب نصراني».

قَالَ:

قَلَمَّا سَمِعَ الأَمِيرُ قَدِيدَارُ ذَلِكَ، أَرْسَلَ أَحْضَرَ حَارِسَ الْحَارَةِ، الَّذِي هُوَ خَفِيرُ الْمَكَانِ، وَأَخْبَرَهُ بِمَا سَمِعَ، فَقَالَ لَهُ الْحَارِسُ: يَا خُونْدْ، أَمَّا النَّصْرَانِي، فَإِنَّهُ صَحِيحٌ يَدْخُلُ فِي بَعْضِ الأَوْقَاتِ إِلَى الدَّرْبِ، لَكِنْ مَا أَعْرِفُ أَيَّ بَيْتٍ يَدْخُلُ.

فَقَالَ لَهُ الأَمِيرُ: اِجْعَلْ مَا لَكَ عَلَيْهِ، وَإِذَا رَأَيْتَهُ قَدْ دَخَلَ إِلَى مَكَانٍ، أَسْرِعْ إِلَيَّ، وَعَرِّفْنِي بِذَلِكَ».

قَالَ الْمُؤَلِّفُ:

فَاعْتَمَدَ الْخَفِيرُ عَلَى ذَلِكَ، وَمَا كَانَ بِأَسْرَعِ مِنْ أَيَّامٍ قَلَائِل حَتَّى جَاءَهُ الْحَارِسُ بِاللَّيْلِ، وَقَالَ لَهُ: يَا خُونْدْ، قَدْ حَضَرَ النَّصْرَانِيُّ اللَّيْلَة، وَدَخَلَ القَاعَةَ الفُلَانِيَّةَ، وَهْيَ قَاعَةُ[1] بِنْتِ الأَمِيرِ الفُلَانِي.

قَالَ:

فَلَمَّا سَمِعَ الأَمِيرُ قَدِيدَارُ ذَلِكَ فَرِحَ فَرَحاً شَدِيداً، وَعَرفَ أَنَّهَا هِي الْمَطْلُوبَة، فَقَامَ مِنْ وَقْتِهِ، وَأَسْرَجَ، وَلَمْ يَأْخُذْ مَعَهُ غَيْرِي، وَخَرَجْنَا مُتَنَكِّرَيْنِ. فَأَتَيْنَا إِلَى أَنْ صِرْنَا عِنْدَ البَابِ، فَوَقَفْنَا حَتَّى خَرَجَتْ جَارِيَةٌ تَقْضِي حَاجَةً، وَمَعَهَا خَادِمٌ صَغِيرٌ، وَقَدِ انْفَتَحَ البَابُ، فَهَجَمْنَا وَتَسَوَّرْنَا[2] دَاخِلَ الدَّارِ، فَوَجَدْنَا دَارْ - وَأَيَّ دَارْ حِشْمَه! -، إِيوَان مُقَابِلَ إِيوَان، وَفَسْقِيَّة، وَشَادَرْوَان[3]، وَرُخَام قَائِم وَنَائِم، وفُرُش، وَطُرُح، وَمَسَانِد،

1) في تكملة المعاجم: 411/8 قوع: «قاعة: ديماس، سرداب».

2) في الأصل: «تصور»، وفي تكملة المعاجم: «تسوّر بيتا: تسلّق سوره».

3) في تكملة المعاجم: 222/6 شادروان: «شادروان: بفتح الدّال وكسرها ويقال شاذروان بالذّال المعجمة، وتجمع على شاذروانات: فسقيّة، ينبوع ماء مع حوض ونافورة ماء، وخزّان ماء صغير

وَطُيُور تَتَنَاغَى بِغَرِيبِ الأَلْحَانِ، وَمَاء الفَسْقِيَّةِ[1] يقلِبُ، وَنَجِدُ[2] شَمْعَةً تَقِدُ، وَالنَّصْرَانِيُّ وَالصَّبِيَّةُ فِي صَدْرِ القَاعَةِ، عَلَى سَرِيرٍ، وَبَيْنَهُمْ الكَاسُ وَالطَّاسُ يَدُورُ.

يَا جَمَاعَة، فَحِينَ وَقَعَتْ عَيْنُ الصَّبِيَّةِ عَلَى الأَمِيرِ، نَهَضَتْ لَهُ وَعَرَفَتْهُ وَكَأَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ صُحْبَةٌ مِنْ أَلْفِ سَنَةٍ، ثُمَّ سَعَتْ إِلَيْهِ إِلَى أَنْ صَارَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَقَبَّلَتِ الأَرْضَ وَقَالَتْ: أَهْلاً وَسَهْلاً، وأَلْف مَرْحبا بِسَيِّدِ السَّادَاتِ، وَسَاتِرِ الْخَطِيَّاتِ. وَاللَّهِ، وَاللَّهِ لَقَدْ تَصَدَّقَ الرَّبُّ تَعَالَى عَلَيَّ بِصَدَقَةٍ، لَمْ أَقْدِرْ أَقُومُ بِشُكْرِهَا، بِحُضُورِ مِثْلِكَ عِنْدِي.

ثُمَّ إِنَّهَا أَطْلَعَتْهُ، وَأَجْلَسَتْهُ، وَأَوْقَفَتِ النَّصْرَانِيَّ فِي خِدْمَتِهِ. ثُمَّ إِنَّهَا تَقَدَّمَتْ، وَقَبَّلَتِ الأَرْضَ ثَانِي مَرَّةٍ، ثُمَّ إِنَّهَا أَشَادَتْ بِمَدْحِهِ بِهَذِهِ الأَبْيَاتِ، تَقُولُ:

[من البسيط]

لَقَدْ حَوَيْـــتَ مِنَ الْخِصَـــالِ أَرْبَعَةً[3]:
عِلْمٌ، وَعَقْـــلٌ، وَتَهْذِيـــبُ، وَآدَابُ

للتّوزيع، وآلة من الحديد الأبيض ذات عدة نافورات صغيرة تدير قطعاً من الزّجاج فيكون لها صلصلة ورنين، أو هي فسقيّة أو نافورة مـاء ذات قطـع من الزّجـاج، أو أجراس زجاج، الّتي إذا حرّكها الماء صدر عنها صليل ورنين. وتستعمل أيضاً للدّلالة على فسقيّة ذات تماثيل للحيوانات مثل الأسود والزّرافات والطّيور الّتي ينبثق الماء من أفواهها. في ألف ليلة: شاذروان وفسقيّة، عليها أربع سباع من الذّهب الأحمر تلقي الماء من أفواهها. وفيه أيضا تذكر كلمة شاذروان مصحوبة بكلمية فسقية في أغلب الأحيان».

1) في تكملة المعاجم: 71/8 فسق: «فِسقيّة، وهو في مصر اليوم فَسقِيّة: حوض مع نافورة ماء، شذروان، حوض ماء صغير للتّوزيع».

2) كذا في الأصل، صوابه: «ووجدنا».

3) في الأصل: «خصاى من أربعة».

وَقَدْ نَفَـــا عَنْكَ رَبُّ العَــرْشِ أَرْبَعَةً:
كِذْبٌ، وَبُخْـــلٌ، وَتَقْطِيبٌ، وإِعْجَابُ
فَابْشِـــرْ بِمَا نِلْتَـــهُ، وُقِيـــتَ أَرْبَعَةً:
فَقْرٌ، وَضُـــرٌّ، وَتَشْـــتِيتٌ، وَأَوْصَابُ
فَالدَّهْرُ فِيـــهِ خِصَالٌ، هُـــنَّ أَرْبَعَةٌ:
قَبْضٌ، وَبَسْـــطٌ، وَإِجْدَابٌ، وَإِخْصَابُ
مَـــا زِلْتَ فِي نِعْمَـــةٍ مَـــا دَامَ أَرْبَعَةٌ:
لَيْلٌ، وَصُبْـــحٌ، وَأَعْـــدَاءٌ، وَأَحْبَابُ

قَالَ [الْمُؤَلِّفُ][1] لِهَذَا الْحَدِيثِ العَجِيبِ: ثُمَّ قَالَ لَنَا الشَّيْخُ الْجُنْدِيُّ:

«يَا جَمَاعَة، ثُمَّ إِنَّ الصَّبِيَّةَ قَدَّمَتْ لِلأَمِيرِ أَطْعِمَةً، مَا أَعْرِفُ اسْمَهَا، فَأَكَلَ أَكْلاً يَسِيراً[2]. ثُمَّ إِنَّ الصَّبِيَّةَ نَهضَتْ، وَقَلَعَتْ كُلَّ مَا كَانَ عَلَيْهَا مِنْ حُلِيٍّ وَحُلَلٍ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، ثُمَّ أَخْرَجَتْ ثَلاَثَةَ أَكْيَاسٍ، فِيهِمْ ثَلاَثَةَ آلاَفِ دِرْهَمٍ، وَعَمِلَتِ الْجَمِيعَ فِي فُوطَةِ حَرِيرٍ مُعَنْبَرٍ، وَتَقَدَّمَتْ بَاسَتْ يَدَ الأَمِيرِ قَدِيدَارْ، وَقَالَتْ: يَا سَيِّدِي، هَذَا نَصِيبُ الأَمِيرِ مِنِّي.

ثُمَّ إِنَّهَا الْتَفَتَتْ إِلَى النَّصْرَانِيِّ، وَقَالَتْ لَهُ: قُمْ أَنْتَ الآخَرُ، وأَحْضِرْ مِثْلَ هَذَا، فَهَذَا نَصِيبِي أَنَا، وَأْتِ[3] أَنْتَ الآخَرُ بِنَصِيبِكَ.

1) ساقط في الأصل.
2) في الأصل: «أكل يسير».
3) في الأصل: «أتي».

قَالَ الْمُؤَلِّفُ:

فَقَامَ النَّصْرَانِيُّ مُسْرِعاً، كَأَنَّهُ يُرِيدُ امْتِثَالَ أَمْرِهَا، وَخَرَجَ لِيُحْضِرَ الدَّرَاهِمَ. وَفَرِحَ الأَمِيرُ قَدِيدَارُ بِذَلِكَ لَكَوْنِهِ يَأْخُذُ مِنْهَا مَصَاغ يَسْوَى خَمْسَةَ آلاَفِ دِرْهَم، وأَيْضاً ثَلاَثَةَ آلاَفِ دِرْهَمٍ، وَظَنَّ أَنَّ النَّصْرَانِيَّ يُحْضِرُ مِثْلَ[1] ذَلِكَ. فَمَا صَحَّ لَهُ لاَ هَذَا وَلاَ هَذَا، وَكَانَ مَثَلُهُ مَنْ طَلَبَ الزِّيَادَةَ وَقَعَ فِي كَفِّهِ النُّقْصَانُ.

وَذَلِكَ أَنَّ الصَّبِيَّةَ لَمَّا تَحقَّقَتْ أَنَّ النَّصْرَانِيَّ خَرَجَ مِنَ الدَّرْبِ، وَنَجا بِنَفْسِهِ، وَمَضَى لِحَالِ سَبِيلِهِ، مَدَّتْ[2] يَدَهَا إِلَى قُمَاشِهَا وَدَرَاهِمِهَا فَأَخَذَتْهُمْ وَتَسَلَّمَتْهُمْ[3]، ثُمَّ صَرَخَتْ فِي الْجَوَارِي فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهَا، ثُمَّ الْتَفَتَتْ إِلَى الأَمِيرِ قَدِيدَار، وَقَالَتْ لَهُ: يَا أَمِير، مَا جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ، أَنْتَ يَا أَمِير تَصَدَّقْتَ، وَتَجَمَّلْتَ، وَسَتَرْتَ، وَلَمْ تَدْخُلْ إِلَيْنَا فِي صُورَةِ مَنْ يُرِيدُ بِنَا سُوءاً، فَانْصَرِفْ مِنْ عِنْدَنَا بِغَيْرِ سُوءٍ، وَإِلاَّ وَاللَّهِ أَصْرَخُ صَرْخَةً، وَكَذَلِكَ جَوَارِيَّ، فَيَجْتَمِعُ كُلُّ مَنْ عِنْدَنَا في الدَّرْبِ، مِنَ الأَوَّلِ إِلَى الآخِرِ، وَأَقُولُ إِنَّكَ هَجَمْتَ عَلَيَّ تُرِيدُ مِنِّي القَبِيحَ، وَتُصْبِحُ تَنْهَتِكُ عِنْدَ الأُمَرَاءِ وَالْحُجَّابِ، وَيُصَدِّقُوا قَوْلِي فَإِنَّهُمْ يَلْتَقُوكَ عِنْدِي.

قَالَ، فَقَالَ الْجُنْدِيُّ:

فَلَمْ يَقْدِر الأَمِيرُ يَقْعُدُ بَعْدَهَا، وَعَلِمَ أَنَّهَا تَقُولُ وَتَفْعَلُ، فَقَامَ وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا، وَأَنَا مَعَهُ، وَلَمْ يَحْصُلْ لَنَا دِرْهَمٌ. وَخَلُصَ الكَاتِبُ

1) في الأصل: «يحضر بمثل».
2) في الأصل: «فمدّت».
3) في الأصل: «سألتهم».

النَّصْرَانِيُّ بِتَلَطُّفِ حِيلَتِهَا[1]. وَهَذِهِ الْمَاجْرِيَّةُ جَرَتْ بِحُضُورِي، وَشَاهَدْتُهَا بِعَيْنِي.

قَالَ:

فَتَعَجَّبْنَا غَايَةَ العَجَبِ، وَمِلْنَا مِنَ الطَّرَبِ، مِنْ حُسْنِ هَذِهِ الْحِيلَةِ. ثُمَّ إِنَّا تَلَطَّفْنَا بِالشَّيْخِ الْمُقَدَّمِ، وَسَأَلْنَاهُ مَا سَبَبُ هَزِّ رَأْسِهِ، وَمَسْكِ لِحْيَتِهِ، وَتَنَهُّدِهِ، فَقَالَ: يَا جَمَاعَة، الَّذِي جَرَى لِي أَنَا أَغْرَبُ وَأَعْجَبُ مِمَّا جَرَى لِلأَمِيرِ قَدِيدَارْ، وأَكْثَر مَكْراً وَدَهَاءً. وَمَا أَظُنُّ أَنَّهَا جَرَتْ لأَحَدٍ قَبْلِي[2]. وَلَوْ كُتِبَتْ بِالإِبَرِ عَلَى آمَاقِ[3] البَصَرِ، لَكَانَتْ عِبْرَةً لِمَنْ يَعْتَبِر، مَعَ أَنِّي مِنْ أَرْبَابِ الْحِيَلِ.

فَقُلْنَا لَهُ: بِاللَّهِ أَتْحِفْنَا بِهَا، فَإِنَّ هَذَا مَوْضع سُرُورٍ وَاجْتِمَاعٍ.

فَقَالَ: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِلَّهِ وَلَكُمْ.

1) في الأصل: «بتلطّف وحيلتها»، والأصح أن يقال: «بلطيف حيلتها».

2) في الأصل: «قبل».

3) كذا في الأصل، وهي تحريف «مآقي»، وهذه الجملة تتكرّر بكثرة في حكايات ألف ليلة وليلة.

الْمَاجِرِيّةُ الثّانِيَة وَالعِشْرُونَ

قَالَ الْمُؤَلِّفُ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ:

حَدَّثَنَا الشَّيْخُ، الْمُقَدَّمُ ذِكْرُهُ، مُتَوَلِّي البَهْنَسَا[1]، جَمَاعَةٌ دَخَلَتْ إِلَى القَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ، فِي بَعْضِ السِّنِينِ الْمُتَقَدِّمَةِ، فِي وَلاَيَةِ الأَمِيرِ عَلَمِ الدِّينِ الْخَازِنِ، مَحَمَّدٍ آلِ الْمَحْذُومِ[2]، وَمَعِي شُحْنَتَيْ عِطَارَةٍ[3]، أَنْشُدُهَا[4] مِنْ مِصْرَ. فَلَمَّا وَصَلْتُ بِالْحِمْلِ إِلَى الأَمِيرِ، وَأَخَذْتُ رَجْعَتَهُ[5]، فَقُمْتُ لَبِسْتُ أَثْوَابِي وَشَاشِي وَخَرَجْتُ[6].

وَكَانَ مَعِي رِفْقَةٌ، فَلَبِسُوا أَيْضاً ثِيَابَهُمْ، وَخَرَجْنَا كُلُّنَا نَتَمَشَّى[7] فِي أَسْوَاقِ القَاهِرَةِ. ثُمَّ إِنَّا دَخَلْنَا إِلَى بَعْضِ القَيَاصِرِ[8]، وَمَا زِلْنَا إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ. وَإِذَا نَحْنُ بِسِرْبَةِ[9] نِسَاءٍ، وَبَيْنَهُنَّ[10] وَاحِدَةٌ كَأَنَّهَا فَلْقَةُ

---

1) في الأصل: «بهلسايا»، وفي معجم البلدان: 516/1: «بالفتح ثمّ السّكون، وسين مهملة مقصورة: مدينة بمصر، من الصّعيد الأدنى، غربي، النّيل، وتضاف إليها كورة كبيرة، وليست على ضفّة النّيل، وهي عامرة كبيرة كثيرة الدّخل، وبظاهرها مشهد يزار، يزعمون أنّ المسيح وأمّه أقاما به سبع سنين».

2) لم نعثر له على ترجمة.

3) في تكملة المعاجم: 231/7 عطر: «عطر: عطارة، عطور».

4) في الأصل: «أسندها».

5) في تكملة المعاجم: 98/5 رجع: «رَجْعة، وتجمع على رُجع: وصل، سند المقبوض، وصول، إيصال».

6) في الأصل: «تعرجت».

7) في تكملة المعاجم: 72/10: «تمشّى: ذهب في نزهة، تنزّه».

8) كذا في الأصل، ولم نعثر لها على شرح.

9) في تكملة المعاجم: 55/6 سرب: «سربة، تصحيف سُرْبة: كتيبة، جماعة».

10) في الأصل: «بينهما».

قَمَرٍ، بِإِيزَارٍ، وَعُصْبَةٍ، وَقُوجْ، وَرُتْبَةٍ. فَرَأَيْتُهَا بَيْنَهُمْ، وَهِيَ أَطْوَلُهُنَّ قَامَةً، وَأَعْظَمُهُنَّ هَامَةً، وَلَهَا عُيُونٌ تَأْكُلُ النَّاسَ أَكْلاً[1]. فَلَمَّا نَظَرْتُهَا تِلْكَ النَّظْرَةِ، أَعْقَبَتْنِي حَسْرَةً، فَوَقَفْتُ، وَانْقَطَعْتُ عَنْ أَصْحَابِي. فَلَمَّا رَأَتْنِي، وَقَفَتِ الأُخْرَى عَنْ أَصْحَابِهَا، وَانْقَطَعَتْ عَنْهُمْ حَتَّى تَقَدَّمُوهَا، وَانْتَظَرَتْنِي حَتَّى وَصَلْتُ إِلَيْهَا، وَكَلَّمَتْنِي، وَنَاغَشَتْنِي[2]، فَقَالَتْ لِي بِكَلَامٍ حُلْوٍ وَطَعْمِيَّةٍ[3]: يَا سُوِيدِي وَحَبِيبَ قَلْبِي، قَدْ رَأَيْتُكَ أَطَلْتَ نَظَرَكَ إِلَيَّ، فَتَوَهَّمْتُ أَنَا أَنَّكَ عَرَفْتَنِي، فَإِنْ كَانَ صَحِيحْ، فَزِيدْنِي بِكَ مَعْرِفَةً[4].

فَقُلْتُ لَهَا: يَا سِتّ الْمِلَاحِ، مَا عَرَفْتُكِ، وَلَكِنْ أَلْقَى اللَّهُ مَحَبَّتَكِ[5] فِي قَلْبِي، وَقَدْ أَعْجَبَنِي[6] حُسْنُ شَمَائِلِكِ[7]، وَمَا قَدْ وَهَبَكِ[8] اللَّهُ مِنَ الْعُيُونِ الَّتِي تَرْمِي بِسِهَامِ الْمَنُونِ.

قَالَ:

فَلَمَّا سَمِعَتْ كَلَامِي تَبَسَّمَتْ، وَتَمَايَلَتْ، وَقَالَتْ: وَاللَّهِ وَجَدْتُ، أَنَا كَذَلِكَ، كَمَا وَجَدْتَ أَنْتَ وَزِيَادَةً، كَأَنَّنِي رَأَيْتُكَ مِنْ حِينِ الوِلَادَةِ.

فَقُلْتُ: مَا يُمْكِنُ الإِنْسَانُ أَنْ يَسْتَوْعِبَ كُلَّ مَا فِي قَلْبِهِ فِي الأَسْوَاقِ، وَلَوْ بِقَدْرِ نِصْفِ لَوَاعِجِ الأَشْوَاقِ.

---

1) في الأصل: «أكل».

2) في تكملة المعاجم: 258/10 نغش: «نغش: فجر، وناغش: حادث، وهذا من كلام العامّة، والمناغشة: الدّلال، التّيه، الغنج، الإثارة بالحركات وبالحديث مع الغواني وذوات الظّرف والجمال».

3) في تكملة المعاجم: 54/7 طعم: «طعميّة: المذاق».

4) في الأصل: «معرفتي».

5) في الأصل: «محبتكي».

6) في الأصل: «أعجبتيني».

7) في الأصل: «شمائلكي».

8) في الأصل: «وهبكي».

فَقَالَتْ: هَلْ عِنْدَكَ مَوْضِعٌ؟

فَقُلْتُ لَهَا: لاَ وَاللَّهِ، وَلاَ هَذِهِ البَلْدَةَ مَسْكَنِي.

فَضَحِكَتْ، وَقَالَتْ لِي: لِي مَكَانٌ، وَلَكِنْ أَنَا أُدَبِّرُكَ لأَجْلِ أَنَّ غَرضِي[1] مَعَكَ.

ثُمَّ تَقَدَّمَتْ، وَتَبِعْتُهَا وَقَدْ تَعَلَّقَ قَلْبِي بِهَا إِلَى غَايَة. فَجَاءَتْ إِلَى رَبْعٍ[2] مِنَ الأَرْبَاعِ، وَقَالَتْ لِلرَّبْعِيَّةِ: يَا خَالَتِي، هَلْ عِنْدَكِ بَيْتٌ خَالِي لأَجْلِ الْمُتَزَوِّجِ؟

قَالَتْ: نَعَمْ.

فَقَالَتْ لَهَا: هَاتِي الْمِفْتَاحَ.

فَأَخَذْنَاهُ، وَطَلَعْنَا نُبْصِرُ البَيْتَ، وَأَنَا مِنَ الفَرَحِ مَا تَسَعُنِي الدُّنْيَا، وَدَخَلْنَا إِلَى دَاخِلِ البَيْتِ. ثُمَّ إِنَّهَا خَرَجَتْ إِلَى الرَّبْعِيَّةِ، وَأَعْطَتْهَا دِرْهَمَيْنِ، وَقَالَتْ: هَذَا دِرْهَمٌ رَسْمُ الْمِفْتَاحِ، وَدِرْهَمٌ حَقُّ تَعَبِكِ[3] مَعَنَا. وَقَدْ أَعْجَبَ زَوْجِي البَيْتَ، فَسَيِّرِي لَنَا كُوزَ مَاءٍ حَتَّى نَسْتَرِيحَ سَاعَةً، وَيَنْكَسِرَ الْحَرُّ، وَتَذْهَبَ القَيَّالَةُ[4]، وَيَرُوحُ زَوْجِي يَنْقُلُ الْحَوَائِجَ وَالقُمَاشَ.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ:

---

1) في الأصل: «عرضي».

2) في تكملة المعاجم: 73/5 ربع: «حيّ في المدينة، حارة».

3) في الأصل: «تعبكي».

4) كذا في الأصل، وفي تكملة المعاجم: 438/8 قيل: «قيلة، والجمع قوائل: قائلة، قيلولة. وقيّل: توقّف عن السّير في وقت الظّهيرة».

فَفَرِحَت الرَّبْعِيَّةُ بِذَلِكَ، وَنَقَلَتْ إِلَيْنَا حَصِيرَةً، وَنَطْعاً[1]، وَمِرْوَحَةً[2]، وَكُوزَ مَاءٍ بَارِدٍ، وَجَرَّةً مَلآنَةً مَاءً. فَفَرَشْنَا الْحَصِيرَ وَمَدَدْنَاهَا، وَفَرَشْنَا النَّطْعَ. وَقَامَتْ تَغَسَّلَتْ، وَأَصْلَحَتْ أَمْرَهَا، وَخَفَّفَتْ مِنْ لِبَاسِهَا، ثُمَّ سَلَّتْ سَرَاوِيلَهَا، وَبَقَتْ فِي قَمِيصٍ مُشَمَّعٍ رَفِيعٍ، وَكُوفِيَّةٍ فَرْقٍ وَدَائِرٍ[3]، وَزَوْجَيْ حلَق، وَقِلاَدَة. وَكَانَتْ، يَا جَمَاعَة، مُغْرَمَةً بِالنِّكَاحِ، وَأَنَا كَذلِكَ. وَقَدْ أُعْطِيتُ حَظّاً وَافِراً فِي ذَلِكَ، فَلَمْ يَكُنْ لَهَا دُوبْ[4] دُونَ أَنْ انْطَرَحَتْ عَلَى ظَهْرِهَا، وَمَسَكَتْهُ بِيَدِهَا، وَأَوْلَجَتْهُ فِي سِفْرِهَا[5]، وَقَالَتْ: ضَعْ يَدَكَ عَلَى قُبَّتِهِ، واطْعَنْهُ فِي لُبَّتِهِ، وَانْظُرْ إِلَى طُولِي عَلَى الأَرْضِ، وَآكْبِسْنِي طُولاً وَعَرْضاً[6]، وَأَكْثِرْ لِي مِنَ الْبُصَاقِ فَهْوَ أَحَدُ مَذَاهِبِ[7] الْعُشَّاقِ، وَهْوَ لَذَّةٌ مِنَ اللَّذَّاتِ، وَمُوَفِّقٌ بَيْنَ الشَّهَوَاتِ.

وَقَالَتْ: هَذَا يَا سُوِيدِي نَدْبٌ غَرِيبٌ مَلِيحٌ، وَهْوَ يُسَمَّى نَيْكُ التَّمَاسِيحِ.

يَا جَمَاعَة، فَلَمْ أَتَمَالَكْ صَبْراً دُونَ أَنْ رَكِبْتُ صَدْرَهَا، وَامْتَثَلْتُ أَمْرَهَا، وَأَكْثَرْتُ مِنْ ضَمِّهَا، وَمِنْ عِنَاقِهَا وَلَثْمِهَا، ثُمَّ أَوْلَجْتُهُ فِيهَا، يَغْنِي فِي رَحِمِهَا. فَشَهِقَتْ، وَشَرَقَتْ، وَشَخِرَتْ، وَنَخَرَتْ، وَخَفَضَتْ،

---

1) في الأصل: «نطع»، وفي تكملة المعاجم: 242/10 نطع: «بساط من الجلد، دائريّ، في حوافيه حبل يعطيه هيئة الكيس، يستخدمه الجلاّد لجمع دماء الّذين يقطع رؤوسهم»، وهو هنا بمعنى بساط.

2) في تكملة المعاجم: 245/5 روح: «مروحة: مروحة الخيش».

3) في تكملة المعاجم: 440/4 دور: «دائر: حافّة، حاشية، دائر القميص، دائر الجلّ».

4) كذا في الأصل، ولعلّها تصحيف «درب» الّتي تقدّمت في الماجريّة رقم .

5) في تكملة المعاجم: 84/6 سفر: «سِفر: تصحيف صفر»، وهو هنا بكناية عن الفرج ؛ و«سِفْرة: رقعة الشّطرنج».

6) في الأصل: «طول وعرض».

7) في الأصل: «مذهب».

وَرَفَعَتْ، وَضَمَّتْ، وَكَرْبَلَتْ، وَهَزَّتْ، وَنَخلَتْ[1]، وَصَارَتْ تَقُولُ: يَا سْوِيدِي، ضَعْهُ[2] فِي كْبِيدِي، وَاعْمَلْ صَنْعَتَكَ بِإِتْقَانٍ، وَفَتِّشِ الزَّوَايَا وَالأَرْكَانِ، واقع[3] بِشَهْوَتِي، وَطَوِّلْ عَشْوَتِي، وَجِبْ لِي حُسَيْنَتِي، وَسُلَّهُ، وَأَطِبْقْهُ، وَسَكِّنْهُ، وَاسْفِقْهُ[4]، وَمُدَّهُ، وَطَرِّقْهُ، وَزَرِّقْهُ، وَغَمِّقْهُ[5]، وَأَطْلِقْهُ، وأعْفِقْهُ، وَلَقِّهِ، وَدُقَّهُ[6]، وَآضِرِبْهُ، وَمَذِّقْهُ[7]، وَاطَعَنْهُ، وَارْشُقْهُ، وَلَوِّقْهُ حَتَّى تَرَانِي قَدْ غُشِيتُ وَمِتُّ وَفَنِيتُ، فَحِينَئِذٍ طَوِّلْ سَفْقَاتِي، وَلاَ تَنْزِلْ عَنِّي بِحَيَاتِي، وآعْطِينِي زُبِّي، وَسَكِّنُو جُوَّا قَلْبِي. آنِسْنِي بِسَفَقَاتِي وَأَطْرِبْنِي، بِحَيَاتُو أُودِعْ خُصْوَيْكَ الْمدَلِّي يَضْرِب بِهِمَا خَانُهْ.

ثُمَّ إِنَّهَا تَشْهَقُ، وَتَغِيبُ عَنِ الوُجُودِ[8]، وَيَصِيرُ عَالَمُهَا مَفْقُود، وَتَنْفَتِحُ، وَتَنْفَلِقُ، وَتَبْكِي، وَتَتَمَلَّقُ، ثُمَّ تَهْدَى مِنْ غَمَرَاتِهَا، وَتُفِيقُ مِنْ غَشَوَاتِهَا، فَتَقُولُ: يَا حِبِّي وَحَبِيبِي، وَخُصْوَيَّ وُزُبَيْبِي، حُطُّوا فِي قُلَيِّبِي عَسَى عَيْشِي يَطِيب. يَا سِيدِي وَسْوِيدِي، تَعَالَ عُنَيْدِي، وَاسْفِقْ فِي كُبَيْدِي، وَزَعْزِعْ نُهُودِي، وَبَوِّسْ خُدُودِي، وَمُصِّ الشُّفَيْفَةِ وَعُضَّ الأُنَيْفَةَ عَسَى أَنِّي أَطِيبُ فِي وَقْتِ أَغِيبُ، ثُمَّ تَسْقِينِي مِنَ الزُّبْدِ شَيْئاً[9] مَا أَقْدِرُ أَصِفُ بَعْضَهُ.

---

1) في تكملة المعاجم: 185/10 نخل: «نخل: غربل».

2) في الأصل: «ضعوا».

3) كذا في الأصل، ولم أهتد في إصلاحه إلى وجه أرضاه.

4) في الأصل: «اسفه».

5) في الأصل: «عمقه».

6) في الأصل: «دققه».

7) في الأصل: «مدقه».

8) في الأصل: «الجود».

9) في الأصل: «شي».

وَأَنَا مَعِي أَيْرٌ يَجِي ثَلاَثَ قَبْضَاتٍ وَنِصْفٍ، أَرْجَحُ مِنْ نِصْفِ ذِرَاعٍ، فَكُنْتُ أَسُلُّهُ إِلَى رَأْسِ التَّمْرَةِ، ثُمَّ إِنِّي أَعُودُ أَضْرِبُهُ إِلَى حَدِّ الشِّعْرَةِ. وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ رَأْسِ الكَتِفِ، بِمَا أَعْطَانِي اللَّهُ تَعَالَى مِنَ القُوَّةِ وَالْحِيَلِ. فَكَانَ كُلَّمَا أَسُلُّهُ وَأَرْدِمُهُ أَسْفَقُ سَفْقَةً تَطِنُّ لَهَا الدَّارُ طَنّاً شَدِيداً، مِقْدَارَ مَا يُسْمَعُ مِنْ نِصْفِ بَرِيدٍ. وَكُنْتُ أُسَكِّنُهُ طَوِيلاً[1]، ثُمَّ إِنِّي أَسُلُّهُ قَلِيلاً قَلِيلاً[2]، ثُمَّ إِنِّي أَسْفِقُهُ سَفْقاً وَبِيلاً[3]. وَكُلَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ تَمُوتُ وَتَفُوتُ، وَتَعْرَقُ، وَتَفُورُ، وَتَغْلِي غَلَيَانَ القُدُورِ، ثُمَّ تُعْطِينِي مِنْ ذَلِكَ الغُنْجِ اللَّذِيذِ، وأَنَا أَسْفِقُ ذَلِكَ السَّفْقَ الشَّدِيدَ، وَهِيَ لاَ تَتَزَعْزَعُ، وَلاَ تَمَلُّ كَأَنَّ كُسَّهَا مِنْ حَدِيدٍ. وَكُلَّمَا زِدْتُ سَفْقاً، زَادَتْ هِيَ غُنْجاً، وَتُنْشِدُ مَعَ ذَلِكَ، تَقُولُ[4]:

[من البسيط]

وَلِلنِّـــكَاحِ مَشْـــرُوطٌ فِـــي لَذَاذَتِهَا
تَأْتِيكَ مَحْصُورَةً فِي سِـــتِّ غَيْنَاتِ[5]

غُنْـــجٌ، وَغَمْزٌ، وَغَشْـــوَاتٌ، وَغَرْبَلَةٌ
غَضُّ طَـــرْفٍ، وَغَـــزْلٌ بِالعُوَيْنَاتِ

وَغَرْغَـــرَاتُ عُيُـــونٍ غَادِيَـــاتٍ
غَدَتْ بِهَيْجٍ بَلْبَالِهَا تِلْكَ الْحُسَـــيْنَاتِ

---

1) في الأصل: «طويل».
2) في الأصل: «قليل قليل».
3) في الأصل: «سفق وبيل».
4) البيتان الأوّل والثّاني في: نواضر الأيك: 98، وشقائق الأترجّ (بتحقيقنا): الفقرة رقم 110.
5) في الأصل: «بيت عينات»، والمثبت من مصدري التّحقيق.

مَنْ لَـــمْ تَكُنْ هَذِهِ السِّـــتَّةُ خَصَائِلُهَا
فَانْكَحْ حِمَارَةً، وَلاَ تَنْكَحْ نُسَـــيْوَاتِ

قَالَ:

وَصَارَتْ تُعَاطِينِي مِنَ الغُنْجِ الرَّقِيقِ، وَالشَّهِيقِ البَدِيعِ مَا لاَ أَقْدِرُ أَصِفُهُ. وَلَمْ أَزَلْ مَعَهَا فِي كَرٍّ وَفَرٍّ، وَسَدٍّ وَرَدٍّ، وَقُرْبٍ وَصَدٍّ، وَهَزْلٍ وَجِدٍّ، وَجَبْذٍ وَكَدٍّ، وَطَبْقٍ وَمَدٍّ، وَغُنْجٍ، وَعَدٍّ، وَسَلٍّ، وَهَدٍّ، وَلَمْ نَزَلْ[1] فِي ذَلِكَ الْجِهَادِ وَالْحَصْرِ إِلَى بَعْدِ العَصْرِ. وَفَرَغْنَا بِلَذَّةٍ عَجِيبَةٍ، وَشَهْوَةٍ غَرِيبَةٍ، وَقَامَتْ، ثُمَّ قَالَتْ: وَاللَّهِ، أَنَا لاَ بُدَّ لِي مِمَّا أَغْتَسِلُ هُنَا قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ.

فَقُلْتُ: خُذِي حَقَّ مَا تَغْتَسِلِي بِهِ.

ثُمَّ أَخْرَجْتُ لَهَا مِنْ جَيْبِي تَقْدِيرَ عَشَرَة دَرَاهِمَ، وَقُلْتُ لَهَا: آدْخُلِي بِهِمْ الْحَمَّامَ.

فَقَالَتْ: مَعَاذَ اللَّهِ!

وَأَخْرَجَتْ مِنْ جَيْبِهَا حَفْنَةً دَرَاهِم، وَقَالَتْ: وَاللَّهِ، لَوْ لاَ الْمَقَادِيرُ، وَمَا أَوْقَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ عِشْقِكَ فِي قَلْبِي، لَمْ يَكُنْ مَا كَانَ.

فَقُلْتُ لَهَا: خُذِي هَذَا فِي مُقَابَلَةِ مَا أَخْرَجْتِيهِ لِلرَّبْعِيَّةِ.

فَقَالَتْ: وَاصِلْ تَطُول الصُّحْبَة بَيْنِي وَبَيْنَك، وَتَعْلَمْ إِنْ كَانَ مِثْلِي[2] فِي مَالٍ وَلاَ نَوال.

---

1) في الأصل: «يزل».

2) في الأصل: «مثل».

وَقَامَتْ إِلَى الْمِرْحَاضِ، وَرَدَّتْ عَلَيْهَا البَابَ، وَاغْتَسَلَتْ بِجَرَّةِ[1] الْمَاءِ، وَعَبَرَتْ لَبِسَتْ ثِيَابَهَا، وَصَلَّتْ، وَاسْتَغْفَرَتْ رَبَّهَا مِمَّا جَرَى مِنْهَا. وَكُنْتُ قَدْ سَأَلْتُهَا[2] عَنِ اسْمِهَا، فَقَالَتْ لِي[3]: اسْمِي سِتّ رَيْحَان العَالِمَة.

لأَنَّهَا كَانَتْ قَارِئَةً، كَاتِبَةً، قَدْ قَرَتْ، وَدَرَتْ، وَزَقَّتْ، وَرَعَتْ. ثُمَّ وَصَفَتْ لِي سَكَنَهَا. يَا جَمَاعَة، فَلَمَّا رَأَيْتُهَا قَد اغْتَسَلَتْ، وَتَبَرَّدَتْ بِالْمَاءِ، وَجَلَسَتْ تَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، فَاسْتَحَيْتُ أَنَا مِنْ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَنْ تَكُونَ امْرَأَةٌ فَعَلَتْ هَذَا، وَأَنَا رَجُلٌ وَلَمْ أَفْعَلْ مِثْلَهُ، فَقُلْتُ لَهَا: فَلَعَلَّ أَنْ تَطْلُبِي لَنَا جَرَّةً مِنَ الرَّبْعِيَّةِ؟

فَخَرَجَتْ إِلَى الرَّبْعِيَّةِ، وَقَالَتْ: يَا خَالَتِي، اِشْتَرِي لَنَا بِهَذَا الدِّرْهَمْ[4] جَرَّةَ مَاءٍ حَتَّى نَغْسِلَ[5] البِلَاطَ وَنَمْسَحُهُ.

قَالَ:

فَأَحْضَرَتِ الرَّبْعِيَّةُ جَرَّتَيْ[6] مَاءٍ كِبَارٍ، فَأَخَذْتُ أَنَا جَرَّةً، وَدَخَلْتُ الْمِرْحَاضَ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَاوَلْتُهَا ثِيَابِي، ثُمَّ رَدَّيْتُ عَلَيَّ البَابَ. ثُمَّ اغْتَسَلْتُ، وَتَطَهَّرْتُ، وَنَادَيْتُ: يَا سِتّ رَيْحَانْ، يَا سِتّ رَيْحَانْ.

فَلَمْ يُكَلِّمْنِي أَحَدٌ، فَقُلْتُ: يَا سِتَّنَا، يَا سِتَّنَا.

---

1) في الأصل: «بالجرّة».

2) في الأصل: «سألتها منها».

3) في الأصل: «له».

4) في الأصل: «الدّراهم».

5) في الأصل: «تغسل».

6) في الأصل: «جرّتين».

فَلَمْ يُخَاطِبْنِي أَحَدٌ، فَخَفَقَ فُؤَادِي، وَرَابَنِي ذَلِكَ، فَخَرَجْتُ مِنَ الْمِرْحَاضِ إِلَى البَيْتِ، أَجِد الدَّارَ قَفْرَاءَ، وَالْمَزَارَ بَعِيدٌ، وَأَحْبَابَنَا فِي الْهَوَاءِ شِتْلُوا[1]، وَأَجِدُهَا قَدْ أَخَذَتْ ثِيَابِي الْجَمِيعَ وَمَا فِيهَا مِنَ الدَّرَاهِمِ. وَكَانَ مَعِي ثَلاَثمائَةِ دِرْهَمٍ أَشْتَرِي بِهَا شَحْنَةَ عِطَارَةٍ، وَمَا خَلَّتْ لِي مَا أَسْتُرُ بِهِ عَوْرَتِي، حَتَّى نَعْلِي. فَوَجَدْتُ شَقَّ الْمَوْتِ دُونَهُ، وَبَقِيتُ أَتَلَفَّتُ وَأَنَا عُرْيَانٌ، مَكْشُوف الرَّأْسِ، وَالْمَاءُ يَقْطُرُ مِنْ جَسَدِي، مَا أَجِدُ مَا أَتَنَشَّفُ بِهِ.

فَجِئْتُ إِلَى البَابِ، وَرَدَّيْتُهُ، وَوَقَفْتُ خَلْفَهُ، وَدَقَّيْتُهُ، فَجَاءَتْنِي الرَّبْعِيَّةُ، فَقُلْتُ لَهَا: يَا أُخْتِي، الْمَرْأَةُ، الَّتِي كَانَتْ مَعِي هَاهُنَا، مَا فَعَلَتْ؟

قَالَتْ: نَزَلَتْ مِنْ سَاعَةٍ، وَقَالَتْ إِنَّهَا رَاحَتْ تُسَيِّرُ الغُلاَمَ بِالقُمَاشِ وَالْحَوَائِجِ. وَقَالَتْ لِي: قَدْ تَرَكْتُ زَوْجِي نَائِمٌ، إِن اسْتَيْقَظ[2]، قُولِي لَهُ لاَ يَبْرَحْ حَتَّى يَأْتِيهِ القُمَاشُ.

يَا جَمَاعَة، فَلَمَّا سِمِعْتُ ذَلِكَ مِنْهَا، عَلِمْتُ أَنَّهَا عَيَّارَة[3]، وَقَطَعْتُ إِيَاسِي مِنَ القُمَاشِ وَالمَالِ، وَقُلْتُ لِلرَّبْعِيَّةِ: يَا أُخْتِي، الأَسْرَارُ عِنْدَ الأَحْرَارِ. وَاللَّهِ، مَا الْمَرْأَةُ امْرَأَتِي، وَلاَ أَعْرِفُهَا قَبْلَ اليَوْم، وَإِنَّمَا كَانَ مِنْ أَمْرِي مَعَهَا كِيتْ وَكِيتْ.

---

1) كذا في الأصل، ولم نعثر لها على شرح، والواضح من السّياق أنّها بمعنى غابوا واختفوا وغبروا.

2) في الأصل: «استيقض».

3) في تكملة المعاجم: 360/7 عير: «عيّار: رجل من سفلة النّاس، متسكّع»، وهي هنا بمعنى عاهرة، والكلمة تصحيف زعارة، كما نصّ عليه نفس المصدر: 325/5 زعر: «زعارة: عيارة، وزعارة تصحيف ذعارة، وهذه تصحيف دعارة، وهي الفسق والخبث والفجور، والزّعيرة هي البغيّ المومس، العاهرة».

وَأَعَدْتُ عَلَى الرَّبْعِيَّةِ القِصَّةَ إِلَى آخِرِهَا، وَسَأَلْتُهَا كِتْمَانَ سِرِّي، وَأَعْلَمْتُهَا أَنِّي عُرْيَانْ قِطْعَة لَحْمٍ، فَلَمْ أُتِمَّ كَلامِي حَتَّى قَالَتْ لِي: تِسْتَاهِلْ!

ثُمَّ صَفَّقَتْ[1] بِيَدَيْهَا إِلَى أَهْلِ الرَّبْعِ، وَنَادَتْ: يَا فَقْهَا، يَا حْلِيمَة، يَا بْرِيكْ، يَا سْتِيتْ، يَا سَلْمَى، يَا خدِيجَة، يَا فْطِيمَة، يَا ظرِيفَة، يَا فَرْحَة، يَا غَالْيَة، يَا عِيشَة، يَا عَابْدَة، يَا عْبِيدْ، يَا سِتّ القَضَاء، يَا حنِيفَة، يَا مَرْيَمْ.

فَجَمَعَتْ عَلَيَّ كُلّ مَنْ فِي الرَّبْعِ، وَأَعْلَمَتْهُمْ[2] بِقِصَّتِي، فَتضَاحَكُوا عَلَيَّ، وَصَفَّقُوا[3] بِأَيْدِيهِمْ، وَقَالُوا: هَاكْ يَا مَيْشُوم[4]، يَا قَوَّادْ[5]، يَا دَيُّوثْ[6]! مَا صِبتْ تَسْتَقْوِدْ إِلاَّ نِحْنَا؟!

فَصَارَتْ وَاحِدَةٌ تَنْظُرُ فِي وَجْهِي، وَتَضْحكُ، وَتَقُولُ: هَاكْ يوعَهْد[7] فِي رَقبْتِي وَشْبَابُو نَعْنَاعِي.

وَأُخْرَى تُصَفِّقُ بِيَدِهَا، وَتَنْظُرُ فِي وَجْهِي، وَأُخْرَى تَقُولُ: وَاللَّهِ، مِنْ وَقْتِ سْمِعْتْهَا قَالَتْ إِنَّهَا تْحِبُّهْ، عَلِمْتُ أَنَّهَا تَضْحكْ عْلِيهْ.

وَأُخْرَى تَقُولُ: هِيَ عَشْقِتّكْ؟! إيشْ عَشْقِتْ فِيكْ؟!

---

1) في الأصل: «سفقت».

2) في الأصل: «أعلمتم».

3) في الأصل: «سفّقوا».

4) في تكملة المعاجم: 120/11 يشم: «ميشوم، تحريف مشؤوم: تعيس، رديء، حقير»، وفي شفاء الغليل: 284: «ميشوم ومشوم: خطأ عاميّ، وصوابه مشؤووم. قاله الزّبيدي».

5) في تكملة المعاجم: 405/6 قود: «القوّاد: السّاعي بين الرّجل والمرأة للفجور»، وانظر: المصباح: 198 قود، وشفاء الغليل: 249.

6) في تكملة المعاجم: 458/4 ديث: «ديّوث: مفسد المرأة».

7) كذا في الأصل، ولعلّ الصّواب: «بو عهد».

وَأُخْرَى تَقُولُ: مَا قَصِّرتْ فِيكْ! صَحَّ عْلَى قَلِبْهَا!

وَمَا زَالُوا يَتَمَتْلَتُوا[1] عَلَيَّ، وَيَسْتَهْزِؤُوا بِي إِلَى قَرِيبِ الْمَغْرِب، فَقُلْتُ: السَّاعَةَ يَجْتَمِعُ[2] أَزْوَاجُ هَؤُلاَءِ[3] الفَوَاجِرِ، وَأَرُوحْ إِلَى الوَالِي بِحِينٍ. فَمَا كَفَى الْمَيِّتَ مَوْتَتَهُ حَتَّى حَزَقَهُ[4] القَبْرُ. فَرَحِمَتْنِي وَاحِدَةٌ مِنْهُمْ، وَأَعْطَتْنِي خِرْقَةً اسْتَتَرْتُ بِهَا، وَأَفْرَجُوا لِي حَتَّى خَرَجْتُ مِنْ بَابِ الرَّبْعِ، بَاكِي، حَزِينْ، عُرْيَانْ، يَدْ وَرَاءْ وَيَدْ قُدَّامْ، وَجَرَيْتُ. فَكَأَنَّ مَنْ جَمَعَ لِي صِغَارَ الأَرْضِ يَجْرُوا خَلْفِي، وَيَصْرَخُوا: مَجْنُونْ، مَجْنُونْ!

وَلَمْ أَزَلْ أَجْرِي عَلَى نَفسٍ وَاحِدٍ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى مَنْزِلِ أَصْدِقَائِي، الَّذِينَ فَارَقْتُهُمْ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ، وَعَرَّفْتُهُمْ مَا جَرَى لِي مَعَ العَاهِرَةِ، وَذَهَابِهَا بِمَالِي وَقُمَاشِي، كَمَا ذَهَبَ أَمْسُ لاَ عَوْدَةَ لَهُ، فَانْظُرُوا يَا جَمَاعَة هَذِهْ الْحِيلَةَ الَّتِي تَمَّتْ عَلَى مِثْلِي، وَأَنَا أَدَّعِي الشَّطَارَةَ.

وَلَقَدْ حَكَى لِيَ شَخْصٌ مِنْ أَصْحَابِي مَاجْرِيَّةً مُخْتَصَرَةٍ جَرَتْ لَهُ، فَقُلْتُ: هَاتِ أَسْمِعْنَا.

---

1) غير واضحة في الأصل، وفي تكملة المعاجم: 57/2 تلت: «تلتلة: هذر، لغو».

2) في الأصل: «يجمع».

3) في الأصل: «هذا».

4) في تكملة المعاجم: 155/3 حزق: «حزقة: ضغطة، شدّة».



الْمَاجِرِيّةُ الثّالِثَةُ وَالعِشْرُونَ

قَالَ الْمُؤَلِّفُ عَفَا اللّٰهُ عَنْهُ:

أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ، الْمُقَدَّمُ ذِكْرُهُ، أَنَّ تَاجِراً[1] مِنْ أَصْحَابِهِ كَانَ يَهْوَى امْرَأَةً مَلِيحَةً، وَهْيَ زَوْجَةُ جُنْدِيٍّ، فَسَأَلَهَا التَّاجِرُ مِرَاراً فِي مُوَاصَلَتْهِ، وَهْيَ تَأْبَى ذَلِكَ. فَأَلَحَّ عَلَيْهَا، فَأَرْسَلَتْ تَقُولُ لَهُ: إِنْ أَرَدْتَ مُوَاصَلَتِي، فَابْعَثْ لِي شِقَّةً[2] أَسْوَدَ فِي أَسْوَدَ إِسْكَنْدَرَانِي، وَثَلاَثَةَ أَذْرُعٍ وَنِصْفٍ حزيّة[3] لِبَاسٍ إِسْكَنْدَرَانِي، وَثَلاَثَةَ أَذْرُعٍ وَنِصْفٍ أَطْلَس[4].

قَالَ الرَّاوِي:

فَلَمْ يَكُنْ لَهُ دَرْبٌ دُونَ أَنْ أَرْسَلَ مَا طَلَبَتْ، مَلْفُوفِينَ فِي مِنْدِيلٍ شَنْحُوبِي[5]، شَيْءٌ يُسَاوِي قِيمَةَ سَبْعمائَةِ دِرْهَمٍ. فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَيْهَا، أَرْسَلَتْ وَاعَدَتْهُ إِلَى يَوْمٍ مُعَيَّنٍ، وَأَمَرَتْهُ أَنْ لاَ يَشْتَرِي مَعَهُ شَيْئاً لأَجْلِ الْخَوْفِ مِنْ زَوْجِهَا لَيْلاً، يَطْلَعُ فَيَجِدُهُ، فَيَحْصُلَ لَهَا مَا لاَ خَيْرَ فِيهِ.

وَأَقَامَ التَّاجِرُ يَنْتَظِرُ الْيَوْمَ الَّذِي وَاعَدَتْ فِيهِ. فَلَمَّا أَنْ أَتَى

---

1) في الأصل: «تاجر».

2) في تكملة المعاجم: 331/6 شق: «شقّة: هي قطعة القماش، ولا سيّما شقّة الكتّان، قطعة من نسيج كتّان، أو قطعة من جوخ أو صوف».

3) في الأصل: «حزفه»، لعلّ صوابه ما أثبتنا، وسيرد شرحها في ما سيلي.

4) في تكملة المعاجم: 66/7 طلس: «أطلسيّ، من الأطلس: من السّاتان».

5) كذا في الأصل، ولم نعثر لها على شرح.

اليَوْمُ، فَرِحَ، وَعَبَرَ الْحَمَّامَ وَاغْتَسَلَ، وَخَرَجَ مِنَ الْحَمَّامِ، وَتَنَشَّفَ، وَتَطَيَّبَ، وَتَبَخَّرَ، وَلَبِسَ أَفْخَرَ أَثْوَابِهِ. وَكَانَ يَهْوَى الْمَلْبُوسَ، فَلَبِسَ قَمِيص بُنْدُقِي[1]، وَلِبَاس[2] بَعْلَبَكِي، وَمَلُّوطَة[3] نِصَافِي[4]، مُضَرَّبَةً[5]، كِبْرِيتَةً[6]، وَجَنِينَة[7] عُودِي[8] بِسِنْجَابٍ[9] طَرِيٍّ فَشِح[10]، وَفَرَجِيَّة[11]

---

1) في الأصل: «بندق»، وفي تكملة المعاجم: 451/1 بندق: «بندقي: نقد ذهبيّ ينسب إلى مدينة البندقيّة».
2) في تكملة المعاجم: 200/9 لبس: «لباس، وجمعها لباسات وألبسة: سروال صغير، سراويل، بنطال».
3) في تكملة المعاجم: 108/10 ملط: «ملّوطة، جمع ملاميط»، وزاد في الحاشية: «الملّوطة: الجبّة، ويراد بها اللّباس الفوقاني الواسع الّذي كان يلبس فوق الفرجيّة. إنّ لباس المماليك التّحتاني كان يسمّى مرلوتة (marlota)، وكان له كمّان مخرّطان في السّعة».
4) في تكملة المعاجم: 237/10 نصف: «نصفيّة، والجمع نصافي: قماش من حرير وكتّان. وفي الحديث عن مدينة حزّة، من أعمال الموصل، ينسب إليها النّصافي الحزيّة، وهي ثياب قطن رديّة. وهذه الكلمة ترد أحيانا بصيغة المفرد المذكّر».
5) في تكملة المعاجم: 505/6 ضرب: «ضرّب: نبّت القماش، جعل فيه غرزات نافذة، ويقال: حشا وضرّب، أي بطّن. وقبّة مضرّبة من ستّ وثلاثين بنيقة: خيمة ذات ستّ وثلاثين حاشية».
6) في تكملة المعاجم: 24/9 كبرت: نسبة إلى «الكبريت الأحمر، وهو الذّهب».
7) في الأصل: «جنده»، والمثبت من أسماء الألبسة عند العرب (دوزي): 125-126: وفيه: «جنينة: مطرف كالطّيلسان»، وانظر: المعجم العربي لأسماء الملابس: 117.
8) في تكملة المعاجم: 348/7 عود: «عليه الفرجيّة الجوخ العودي»، نقلا عن ألف ليلة وليلة، لعلّ معناها: «في لون العود».
9) كذا في الأصل، والمقصود: «مسنجب»، كما في تكملة المعاجم: 161/6 سنجب، «أي مبطّن بفراء السّنجاب»، وفي المعجم العربي لأسماء الملابس: 244: «ضرب من الفراء المتّخذة من حيوان السّنجاب، وهو حيوان كاليربوع، وأكبر من الفأر، وشعره في غاية النّعومة، وأحسن جلوده الأزرق الأطلس».
10) كذا في الأصل، ولم نهتد في إصلاحها إلى وجه نرضاه.
11) في المعجم العربي لأسماء الملابس: 144: «الفرَجيّة: الفَرَجِيَّة: ثوب واسع فضفاض، طويل الأكمام مُفرَّج من قُدَّام، من أعلاه إلى أسفله، ومزرّر بالأزرار، له كمّان واسعان طويلان يتجاوزان قليلًا أطراف الأصابع، وهذا الثّوب يعمل من الجوخ عادة. وقد كان هذا الثّوب ملبوس العلماء والقضاة في مصر. وهي عادةً لباس رجال الدّين، وربما نُسبت إلى السّلطان فرج، أحد سلاطين المماليك، ويلبسها العلماء عادة في الحفلات الرّسميّة كيوم المحمل، وقد تُحلّى بسلوك من الذّهب تركّب على يديها وظهرها. وقد كان رجال الدّين الأقباط يلبسونها سوداء هي والعمامة. وفي المغرب تطلق الفرجيّة على لباس يُجعل فوق الثّياب للرّجال والنّساء، ومن خواصّها أنها منفرجة الأمام، ولذلك لا يبعد أن يكون أصلها عربيًا مشتقًا من الفرج وهو الاتساع، وجمعها: الفراجي، والفرجيّات»، وانظر تكملة المعاجم: 34/8 فرج.

سَابُورِي[1] مُقَصَّص[2]، وَوَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ عِمَامَةَ شَاشٍ[3] شَمْسِي، وَفِي كُمِّهِ مِنْدِيل[4] كتَّانِـــي[5].

وَلَمْ يَزَلْ سَائِراً حَتَّى وَصَلَ إِلَى بَيْتِ امْرَأَةِ الْجُنْدِيِّ، فَطَرَقَ البَابَ وَاسْتَأْذَنَ، فَوَجَدَ الْجَوَارِي فِي انْتِظَارِهِ، فَأَدْخَلُوهُ. فَلَمَّا دَخَلَ إِلَى زَوْجَةِ الْجُنْدِيِّ، قَامَتْ وَاسْتَقْبَلَتْهُ، وَضَمَّتْهُ إِلَى صَدْرِهَا، وَأَعْطَتْهُ سَبْعَ ثَمَانِ بَوْسَاتٍ بِالفَقِيرِي، شَيْءٌ يُسَمَّى زَقُّ الْحَمَامِ، وَسَلَّمَتْ خَرَاطِيمَهَا الْحَمْرَاءَ إِلَى التَّاجِرِ فَرَشَفَهُمْ رَشْفاً جَيِّداً[6] إِلَى أَنْ ذَبُلَتِ

---

1) كذا في الأصل، وفي المعجم العربي لأسماء الملابس العربيّة: 219: «السّابريّ: الرّقيق من الثّياب، منسوب إلى بلدة سابور بفارس. والسّابرىّ: هو الرّقيق النّاعم من كلّ ثوب، والأصل فيه النّسبة إلى: نيسابور وعُرِّب فقيل: سابريّ. ومن خصائص نيسابور: الثّياب الحفيّة، والتاختج والراختج والمُضمت؛ فأما الحُلل والعتابيات والسقلاطونيات فإن بغداد وأصبهان تشاركت فيها».

2) في تكملة المعاجم: 282/8 قصص: «تقصّص: كان مقصوصا ومجزوزا».

3) في تكملة المعاجم: 379/6 شوش: «شاش، وجمعه شاشات: موسلين، نسيج موصليّ، نسيج من القطن رقيق، وشاش: قطعة طويلة من النّسيج الموصليّ، أو الحرير، تلفّ حول طاقية أو كلّزتة العمامة»، وفي المعجم العربي لأسماء الملابس: «الشّاش: اسم ولاية في تركستان، مشهورة بنسيجها، وتسمّى أيضا: جاج، وسمّيت فيما بعد: سمرقند الشّاش. والشّاش: ضرب من النّسيج القطنيّ الأبيض، الّذي يتميّز برقّته وجودته، يلفّ على الرّأس، وبعد اللّفّ يسمّى عمامة. وهو مولّد، منقول من اللّغة الهنديّة، منسوب إلى بلدة شاش».

4) في المعجم العربي لأسماء الملابس: 481ـ482: «المنديل: نسيج من قطن، أو حرير، أو نحوهما، مربّع الشّكل، يمسح به العرق أو الماء».

5) في تكملة المعاجم: 37/9 كتن: «كِتّاني: نسبة إلى كِتّان»، وفي المعجم العربي لأسماء الملابس: 415: «الكَتَّان: الكَتَّان بفتح الكاف وتشديد التّاء كشدَّاد: كلمة فارسية مُعرَّبة؛ وأصلها في الفارسيّة: كَتَان بدون تضعيف، أى بتحريك الكاف والتّاء. وفى العربيّة: الكَتَّان: نبات زراعيّ من الفصيلة الكتّانيّة، حوليّ، يُزرع في المناطق المعتدلة والدفيئة، يزيد ارتفاعه على نصف متر، زهرته زرقاء جميلة، وثمرته علبيّة مدوّرة، بها بذور بنّيّة لامعة تُعرف باسم بزر الكتّان، يعتصر منها الزّيت الحارّ، ويتّخذ من أليافه النّسيج المعروف. وقد يُطلق الكتّان ويراد به ثيابه، وثياب الكتّان معتدلة في الحرّ والبرد واليبوسة، ولا تلزق بالبدن. وسُمِّي كَتَّانًا لأنه يُخيَّس ويُلقى بعضه على بعض حتى يكتن. وقد كانت مصر من أشهر بلاد الدّنيا في صناعة ثياب الكتّان».

6) في الأصل: «رشف جيد».

الفُوقَانِيَّةُ فَسَرقَتْهَا بِحُسْنِ صَنْعَتِهَا، وَأَلْقَمَتْهُ التَّحْتَانِيَّةَ[1] فَمَلَّطَهَا[2]، وَعَضْعَضَهَا[3]. ثُمَّ سَلَّمَتْ لَهُ اللِّسَانَ فَمَصَّهُ حَتَّى صَارَ كَالأُرْجُوَانِ، ثُمَّ بَوَّسَهَا، وَزَقَّقَهَا[4]، وَهَارَشَهَا[5]، وَزَغْزَغَهَا[6]، وَتَعَنَّقَهَا[7]، وَدَغْدَغَهَا، وَقَرَصَهَا، وَلاَعَبَهَا، وَدَاعَبَهَا.

فَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ، وَالْجُنْدِيُّ طَلَعَ، فَلَمَّا رَآهُمْ بَرْبَرَ[8]، وَتَعَاتَمَ[9]، وَعَيَّطَ[10]، وَقَيَّمَ[11] شَوَارِبَهُ، فَقَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: هَذَا التَّاجِرُ، صَاحِبُ الْقُمَاشِ، يَطْلُبُ ثَمَنَ قُمَاشِهِ، وَنَحْنُ اسْتَحَيْنَا مِنْهُ، فَإِنْ لَمْ تُعْطِيهِ ثَمَنَ الْقُمَاشِ، وَإِلاَّ مَا بَقِيتُ أَقْعُدُ عِنْدَكَ.

فَقَالَ الْجُنْدِيُّ: بِاللَّهِ يَا خَاتُون، مُرِيهِ إِلِّي مَا يَجِي الفَلاَّحِين، نُعْطِيهِ نَحْنُ الْقُمَاشَ.

فَقَامَ التَّاجِرُ، وأَرَادَ الانْصِرَافَ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَةُ الْجُنْدِيِّ: اصْبِرْ.

---

1) إشارة إلى الشّفتين.

2) كذا في الأصل، ولا يوافق معناها (سحب سيفه وجعله يدور في الهواء ؛ انظر: تكملة المعاجم: 108/10 ملط) السّياق، ولعلّ الصّواب: «ملّس أو مصّ».

3) في تكملة المعاجم: 288/7: «عضعض: أكثر من العضّ».

4) في الأصل: «زقزقها»، صوابه ما أثبتنا.

5) في تكملة المعاجم: 11/11 هرش: «هارش: دفع، ضغط، تستعمل بمعناها الحقيقيّ، غير المجازيّ، في الحديث عن الكلب الّذي يلاعب الكلبة قبل السّفاد. وهارش: لعّب، تلعّب ؛ قال في وصف غلام: هذا يصلح للفاش والهراش. وفي ألف ليلة وليلة: وهم في كلام وغنج وضحك وبوس وهراش، وفيه أيضا: وقعدت تهارشه وتلاعبه إلى الصّباح، ومالت إلى الغلام تلاعبه وتهارشه وتضمّه إلى صدرها وتقبّله».

6) في تكملة المعاجم: 333/5: «زغزغ: دغدغ».

7) في تكملة المعاجم: 333/7 عنق: «تعنّق مع: عانق».

8) في تكملة المعاجم: 270/1 بربر: «بربر الأسد: زمجر، وبربر الرّجل: دمدم، همهم من بين أسنانه، تمتم».

9) كذا في الأصل، صوابه ما أثبتنا من تكملة المعاجم: 143/7 عتم، وفيه: «عتم: كئيب، مغتمّ».

10) في تكملة المعاجم: 362/7 عيط: «عيّط بالتّشديد: صاح، صرخ، زعق».

11) في تكملة المعاجم: 718/8 قوم: «قيّم الشّعر أو الزغزب: قوّمه، وجعله مزبئرّا منتصبا».

وَقَالَتْ لِلْجُنْدِيِّ: قُومْ هَاتِ لَنَا شَيْئاً[1] مِنَ السُّوقِ لِلأَكْلِ، لَعَلَّ يَاكُلْ فَيُمْهِلُ عَلَيْنَا بِثَمَنِ القُمَاشِ.

فَقَامَ الْجُنْدِيُّ، وَقَالَ لِلتَّاجِرِ: هَاي أَنْتَ أَحْسَنْتَ لَنَا، وَنَحْنُ مُقَصِّرِينَ فِي حَقِّكَ، فَلاَ تُرَوِّحْ حَتَّى تَأْكُلَ عِنْدَنَا شَيْئاً[2] مِنَ الطَّعَامِ.

فَقَعَدَ التَّاجِرُ، وَرَاحَ الْجُنْدِيُّ. وَقَضَى التَّاجِرُ شُغْلَهُ، وَانْصَرَفَ بِسَلاَمٍ.

---

1) في الأصل: «شيء».

2) في الأصل: «شيء».



الْمَاجِرِيَّةُ الرَّابِعَةُ وَالعِشْرُونَ

قَالَ الْمُؤَلِّفُ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ[1]:

مِنْ أَعْجَبِ مَا سَمِعْتُهُ مِنَ الأَخْبَارِ الْمَاضِيَةِ، وَالْحِكَايَاتِ السَّالِفَةِ، هَذِهِ الْمَاجِرِيَّةُ - وَهْيَ سَمَاعِي بِأُذْنِي مِنْ نَاقِلِهَا -، أَنَّ رَجُلاً كَانَ شَدِيدَ الغَيْرَةِ عَلَى النِّسَاءِ، وَكَانَتْ لَهُ مَعَ ذَلِكَ امْرَأَةٌ حَسَنَةٌ، جَمِيلَةُ الصُّورَةِ. وَكَانَتْ غَيْرَتُهُ تَمْنَعُ السَّفَرَ عَنْهُ، فَقُدِّرَ أَنَّهُ احْتَاجَ إِلَى سَفَرٍ لاَ بُدَّ مِنْهُ، فَاشْتَرَى طَائِراً[2] يُسَمَّى البَبَّغَاءُ، وَهْيَ الَّتِي يُسَمِّيهَا أَهْلُ مِصْرَ الدُّرَّةَ[3]، ثُمَّ إِنَّهُ جَعَلَهَا فِي بَيْتِهِ فِي قَفَصٍ لِتَكُونَ رَقِيباً عَلَى مَا تَصْنَعُ بَعْدَ سَفَرِهِ، وَتُحَدِّثُهُ بِهِ عِنْدَ عَوْدَتِهِ.

ثُمَّ قَالَ لِزَوْجَتِهِ: إِنِّي مُسَافِرٌ، فَانْظُرِي كَيْفَ تَكُونِي.

ثُمَّ وَدَّعَهَا، وَخَرَجَ مِنْ عِنْدَهَا، وَمَضَى لِحَالِ سَبِيلِهِ. وَكَانَ لَهَا خَلِيلٌ، صَاحِبُ أَيْرٍ[4] طَوِيلٍ، فَبَعَثَتْ إِلَيْهِ تَسْأَلُهُ الْمَجِيءَ إِلَيْهَا، فَأَتَى مَعَ رَسُولِهَا، فَقَامَتْ إِلَيْهِ وَاسْتَقْبَلَتْهُ مِنْ رَأْسِ السُّلَّمِ، ثُمَّ شَكَتْ إِلَيْهِ بُعْدَهُ عَنْهَا، فَتَسَلَّمَ العَزِيمُ خَرَاطِيمَهَا وَرَشَفَهُمْ، ثُمَّ دَخَلَتْ هِيَ وَإِيَّاهُ إِلَى

---

1) قارن ما ورد في ألف ليلة وليلة (صادر): 57/2‒58، في «حكاية التّاجر وزوجته والدّرّة»، ضمن حكاية: «الملك وولده والجارية والوزراء السّبعة».

2) في الأصل: «طائر».

3) في تكملة المعاجم: 306/4 درّ: «أنثى البّبغاء، المطوّقة بلون الورد، ببّغاء».

4) في الأصل: «بن».

دَاخِلِ البَيْتِ، فَدَفَعَهَا فِي صَدْرِهَا، فَاسْتَلْقَتْ عَلَى ظَهْرِهَا، وَتَنَاوَلَ سِيقَانِهَا، وَرَدَّهُمْ إِلَى خَلْفِ آذَانِهَا، وَنَدبَهُ، وَرَيَّقَهُ، ثُمَّ طَبَّقَهُ، وَتَبَاعَدَ وَسَفَقَهُ، وَقَعَدَ فِيهِ، وَرَشَقَهُ، وَسَلَّهُ، وَلزَقَهُ.

وَلَمْ تَزَلْ هِيَ وَإِيَّاهُ فِي سَلٍّ، وَرَدٍّ، وَجَبْدٍ، وَمَدٍّ، وَأَخْذٍ، وَعَدٍّ طُولَ نَهَارِهِمَا أَجْمَعَ تَحْتَ القَفَصِ، يَأْكُلاَنِ وَيَشْرَبَانِ وَيَتَنَايَكَانِ، وَالطَّيْرُ يَنْظُرُ إِلَيْهِمَا. وَصَارَ ذَلِكَ دَأْبُهَا مَعَ العَشِيقِ فِي طُولِ غَيْبَةِ زَوْجِهَا. فَلَمَّا وَصَلَ زَوْجُهَا مِنَ السَّفَرِ، سَأَلَ البَبَّغَاءَ عَمَّا كَانَتْ زَوْجَتُهُ تَعْمَلُ فِي سَفَرِهِ، فَعَرَّفَتْهُ جَمِيعَ مَا جَرَى فِي غَيْبَتِهِ. فَلَمَّا سَمِعَ زَوْجُهَا ذَلِكَ مِنْ كَلاَمِ البَبَّغَاءِ، عَمَدَ إِلَى زَوْجَتِهِ فَضَرَبَهَا ضَرْباً وَجِيعاً، وَغَضِبَ عَلَيْهَا، وَهَجَرَهَا، وَمَضَى عَنْهَا.

فَظَنَّتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ بَعْضَ جَوَارِيهَا حَدَّثَ زَوْجَهَا بِذَلِكَ، فَعَمَدَتْ إِلَى الْجَارِيَةِ الَّتِي تَخْدِمُهَا، وَقَالَتْ لَهَا: يَا فَاعِلَة يَا تَارِكَة، كَأَنَّكِ الَّتِي قُلْتِ لِزَوْجِي هَذَا الكَلاَمَ؟

وَأَوْجَعَتْهَا ضَرْباً، فَحَلَفَتْ أَنَّهَا مَا قَالَتْ لَهُ أَبداً، وَإِنَّمَا البَبَّغَاءُ هِيَ الَّتِي حَدَّثَتْهُ بِذَلِكَ. فَلَمَّا عَلِمَتِ الْمَرْأَةُ ذَلِكَ، تَيَقَّظَتْ[1] لِذَلِكَ، وَعَلِمَتْ أَنَّ البَبَّغَاءَ هِيَ الَّتِي هَتَكَتْ سِتْرِهَا، وَكَشَفَتْ لَهُ عَنْ أَمْرِهَا، فَقَالَتْ: إِنْ لَمْ أَعْمَلْ فِي هَلاَكِهَا، وَإِلاَّ لاَ يَتِمُّ لِي مَا أَعْمَلُ، وَتُبَرَّأُ سَاحَتِي عِنْدَهُ، وَلاَ يَنْجَحُ لِي مَقْصَدٌ، وَلاَ أَحْظَى[2] مِنْ حَبِيبِي بِالتَّلاَقِي[3]، وَلاَ بِالبَوْسِ وَالعِنَاقِ. فَعَمَدَتْ إِلَى جَارِيَتِهَا فِي اللَّيْلِ،

---

1) في الأصل: «تيقضت»، وفي تكملة المعاجم: 120/11 يقظ: «تيقّظ: أخذ حذره».

2) في الأصل: «أحضى».

3) في الأصل: «بالتلاق».

وَقَالَتْ لَهَا: اُقْعُدِي تَحْتَ القَفَصِ، وَخُذِي هَذَا القَمْحَ وَالرَّحَا، وَاطْحَنِي تَحْتَهَا.

ثُمَّ عَمَدَتْ إِلَى مِنْخَلٍ، وَنَصَبَتْهُ فَوْقَ القَفَصِ، وَأَخَذَتْ بِيَدِهَا كُوزًا مَلآنًا[1]، وَجَعَلَتْ تَرُشُّ بِيَدِهَا عَلَى الْمُنْخَلِ، فَيَنْزِلُ عَلَى البَبَّغَاءِ مِنْ خِلاَلِ ذَلِكَ. ثُمَّ أَوْقَدَتْ سِرَاجاً، وأَخَذَتْ بِيَدِهَا مِرْآةً، وَصَارَتْ تَجُوزُ بِهِ مُقَابِلَ وَجْهِ البَبَّغَاءِ، وَتُلَمِّعُ لَهَا فِي السِّرَاجِ. وَفَعَلَتْ ذَلِكَ طُولَ لَيْلَتِهَا، وَالطَّاحُونُ تَدُورُ، وَالْمَاءُ يُسْكَبُ، وَالْمِرْآةُ تَلْمَعُ إِلَى أَنْ أَصْبَحَ الصَّبَاحُ.

فَجَاءَ زَوْجُ الْمَرْأَةِ، وَسَأَلَهَا عَنْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ، فَقَالَتْ لَهُ: يَا مَوْلاَي، مَا قَدِرْتُ البَارِحَةَ[2] أَفْتَحُ عَيْنَيَّ مِنْ شِدَّةِ الرِّيحِ وَالْمَطَرِ وَالرَّعْدِ وَالبَرْقِ الَّذِي كَانَ بِاللَّيْلِ.

فَلَمَّا سَمِعَ الرَّجُلُ كَلاَمَ البَبَّغَاءِ ظَنَّ أَنَّ كُلَّ مَا ذَكَرَتْهُ عَنْ زَوْجَتِهِ كَذِبٌ وَمُحَالٌ لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ رَعْدٌ، وَلاَ بَرْقٌ، وَلاَ مَطَرٌ. وَكَانَ زَمَنَ الصَّيْفِ. فَمَضَى مِنْ سَاعَتِهِ إِلَى زَوْجَتِهِ وَصَالَحَهَا، وَقَبَّلَ وَجْهَهَا، وَاعْتَذَرَ إِلَيْهَا. ثُمَّ إِنَّهُ عَمَدَ إِلَى البَبَّغَاءِ فَأَخْرَجَهَا مِنْ دَارِهِ، وَقَتَلَهَا. وَصَارَتِ الْمَرْأَةُ مَعَ العَشِيقِ فِي أَكْلٍ، وَشُرْبٍ، وَنَيْكٍ حَتَّى مَاتَ زَوجُهَا، فَتَابَا عَنِ الْحَرَامِ، وَكَتَبَ عَلَيْهَا[3]، وَتَزَوَّجَ بِهَا. وَاللَّهُ أَعْلَم.

---

1) في الأصل: «كوز ملآن».

2) في الأصل: «البارح».

3) في الأصل: «كبث لها»، وفي تكملة المعاجم: 30/9 كتب: «يقال في الكلام عن الرّجل الّذي يتزوّج: كتب مع بنت فلان، ويقال: كتبوا كتابه على فلانة».



الْمَاجِرِيَّةُ الْخَامِسَةُ وَالعِشْرُونَ

قَالَ الْمُؤَلِّفُ صَاحِبُ الْحَدِيثِ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ[1]:

مِنْ أَعْجَبِ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ مَكْرِ النِّسَاءِ أَنَّ رَجُلاً[2] كَانَتْ لَهُ زَوْجَةٌ حَسَنَةٌ، وَكَانَ يُحِبُّهَا وَتُحِبُّهُ، وَكَانَا قَدْ تَحَالَفَا أَنْ لاَ يَخُونَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ. فَاتَّفَقَ لِلرَّجُلِ سَفَرٌ إِلَى بَعْضِ أَشْغَالِهِ، فَقَالَ لامْرَأَتِهِ: قَدْ عَزَمْتُ[3] عَلَى السَّفَرِ، فَاذْكُرِي العَهْدَ بَيْنَنَا كَيْفَ تَكُونِي.

فَقَالَتِ[4] الْمَرْأَةُ: أَنَا عَلَى العَهْدِ.

فَوَدَّعَهَا وَتَوَجَّهُ إِلَى طَرِيقِهِ، فَغَابَ الْمُدَّةَ الَّتِي حَدَّهَا لَهَا، فَضَاقَ صَدْرُهَا، وَعِيلَ صَبْرُهَا فَخَرَجَتْ نَحْوَ الطَّرِيقِ الَّتِي يَأْتِي زَوْجُهَا مِنْهَا لَعَلَّ تَجِدُ إِنْسَاناً يُخْبِرُهَا عَنْهُ، فَلَمْ تَجِدْ أَحداً فَعَادَتْ إِلَى مَنْزِلِهَا، فَتَعَرَّضَ لَهَا فِي الطَّرِيقِ رَجُلٌ فَكَلَّمَهَا فَلَمْ تُكَلِّمْهُ بِحَرْفٍ وَاحِدٍ، فَمَشَى خَلْفَهَا حَتَّى أَتَتْ بَيْتَهَا وَفَارَقَهَا وَرَاحَ. وَلَمَّا أَصْبَحَ اللَّهُ بِالصَّبَاحِ خَرَجَتْ إِلَى عَادَتِهَا فَلَقِيَهَا الرَّجُلُ أَيْضاً فَكَلَّمَهَا، فَلَمْ تُخَاطِبْهُ وَعَادَتْ إِلَى مَنْزِلِهَا.

---

1) قارن بما في: ألف ليلة وليلة (صادر): 2/66-68، والرّوض العاطر في نزهة الخاطر (بتحقيقنا): 347-358.

2) في الأصل: «رجل».

3) في الأصل: «عدلت».

4) في الأصل: «فقال».

وَكَانَ يَلْقَاهَا كُلَّ يَوْمٍ فَلَمْ تُكَلِّمْهُ، فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَيْهِ. وَأَمَّا الامْرَأَةُ فَإِنَّهَا لَمَّا تَكَثَّرَ الرَّجُلُ عَلَيْهَا قَطَعَتِ الْخُرُوجَ. فَلَمَّا رَأَى الرَّجُلُ ذَلِكَ مِنْهَا، وَأَنَّهُ لاَ يَصِلُ إِلَيْهَا، اشْتَدَّ شَغَفُهُ بِهَا، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى صَدِيقٍ، فَقَالَ لَهُ صَدِيقُهُ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ حُرَّةٌ، لاَ وُصُولَ إِلَيْهَا غَيْرَ الْحِيلَةِ عَلَيْهَا.

فَقَالَ: وَكَيْفَ لِي بِذَلِكَ؟

فَقَالَ: عَلَيْكَ بِالعَجَائِزِ الصَّالِحَاتِ.

فَقَالَ: يَا أَخِي، دُلَّنِي وَإِلاَّ رُوحِي رَائِحَة مِنِّي.

فَقَالَ: أَنَا أَدُلُّكَ عَلَى عَجُوزٍ تَحْتَالُ لَكَ فِي أَمْرِهَا.

ثُمَّ أَرْشَدَهُ إِلَى بَيْتِ العَجُوزِ أُمِّ أَحْمَدَ بانباره[1]. وَكَانَتْ هَذِهِ العَجُوزُ المَذْكُورَةُ مِنَ الكِبَارِ، الْمَشْهُورَاتِ بِالتَّعْرِيصِ[2].

قَالَ:

فَمَضَى الرَّجُلُ إِلَى مَنْزِلِ العَجُوزِ، وَقَصَّ القِصَّةَ عَلَيْهَا فَقَالَتْ لَهُ: أَنَا أَعْرِفُ هَذِهِ الْمَرْأَةَ، وَهِيَ حُرَّةٌ، لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَيْهَا.

فَقَالَ لَهَا الرَّجُلُ: يَا أُمِّي، إِنَّنِي عَاشِقٌ وَمُفَارِقٌ فَاحْتَالِي أَنْ تُوصِلِينِي إِلَيْهَا، وَلَكِ عَلَيَّ مَا أَرَدْتِ مِنَ المَالِ وَالثِّيَابِ.

---

1) كذا في الأصل.

2) في تكملة المعاجم: 172/7 (عرص): «عَرَص له: قاد له، صار قوّاد له، وعَرَّص (بالتشديد): خُدع، خانته زوجته، واستعرص: خدع الزّوج، وعَرْص: زوج تخدعه زوجته وتخونه، وعَرْصَة: زوجة مخدوعة، وعَرْصَة: مقرّن، ذو القرون، وعَرصة: بغيّ، مومس، عاهرة، امرأة حقيرة، امرأة شريرة، فاجرة، فاسقة، داعرة، وتَعرِيص: الوطء الحرام، وهي فيما يقول صاحب «محيط المحيط» تصحيف تَعْريس، وربّما استعملت العامّة التّعريس للوطء الحرام، وقالوا في الشّتم: يا معرّس، بصيغة اسم المفعول مبالغة فيه، وتعريص: قيادة، وهي الجمع بين الرّجال والنّساء لارتكاب الفاحشة، وتعريص: انخداع الزّوج، حالة الزّوج المخدوع، ومُعرَّص: قوّاد، وسيط الفحشاء».

ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَى جَيْبِهِ، وَأَخْرَجَ لَهَا حَفْنَةَ دَرَاهِمَ وَدَفَعَهَا إِلَيْهَا. فَلَمَّا الدَّرَاهِمَ رَأَتْهُمْ تَحَلْحَلَتْ لأَنَّ البَرْطِيلَ رَجُلٌ كَبِيرٌ، وَمَا أَخْرَجَهُ إِلاَّ حَكِيمٌ.

شِعْرٌ[1]:

[من الوافر]

فَبَرْطِـــلْ[2] إِنْ أَرَدْتَ الْحَالَ يَمْشِـــي
فَمَا يَمْشِـــي غَيْـــر حَـــالِ الْمُبَرْطِلْ[3]
إِذَا مَـــا صُبَّ فِـــي القِنْدِيـــلِ زَيْتٌ[4]
[تَحَوَّلَـــتِ القَضِيَّـــةُ لِلْمُقَنْدِلْ][5]

قَالَ:

ثُمَّ قَالَتِ العَجُوزُ: حُبّاً وَكَرَامَةً، أَنَا أُوصِلُكَ إِلَيْهَا وَأَدَعُكَ تَقْضِي حَاجَتَكَ مِنْهَا لأَرْبحَ الثَّوَابَ مِنَ المَلِكِ الوَهَّابِ.

ثُمَّ عَمَدَت العَجُوزُ إِلَى دَقِيقٍ فَعَجَنَتْهُ بِشَحْمٍ، وَدَقَّتْ فِيهِ فُلْفُل كَثِيرٍ، وَخَبَزَتْهُ. وَكَانَتْ لَهَا كَلْبَةٌ قَدْ رَبَّتْهَا، لاَ تُفَارِقُهَا سَاعَةً وَاحِدَةً، فَرَمَتْ لَهَا مِنْ ذَلِكَ الْخُبْزِ كِسْرَةً، فَلَمَّا أَكَلَتْهَا الكَلْبَةُ دَمَعَتْ عَيْنَاهَا

---

1) البيت، مع بيتين آخرين، في المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء: 138، منسوب إلى أبي عبد الله محمّد بن المعلّى بن خلف الأسديّ، في الكناية عن الرّشوة والارتشاء.

2) في أساس البلاغة (برطل): «البرطيل: الحجر المستطيل، ومنه: ألقمته البرطيل، وهو الرّشزة؛ وإنّ البراطيل تنصر الأباطيل؛ وبُرطل فلان: رشيَ»، وفي تاج العروس (برطل): «كأنّه أخذ من البرطيل - بمعنى الحجر المستطيل - كأنّ الرّشوة حجر رمي به، أو شبّهوه بالكلب الّذي يرمى بالحجر. وقال المناويّ: أخذ من البَرطيل، بمعنى المعول لأنّه يُخرج به ما استتر، فكذلك الرّشوة».

3) رواية الصّدر في المنتخب: «فما يمشي إذا ما لم تبرطل».

4) في كنايات الجرجاني: 525 رقم 724: «يقال: صبّ الزّيت في قنديله، إذا رشاه».

5) في الأصل: «أضاء له القنديل وأسمع المقندل»، ولا يستقيم به وزن البيت، فأثبتنا ما في كنايات الجرجاني.

مِنْ حَرَارَةِ الفُلْفُلِ. ثُمَّ نَهَضَتِ العَجُوزُ، وَالكَلْبَةُ تَتْبَعُهَا، فَلَمْ تَزَلْ سَائِرَةً إِلَى أَنِ انْتَهَتْ إِلَى مَنْزِلِ الْمَرْأَةِ، فَدَقَّتِ العَجُوزُ البَابَ، فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: مَنْ أَنت؟

فَقَالَتْ: عَجُوزٌ كَبِيرَةُ السِّنِّ، وَقَدْ جَاءَ وَقْتُ الصَّلاَةِ، وَمَنْزِلِي بَعِيدٌ، فَهَلْ لَكِ أَنْ تَحُلِّينَ أَدْخُلُ إِلَى مَنْزِلِكِ أَتَوَضَّأُ وَأُصَلِّي الْمَفْرُوضَةَ قَبْلَ أَنْ يَفُوتَنِي الوَقْتُ، وَتَرْبَحِي أَجْرِي.

فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: حُبّاً وَكَرَامَةً.

ثُمَّ فَتَحَتْ لَهَا البَابَ فَدَخَلَتْ لَهَا العَجُوزُ السُّوءِ، وَالكَلْبَةُ مَعَهَا. فَلَمَّا دَخَلَتْ تَوَضَّأَتْ، وَوَقَفَتْ تُصَلِّي، وَالكَلْبَةُ وَاقِفَةٌ قُدَّامَهَا، وَطَوَّلَتْ فِي صَلاَتِهَا، وَأَكْثَرَتِ الدُّعَاءَ وَالتَّسْبِيحَ. ثُمَّ الْتَفَتَتْ فِي تَسْبِيحِهَا إِلَى الكَلْبَةِ، وَرَمَتْ[1] لَهَا كِسْرَةً مِنَ الْخُبْزِ الْمَعْجُونِ بِالشَّحْمِ وَالفُلْفُلِ، فَأَكَلَتْهَا الكَلْبَةُ. فَلَمَّا أَكَلَتْهَا دَمعَتْ عَيْنَاهَا، وَأَقْبَلَتِ الْمَرْأَةُ تَنْظُرُ إِلَيْهَا وَتَتَعَجَّبُ مِنْهَا.

فَلَمَّا رَأَتْهَا العُجُوزُ، وَقَدْ أَكْثَرَتْ تَعَجُّبَهَا مِنَ الكَلْبَةِ، قَالَتْ لَهَا: يَا بِنْتِي، أَرَاكِ تُطِيلِي النَّظَرَ إِلَى الكَلْبَةِ.

فَقَالَتْ: وَاللَّهِ يَا أُمِّي أَرَى شَيْئاً عَجِيباً. انْظُرِي إِلَى هَذِهِ الكَلْبَةِ كَيْفَ تَتَسَاقَطُ دُمُوعُهَا عَلَى الأَرْضِ، وَتَنْظُرُ إِلَيْكِ وَتَبْكِي، وَأَنْتِ أَيْضاً تَنْظُرِي إِلَيْهَا وَتَبْكِي.

قَالَ:

---

1) في الأصل: «أرمت».

فَقَالَتِ العَجُوزُ: اعْلَمِي يَا بِنْتِي أَنَّ هَذِهِ الكَلْبَةَ هِيَ ابْنَتِي، وَكَانَتْ أَحْسَنَ [خَلْقِ][1] اللَّهِ صُورَةً وَعَقْلاً وَجَمَالاً وَقَدّاً وَاعْتِدَالاً، وَإِنَّمَا هِيَ مَسْحُورَةٌ.

فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا أُمِّي؟

فَقَالَتِ العَجُوزُ: اعْلَمِي يَا بُنَيَّةَ أَنَّ بِنْتِي كَانَتْ يُوم مِنَ الأَيَّامِ عَابِرَةً فِي الطَّرِيقِ، فَتَعَرَّضَ لَهَا فُلاَنٌ - تَعْنِي عَنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّتِي هِيَ فِي حَاجَتُهُ -، فَكَلَّمَهَا فَلَمْ تُكَلِّمْهُ، وَخَاطَبَهَا فَلَمْ تُخَاطِبْهُ، وَمَضَتْ إِلَى حَالِ سَبِيلِهَا. فَلَقِيَهَا مَرَّةً أُخْرَى فَكَلَّمَهَا فَحَقَرَتْهُ، فَاغْتَاظَ عَلَيْهَا فَسَحَرَهَا فِي سَاعَةِ الوَقْتِ كَلْبَةً.

فَلَمَّا سَمِعَتِ الْمَرْأَةُ ذَلِكَ قَالَتْ لَهَا: يَا خَالَتِي العَجُوز، وَاللَّهِ لَقَدْ عَشِقَنِي هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتِيهِ، وَأَنَا لاَ أُجَاوِبُهُ. وَأَنَا - وَاللَّهِ - قَدْ أَفْزَعَ كَلاَمُكِ قَلْبِي، وَزَادَ بِهِ هَمِّي، فَهَلْ لَكِ أَنْ تَجْمَعِي بَيْنِي وَبَيْنَهُ؟ وَلَكِ عَلَيَّ عَشَرَ دَنَانِيرَ لَعَلَّ يَفْعَلُ بِي مَا فَعَلَ بِابْنَتِكِ.

فَقَالَتِ العَجُوزُ: وَكَيْفَ لاَ أَفْعَلُ وَأُسَارِعُ إِلَى شَيْءٍ يَكُونُ لِي فِيهِ الثَّوَابُ، وَلاَ سِيَّمَا وَأَنَّكِ[2] وَعَدْتِينِي بِجُعْلٍ[3]؟

فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: أَسْرِعِي مَا دَامَ زَوْجِي غَائِب.

فَخَرَجَتِ العَجُوزُ تَطْلُبُ ذَلِكَ الرَّجُلَ، فَلَمْ تَجِدْهُ، وَأَمْسَى عَلَيْهَا اللَّيْلُ فَخَافَتْ أَنْ يَفُوتَهَا الْجُعْلُ مِنَ الْمَرْأَةِ. وَإِذَا هِيَ بِزَوْجِ الْمَرْأَةِ قَدْ

1) إضافة يقتضيها التّركيب.

2) في الأصل: «وأنّني».

3) في الأصل: «بجعلا».

قَدِمَ مِنْ سَفَرِهِ - وَالعَجُوزُ لاَ تَعْرِفُهُ -، فَقَالَتْ لَهُ: مَنْ أَنْتَ وَمِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ يَا فَتَى؟

قَالَ[1]: مِنْ سَفَرٍ بَعِيدٍ.

قَالَتْ العَجُوزُ: هَلْ لَكَ أَنْ تَبَاتَ اللَّيْلَةَ فِي نُزْلٍ طَيِّبٍ، وَفَرْشٍ وَطُرُحٍ، وَأَكْلٍ وَشُرْبٍ، وَبَوْسٍ وَعِنَاقٍ، وَلَفِّ سَاقٍ بِسَاقٍ، وَوَجْهٍ مَلِيحٍ، وَنَيْكِ كُسٍّ صَبِيحٍ؟ وَإِذَا أَصْبَحْتَ امْضِ إِلَى حَالِ سَبِيلِكَ فِي دَعَةِ اللَّهِ إِلَى مَنْزِلِكَ. وَلَعَلَّ أَهْلَكَ مَا عَلِمُوا بِقُدُومِكَ.

فَقَالَ الرَّجُلُ فِي نَفْسِهِ: «وَاللَّهِ صَدَقَتِ العَجُوزُ». ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيْهَا، وَقَالَ لَهَا: امْضِ أَمَامِي حَتَّى أَتْبَعُكِ.

فَمَضَتِ العَجُوزُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَهْوَ يَتْبَعُهَا، حَتَّى أَتَتْ إِلَى[2] «مَنْزِلِي، وَلاَ شَكَّ أَنَّ زَوْجَتِي تَفْعَلُ هَذَا مُنْذَ خَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ، وَمَالِي إِلاَّ أَنْ أَصْبِرَ عَلَيْهَا حَتَّى أَنْظُرَ مَا يَكُونُ مِنْهَا». فَدَخَلَتِ العَجُوزُ وَوَقَفَتْ[3] عَلَى بَابِ الدَّارِ، وَقَالَتْ لِلْمَرْأَةِ: قَدْ أَتَيْتُكِ بِالرَّجُلِ.

فَقَالَتْ: دَعِيهِ يَدْخُلُ، وَأَجْلِسِيهِ فِي البَيْتِ.

فَقَالَتْ العَجُوزُ: مَا بَقِيَ لَكِ عَلَيَّ حُجَّةٌ، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْصَرِفُ إِلَى مَنْزِلِي.

فَدَفَعَتْ لَهَا الْمَرْأَةُ جُعْلَهَا، وَانْصَرَفَتْ. وَأَقْبَلَتِ الْمَرْأَةُ، وَجَعَلَتْ تَتَطَلَّعُ مِنْ شُقُوقِ البَابِ، فَرَأَتْ زَوْجَهَا، وَهْوَ وَاقِفٌ مُفَكِّرٌ فِي نَفْسِهِ

---

1) في الأصل: «قالت».

2) نقص في الأصل، والواضح أنّ الرّجل لمّا بلغ بيته أخذ يحدّث نفسه.

3) في الأصل: «أوقفت».

وَيَقُولُ: «إِنَّ زَوْجَتِي تَفْعَلُ هَذِهِ[1] الفِعَال مُنْذُ خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهَا»! وَقَالَتْ هِيَ الأُخْرَى: «وَاللَّهِ هَذَا زَوْجِي»!. ثُمَّ هَجَمَتْ عَلَيْهِ فِي وَسْطَتِ[2] البَيْتِ، وَقَالَتْ: أَيْ وَاللَّهِ يَا غَرَّارْ، هَكَذَا عَمَلُكَ دَائِماً مُنْذُ فَارَقْتَنِي؟ وَإِنِّي لَمَّا سَمِعْتُ بِقُدُومِكَ أَنْفَذْتُ إِلَيْكَ هَذِهِ العَجُوزَ لأَنْظُرَ هَلْ أَنْتَ مُقِيمٌ عَلَى العَهْدِ أَمْ لاَ، وَقَدْ تَغَرَّبْتَ وَنَقَضْتَ العَهْدَ وَالْمِيثَاقَ الَّذِي أَشْهَدْنَا اللَّهَ تَعَالَى عَلَيْنَا فِيهِ.

فَقَالَ لَهَا الرَّجُلُ: وَاللَّهِ أَنَا مُفَكِّرٌ فِي نَفْسِي إِلاَّ أَنَّكِ تَفْعَلِينَ هَذَا مُنْذُ خَرَجْتُ أَنَا، وَمَا جِئْتُ مَعَ العَجُوزِ إِلاَّ لَمَّا رَأَيْتُهَا قَاصِدَةً إِلَى نَحْوِ دَارِي.

ثُمَّ أَقْبَلَ الرَّجُلُ يَعْتَذِرُ لِلامْرَأَةِ، وَيُقَبِّلُ يَدَيْهَا وَرِجْلَيْهَا حَتَّى رَضِيَتْ عَلَيْهِ، وَصَالَحَهَا وَكَسَاهَا[3] كِسْوَةً فَاخِرَةً. وَبَعْدَ مَا كَانَ هُوَ الغَالِبُ، صَارَ هُوَ الْمَغْلُوبُ، وَذَلِكَ مِنْ شِدَّةِ حِيَلِهِنَّ وَمَكْرِهِنَّ. نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ.

وَهَذَا مَا انْتَهَى إِلَيْنَا مِنْ حَدِيثِهِنَّ وَجَوَابِهِنَّ، وَاسْتِحْضَارِهِنَّ[4] الْحِيلَةَ فِي أَقْرَبِ وَقْتٍ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً أَبَداً، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ أَجْمَعِينَ.

---

1) في الأصل: «هذا».

2) كذا في الأصل.

3) في الأصل: «أكساها».

4) في الأصل: «حديثهم وجوابهم واستحضارهم».

فُرِغَ مِنْ كِتَابَتِهِ ثَانِي عِشْرِين شَهْرِ اللَّهِ الْمُعَظَّم قَدْرُهُ رَمَضَانَ، سَنَة خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَثَمَانِ مائَة، وَاللَّهُ تَعَالَى يَغْفِرُ لَنَا أَجْمَعِينَ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ. أَوْدَعْتُ فِيهِ شَهَادَةَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّه وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَرَّفَ وَكَرَّمَ، حَامِداً مُصَلِّياً مُسَلِّماً [مسَبْحِلاً] ضَارِعاً مُتَوَكِّلاً مُسْتَغْفِراً مُحَوْقِلاً مُتَرَضِّياً.

الفهارس الفنّيّة للكتاب

1 - فهرس الآيات القرآنيّة.
2 - فهرس الأعلام والكنى.
3 - فهرس القوافي.
4 - فهرس الموشّحات.
5 - فهرس البلاليق.
6 - فهرس االألفاظ الجنسيّة (الفصيحة والعامّيّة).
7 - فهرس الكنايات الجنسيّة.
8 - فهرس الأمثال وما يجري مجراها.
9 - فهرس الأماكن والمواضع.
10 - فهرس الوظائف السّلطانيّة والمهن والصّنائع.
11 - فهرس الأطعمة والأشربة والخضر والغلال والحلوى.
12 - فهرس الأثواب والألبسة والأحذية والأقمشة والحليّ.
13 - فهرس النّباتات والأزهار والطّيوب.
14 - فهرس الشّعوب والقبائل والملل والطّوائف والنّحل.
15 - فهرس الحيوان.
16 - فهرس عناوين الكتب الواردة في المتن.
17 - فهرس المصادر والمراجع المعتمدة في التّحقيق.



فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأعلام والكنى

فهرس القوافي

فهرس الموشّحات

فهرس البلاليق

فهرس الألفاظ الجنسيّة (الفصيحة والعاميّة)

خصو	خصوك - خصيواتك - يصبّح بخصيتي، أخصيه	196، 198، 201، 205، 206، 243
خضع	تخضع	176، 191
خطط	تخطّطت	73
خفض	خفضت	216، 242
خنق	يخنقه، خنقته	71، 79، 106، 157، 160، 176، 199
دخل	دخل (بين أوراكها)، آدخل به	62، 79
دعب	داعبها	254
دعس	داعس	160
دغدغ	دغدغها	254
دفع	ادفعه	62، 106
دقق	دقّه - يدقّه	71، 243
دلك	دلكته - دلك	69، 108
دلي	أدلى (الحصان)	170
ديث	ديّوث	248
ذكر	ذكره	107
ذوق	ذوّقني	49
رأس	رويّسة	188
رحم	الرّحم (باب)، رحمي	61، 100، 161، 164، 165، 177، 199، 200، 201، 242

نطح	آنطحني براسو	201
نعظ	إنعاظ	62
نغش	ناغشتني	240
نقر	ينقر	202
نكح	النّكاح فانكح	77، 78، 242، 244
نهد	نهديها، نهودي	140، 243
نهق	النّهيق	176، 197، 216
نوم	نام (عند زوجته)	195
نيك	ناكها - نكتك - نيكني - نيك - ناكها وحيّد - المنيوكة - نيك التّماسيح	62، 63، 68، 71، 74، 108، 123، 146، 157، 161، 180، 195، 196، 198، 200، 201، 204، 205، 242، 259، 266
هتك	المهتوكة	207
هدد	هدّ	245
هرش	يتهارشوا ـ هارشها	218، 254
هزز	تهزّ - الهزّ	71، 164، 177، 201، 243
هنو	هني	160
وتر	توتّر - موتّر - توتير	61، 107، 144، 146
وحد	واحد - وحيّد	93، 100، 101، 145، 180، 215
ولج	أولج، تولجه، يلج	49، 164، 188، 242

فهرس الكنايات الجنسيّة

تكسير الفستق (أو الجوز) على ناعم الرّخام	كناية عن البوس	70، 216
تلّ رمل	كناية عن ضخامة الرّدف	45
تناك على قرنه	كناية عن الكشخنة	123
التّنّور	كناية عن الفرج المغتلم	161
جاب لها حسينتها بتحقيق	كناية عن الإجادة في النّيك	191
جدبة أحدب	كناية عن كبر الفرج	87
حطّه في النّقبة	كناية عن إتيان المرأة في دبرها	74
حمّام	كناية عن الفرج	146
الخان	كناية عن الفرج	243
خفضت ورفعت	كناية عن الرّهز	216
الخلقة	كناية عن الفرج	160
خويّط (خيط) المغرة	كناية عن الأير	203
رأس أرنب	كناية عن كبر الفرج	87
الرّفع	كناية عن الرّهز	164، 176، 243
الزّبرة	كناية عن الذّكر	164، 217
زقّ الحمام	كناية عن ضرب من البوس	70
سطيح مشفتر	كناية عن الكسّ	45
سفر	كناية عن الفرج	242
السّكفة	كناية عن الفرج	202

سكّن	كناية عن الإيلاج	62
السّهم	كناية عن الأير	202
شبّاك البيت	كناية عن الفرج	203
شربوش	كناية عن الكمرة	161
الشّغل	كناية عن الجماع	73، 145، 165، 176، 218، 255
صدراني	كناية عن الرّكب	146
الصّدّام	كناية عن النّاكح الجيّد	178
الصّنعة	كناية عن الفعل الجنسيّ	202، 203، 243
ضربه - أو غمّقه - فيها إلى حدّ الشّعرة اليتيمة - آضربه شمال ويمين - ضربعه إلى حدّ الشّعرة	كناية عن الإيلاج المحكم	61، 190، 244
يطعن - الطّعن - الطّعنة - يطعن ويتأخّر	كناية عن الإدخالة الواحدة، أو عن الرّهز	160، 161، 177، 199
طرطور	كناية عن الأير	161
أبو طنين	كناية عن القرنان	93، 119، 152
العمل	كناية عن الجماع	74، 107، 181
عمل على صنعته بإتقان	كناية عن جودة النّيك	79
عمام	كناية عن كبر الكسّ	46

العير	كناية عن الذّكر	100، 180، 200
الغربلة	كناية عن الرّهز	71، 164، 244
غليان على البارد والحار	كناية عن شدّة الهياج	201
الفارس	كناية عن النّاكح	160
فتّش الزّوايا والأركان	كناية عن جودة الجماع	79، 243
فرطوسة عجل	كناية عن كبر الفرج	100
الفسقيّة	كناية عن الفرج	146
الفعل	كناية عن الجماع	107، 188
القتّال	كناية عن النّاكح الجيّد	178
القرّان	كناية عن الكشخان	102
قرعة	كناية عن الكمرة	62
قرنان	كناية عن الكشخان	65
قضى شغله منها	كناية عن الجماع	165
قفلة	كناية عن البظر	101
الكربلة	كناية عن الرّهز	71، 164، 243
كوز كبير دسراني، كوز كبير	كناية عن الكسّ الكبير	46، 48
اللّحام - اللّحامات	كناية عن دخول الأير في الفرج، عن الالتصاق	203
لفّ ساق بساق	كناية عن المواقعة	65، 266
المثقاب	كناية عن الأير	202

المحجّب	كناية عن الكسّ	144، 160
المدرة	كناية عن الأير	161
مركّن السّقف	كناية عن الكسّ الكبير	100
المشمّر	كناية عن النّاكح الجيّد	177
مغربيّ أقرع	كناية عن الكسّ	160
مقام أفراحي	كناية عن الكسّ	146
المقبقب	كناية عن الفرج الكبير	144، 175
المقرنن	كناية عن الكشخان	93
ممكّن	كناية عن الكسّ الكبير	100
ملأ بطنه	كناية عن الإنزال	106
منشار	كناية عن الذّكر	202
مهندم	كناية عن الفرج النّظيف	100
النّاي	كناية عن الذّكر	203
نخلث	كناية عن الرّهز	
النّهيق	كناية عن الغنج الشّديد	176، 197، 216
نيك النّقبة	كناية عن إتيان المرأة في دبرها	74
الهزّ	كناية عن الرّهز	164، 177، 243
يسقيها من الزّبد	كناية عن الإنزال	243
يطعن ويتأخّر	كناية عن الرّهز	161

فهرس الأمثال وما يجري مجراها

فهرس الأماكن والمواضع

فهرس الوظائف السّلطانيّة والمهن والصّنائع والحرف

فهرس الأطعمة والأشربة والنّقل والخضر والغلال والحلوى

فهرس الأثواب والألبسة والأحذية والأقمشة والحلي

فهرس النّباتات والأزهار والطّيوب

فهرس الشّعوب والقبائل والملل والطّوائف والنّحل

فهرس الحيوان

فهرس عناوين الكتب الواردة في المتن

الإنجيل	-	213
نوادر الحمقى والمغفّلين	ابن الجوزي	193

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة في التّحقيق

1 - المصادر المطبوعة

* الأعلام (1-9)، خير الدّين الزّركلي، دار العلم للملايين، ط. 14، بيروت، 1999.

* ألف ليلة وليلة (1-2)، تصحيح وتقديم د. عفيف نايف حاطوم، دار صادر، بيروت، 1999،

* البداية والنّهاية (1-21)، ابن كثير، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التّركي، دار هجر للطّباعة والنّشر والتّوزيع والإعلان، 2003.

* تاج العروس من جواهر القاموس (1-40)، مرتضى الزّبيدي، تحقيق مجموعة من المحقّقين، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 2001-2004.

* تزيين الأسواق بتفصيل أحوال العشّاق (1-2)، داؤد الأنطاكيّ الضّرير، تحقيق د. محمّد التّونجي، عالم الكتب، بيروت، 1993.

* تكملة المعاجم العربيّة (1-11)، رينهارت دوزي، ترجمة

وتعليق د. محمّد سليم النّعيمي، وزارة الثّقافة والإعلام، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة، بغداد، 1980-2000.
* ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، أبو منصور الثّعالبي، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1965.
* حادي الأظعان النّجدية إلى الدّيار المصريّة، محبّ الدّين الحموي، تحقيق محمّد عدنان البخيت، جامعة مؤتة (الكرك)، مصر، 1993.
* الدّرّة الفاخرة في الأمثال السّائرة، حمزة بن الحسن الأصبهاني، تحقيق د. عبد المجيد قطامش، دار المعارف، القاهرة، 1971.
* الدّرر الكامنة في أعيان المائة العاشرة (1-5)، ابن حجر العسقلاني، تحقيق محمّد سيّد جاد الحق، القاهرة، د. ت.
* ديوان البهاء زهير، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ومحمّد طاهر الجبلاوي، دار المعارف، د. ت.
* ديوان ابن حمديس الصّقلّي، تصحيح وتقديم د. إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، 1960.
* ديوان أبي منصور الثّعالبي، دراسة وتحقيق محمود عبد اللّه الجادر، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة، سلسلة خزانة التّراث، بغداد، 1990.
* ديوان الخبز أرزي، تحقيق الشّيخ محمّد آل ياسين، مجلّة المجمع العلمي العراقي (خمسة أجزاء)، بغداد، 1989.

* ديوان ابن الرّومي (1-6)، شرح وتحقيق عبد الأمير علي مهنّا، دار مكتبة الهلال، بيروت، 1991.
* ديوان تميم بن المعزّ لدين اللّه الفاطمي، دار الكتب المصريّة، القاهرة، 1957.
* ديوان أبي نواس، تحقيق علي فاعور، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1987.
* ذيل مرآة الزّمان (1ـ4)، قطب الدّين أبو الفتح موسى بن محمّد اليونيني، بعناية وزارة التّحقيقات، دار الكتاب الإسلامي، ط. 2، القاهرة، 1992.
* الرّوض العاطر ونزهة الخاطر، أبو عبد اللّه محمّد بن محمّد بن عمر النّفزاوي، تحقيق د. فرج الحوار، الدّار المتوسّطيّة للنّشر، تونس، 2018.
* شذرات الذّهب (1-11)، أبو الفلاح ابن العماد العكري الحنبليّ، تحقيق محمّد الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط. 1، دمشق-بيروت، 1986.
* شعر ابن وكيع التّنّيسي، جمع وتحقيق د. حسين نصّار، مطبعة دار الكتب والوثائق القوميّة، القاهرة، 2014.
* شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدّخيل، شهاب الدّين الخفاجي، تحقيق محمّد كشّاش، دار الكتب العلميّة، ط. 1، بيروت، 1998.

* العبر في خبر من غبر (1-4)، شمس الدّين الذّهبي، تحقيق أبو هاجر محمّد السّعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلميّة، بيروت، د. ت.
* فوات الوفيات (1-5)، ابن شاكر الكتبيّ، تحقيق د. إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، 1973-1977.
* كنايات الأدباء وإشارات البلغاء، أبو العبّاس الجرجاني، تحقيق د. فرج الحوار، الدّار المتوسّطيّة للنّشر، ط. 1، تونس، 2018.
* الكناية والتّعريض، أبو منصور الثّعالبي، تحقيق د. فرج الحوار، منشورات الجمل، كولونيا/بغداد، 2006.
* لسان العرب (1-18)، ابن منظور، طبعة جديدة محقّقة، دار صادر، ط. 2، بيروت، 2003.
* المحبّ والمحبوب والمشموم والمشروب (1-4)، السّريّ الرّفّاء، تحقيق مصباح علاونجي، منشورات مجمع اللّغة العربيّة، دمشق، 1986.
* المخصّص (1-5)، ابن سيده، دار الكتب العلميّة، بيروت، د. ت.
* المزهر في علوم اللّغة وأنواعها (1-2)، جلال الدّين السّيوطي، تحقيق فؤاد علي منصور، المكتبة العلميّة، بيروت، 1998.
* معجم الأدباء (1-10)، ياقوت الحموي، تحقيق مرجليوت، دار الفكر، بيروت، 1980.

* معجم البلدان (1-5)، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، 1979.
* المعجم الجامع في المصطلحات الأيّوبيّة والمملوكيّة والعثمانيّة ذات الأصول العربيّة والافارسيّة والتّركيّة، د. حسّان حلّاق، ود. عبّاس صبّاغ، دار العلم للملايين، ط. 1، بيروت، 1999.
* المغرب في حلى المغرب (1-2)، ابن سعيد الأندلسي، تحقيق د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1955.
* من غاب عنه المطرب، أبو منصور الثّعالبي، تحقيق د. النّبويّ عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1984.
* موسوعة أمثال العرب (1-7)، د. إميل بديع يعقوب، دار الجيل، بيروت، 1995.
* موسوعة العامّيّة السّوريّة (1-4)، ياسر عبد الرّحيم، ط. 2، وزارة الثّقافة، الهيئة العامّة للكتاب، دمشق، 2012.
* الموسوعة الكويتيّة المختصرة (1-3)، حمد محمّد السّعيدان، وكالة المطبوعات للنّشر، الكويت، 1981.
* النّجوم الزّاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة (1ـ16)، ابن تغري بردي، تحقيق محمّد حسين شمس الدّين، دار الكتب، القاهرة، 1963.
* نزهة الأنام في محاسن الشّام، أبو البقاء عبد الله البدري، دار الرّائد العربي، بيروت، 1980.

* نهاية الأرب في فنون الأدب (1-33)، شهاب الدّين النّويري، دار الكتب العلميّة، بيروت، 2004.

* الوافي بالوفيات (1-32)، صلاح الدّين الصّفدي، تحقيق مجموعة من المحقّقين العرب والمستشرقين، المعهد الألماني، بيروت، 1991.

* الوافي بالوفيات (1-29)، صلاح الدّين الصّفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التّراث، ط. 1، بيروت، 2000.

* الوشاح في فوائد النّكاح، جلال الدّين السّيوطي، تحقيق د. فرج الحوار، الدّار المتوسّطيّة للنّشر، تونس، 2019.

2 - المصادر المخطوطة

* ديوان الصّبابة، ابن أبي حجلة، مخطوطة المكتبة الوطنيّة الفرنسيّة بباريس، رقم 5915.

* سكّردان العشّاق، مخطوط جامعة يال رقم MSS 27a.

* تحفة الأبصار والأسماع في أخبار ذوات القناع، المكتبة الوطنيّة الفرنسيّة، باريس، رقم 3072.

صدر للمحقّق

1 - نزهة النّديم، جلال الدّين السّيوطي، دار الميزان، حمّام سوسة، 2003.

2 - نزهة العمر في التّفضيل بين البيض والسّود والسّمر، جلال الدّين السّيوطي، دار الميزان، حمّا سوسة، 2005.

3 - الكناية والتّعريض، أبو منصور الثّعالبي، دار الجمل، كولونيا/بغداد، 2006.

4 - في الجماع وآلاته (الباب الثّاني من كتاب الوشاح في فوائد النّكاح)، جلال الدّين السّيوطيّ، دار الجمل، كولونيا/ بغداد، 2006.

5 - أخبار أبي نواس، أبو هفّان المهزمي، دار زينب، قليبية/ حمّام الغزاز، 2007.

6 - كنايات الأدباء وإشارات البلغاء، أبو العبّاس الجرجاني، المتوسّطيّة للنّشر والتّوزيع، تونس، 2018.

7 - اليواقيت الثّمينة في صفات السّمينة، جلال الدّين السّيوطي، ط 2 (صدرت الطّبعة الأولى عن دار الميزان، حمّام سوسة، 2003)، المتوسّطيّة للنّشر والتّوزيع، 2018.

8 - الرّوض العاطر في نزهة الخاطر، الشّيخ النّفزاوي، المتوسّطيّة للنّشر والتّوزيع، تونس، 2018.

9 - الوشاح في فوائد النّكاح، جلال الدّين السّيوطي، المتوسّطيّة للنّشر والتّوزيع، تونس، 2019.

10 - جوامع اللّذّة ج 1، أبو الحسن علي بن نصر الكاتب، المتوسّطيّة للنّشر والتّوزيع، تونس، 2019.

11 - جوامع اللّذّة ج 2، أبو الحسن علي بن نصر الكاتب، المتوسّطيّة للنّشر والتّوزيع، تونس، 2019.

قيد النّشر لدى الدّار المتوسّطيّة للنّشر والتّوزيع

1 - مراتع الغزلان في وصف الحسان من الغلمان، شمس الدّين النّواجي (يطبع لأوّل مرّة كاملا محقّقا مفهرسا).

2 - كنايات الأدباء وإشارات البلغاء، أبو العبّاس الجرجاني، ط. 2.

3 - المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء، لمجهول (يطبع لأوّل مرّة كاملا محقّقا مفهرسا).

4 - جوامع اللّذّة، أبو الحسن علي بن نصر الكاتب، ج. 3.

5 - شقائق الأترجّ في رقائق الغنج، جلال الدّين السّيوطيّ.

6 - نزهة العمر في التّفضيل بين البيض والسّود والسّمر، جلال الدّين السّيوطي، ط. 2.

7 - ضوء الصّباح في أسماء النّكاح، جلال الدّين السّيوطي (يطبع لأوّل مرّة).

8 - نواضر الأيك، جلال الدّين السّيوطي.

9 - الإيضاح في علم النّكاح، المنسوب إلى جلال الدّين السّيوطي.

10 - تحفة الأبصار والأسماع في أخبار ذوات القناع، الشّيخ بدر الذّين بن سالم بن محمّد تابع بني الصّدّيق.

11 - رجوع الشّيخ إلى صباه في القوّة على الباه، التّيفاشي.

12 - ديوان الصّبابة، ابن أبي حجلة.



فهرس الكتاب



الزَّهْرُ الأنِيقُ

في البؤس والتّغنيق والهَيج والشّهيق
ومخالفة الزوج ومطاوعة العشيق

هذا الكتاب، بالنّظر إلى مضمونه، لا يشذّ عن الأدبيّات الشّائعة في زمانه، في إطار الثّقافة العربيّة الإسلاميّة، وفي غيرها من ثقافات الأمم في العصر الوسيط الّتي تتضمّن ترسانة من الآثار والأخبار والمواعظ والحكم والأمثال والقصص المثليّة والحكايات الهزليّة، وكلّها تكرّس دونيّة المرأة، وتقضي بناء على ذلك بضرورة إزدرائها، والتّحرّز من شرورها بالتّضييق عليها في سلوكها وحركاتها وسكناتها.

والكتاب لا يدين المرأة المسلمة وحدها، بل يتعدّى ذلك إلى إدانة المرأة اليهوديّة والمرأة النّصرانيّة الشّرقيّتين، وجنس النّساء بصورة عامّة باعتباره يمثّل آفة كونيّة وخطرا داهما يتهدّدان جنس الرّجال، والمؤسّسة الزّوجيّة، والمنظومة الأخلاقيّة الّتي تنهض عليها.

د. فرج الحوار

أستاذ محاضر في اللّغة والآداب الفرنسيّة بكلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة بسوسة، من مواليد 1954/2/12 بحمّام سوسة. نشر عشر روايات باللّغة العربيّة، تحصّلت منها رواية «المؤامرة» على جائزة أبي القاسم الشّابي لسنة 1992. نشر ستّ روايات، ومجموعتين قصصيّتين، ومجموعتين شعريّتين باللّغة الفرنسيّة، نالت منها روايته «Ainsi parlait San-Antonio» جائزة الكومار الثّانية لسنة 2000.


ISBN 978-9938-23-048-2

WEB SITE
